الكتاب الثقافي العسكري

مسائل منهجية علمية

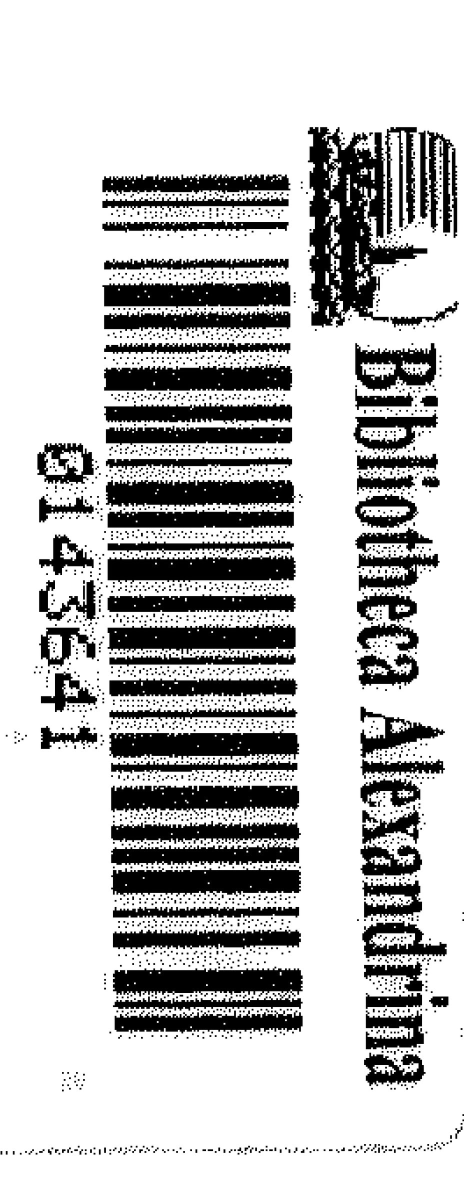
في

نظرية الحرب وتطبيقاتها

من وجهة النظر السوفييتية

ترجمة :

العقيد الركن أسعد حكيم



اصدار

مركز الدراسات والابحاث العسكرية

دمشق - ١٩٨١

كتاب ثقافي عسكري

مسائل منهجية علمية

في

نظرية الحرب وتطبيقاتها

من وجهة النظر السوفييتية

ترجمة :

العقيد الركن أسعد حكيم

اصدار

مركز الدراسات والابحاث العسكرية

دمشق – ١٩٨١



تعير القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة ، اهتماما كبيرا لتعزيز القدرة الدفاعية لبلادنا . ومع ملاحظتنا أن تناسب القوى ــ في المجال الدولي ــ يستمر في التغير لصالح الاشتراكية ، وحركة التحرير الوطني ، فان القوى الامبريالية والرجعية العالمية ــ بزعامة الدوائر الاحتكارية في الولايات المتحدة الامريكية ــ تعمل على تصعيد خطر الحرب . وان هذا يفرض ضرورة زيادة القدرة القتالية ، والجاهزية القتالية ، للقوات المسلحة .

ان الحل الناجح للمهام الملقاة على عاتق القوات المسلحة ، يتطلب التطوير المضطرد لنظرية الحرب وتطبيقاتها ، والتفهم العميق والتقدير الصحيح لكل جديد ، نشأ وما زال ينشأ خلال الثورة الحديثة في العمل العسكري .

ان التبدلات الجذرية في الاساس المادي ــ التكنيكي والبنيان التنظيمي للقوات المسلحة ، ونشوء طرق واشكال جديدة للصراع المسلح ، وتحطيم العديد من المفاهيم القديمة في نظرية الحرب ــ كل هذا وضع أمام ملاكاتنا العسكرية مجموعة كاملة من المسائل المعقدة والهامة .

ان الحل الصحيح للمسائل الناشئة ، والنفاذ بعمق الى جوهر الظواهر الجديدة ، واستخلاص الاستنتاجات النظرية والتطبيقية الضرورية ــ كل هذا ممكن باعتماد علم مناهج الابحاث العلمية .

ان المنهج العلمي هو السبيل الى المعرفة . وان الاستخدام الصحيح لعلم مناهج الابحاث العلمية يستبعد الروح العقائدية الجامدة ، ويتيح مراعاة الارتباط المتبادل للظواهر ، وتناقضها ، وتغيرها ، كما يتيح الكشف عن الجدل الموضوعي لتطور كافة نواحي حياة المجتمع ، بما فيها العمل العسكري .

يهدف هذا الكتاب الى ايضاح بعض المسائل المنهجية العلمية ، الناشئة في نظرية الحرب وتطبيقاتها ، خلال الثورة الحديثة في العمل العسكري . فماهي هذه المسائل ؟

ان هذه المسائل — قبل كل شيء — متعلقة بتوضيح جوهر وخصائص ومصادر ونتائج الحرب الصاروخية — النووية ، التي يمكن ان يشعلها الامبرياليون . وهنا يتملك تحليل مقولة « الحرب » اهمية عظيمة للغاية . ان مقولات نظرية الحرب — هي نقاط الارتكاز الرئيسية لادراك عمليات الحرب . تتوطد فيها نتائج بحث هذه الظاهرة المعقدة . وهي تستخدم في نفس الوقت كواسطة لدراسة الحرب وسننها — فيما بعد — دراسة اكثر عمقا .

تتجلى في هذا الكتاب مصادر وجوهر ومضمون الثورة الحديثة في العمل العسكري ، وخصائصها ومراحلها الرئيسية ، كما يتجلى تأثير هذه الثورة على كل نظرية الحرب وتطبيقاتها .

ان احدى المهام ، الملقاة — في الوقت الحاضر — على عاتق ملاكاتنا القيادية العسكرية ، هي رفع المستوى العلمي في قيادة القوات . ولا يمكن حل هذه المهمة — بصورة صحيحة — الا على اساس معرفة سنن تطور العمل العسكري ، والمراعاة الدقيقة لمتطلباتها ، وادراك جوهر عمليات الصراع المسلح المعقدة .

ان هذا الكتاب محاولة جادة ، ومساهمة صادقة ، في رفع المستوى العلمي لملاكاتنا القيادية العسكرية ، في صراعنا المصيري مع العدو الصهيوني ، الذي يهدد الامة العربية .

الحرب النووية ــ الصاروخية والسياسة

١ ــ حول تعريف الحـرب :

تكتسب المسألة حول الحرب والسلام ــ في العصر الحديث ــ اهميـة نظرية وتطبيقية عظيمة ، لا سيما وان المعسكر الامبريالي يعد جريمة نكراء ضد الانسـانية ــ الحرب النووية الحرارية ، التي يمكن ان تسبب تخريبات لا مثيل لها لبلدان عديدة ، وان تبيد شعوبا بأكملها . ولذلك ، اصبحت مشكلة انسلام والحرب مشكلة حياة وموت بالنسبة لمئات الملايين من البشر .

ان مفتاح الفهم العميق والحل الموثوق لمشكلة الحرب والسلام يوجد في المنهج العلمي الاشتراكي ، الذي يساعد على الكشف عن الجوهر الطبقي ــ السياسي للحرب الحديثة ، ومصادرها وطابعها ، ويحدد طرق تلافي الكارثة النووية الحرارية ، المخيمة على البشرية .

تمثل الحياة الاجتماعية ــ كما هو معلوم ــ مجالا من مجالات الوجـود اعقد من مجال الطبيعة . وتعتبر الحرب احد ىظواهر هذا الوجود المعقدة . ونحتاج ــ عند دراسة الحرب ــ الى المعالجة الجدلية المتعددة الجوانب . ولا بد ــ ونحن نحلل جوهر الحرب النووية ــ الصاروخية المحتملة ــ من أن نسترشد بمتطلبات علم مناهج الابحاث العلمية . ومن الممكن ان نواجه آراء مختلفة حو جوهر الحرب . وهكذا ــ مثلا ــ فان بعض المؤلفين يماثلون الحرب بالصراع المسلح ، ويرون جوهرها في العنف المسلح .

ان نقطة الانطلاق لحل المسألة حول جوهر الحرب تحليلا صحيحا هي تعريف الحرب . كتب **لينين** يقول : ان موضوعة الديالكتيك الاساسية المطبقة على الحروب . . . تتلخص في « **ان الحرب هي مجرد استمرار للسياسة بوسائل**

أخرى)) (**وسائل العنف بالذات**)(١) . وكتب **كارل فون كلاوزفيتز** يقــول : ((**ان الحرب ليست عمــلا سياسيا فحسب ، ولكنها** أداة **سياسية حقيقية ، واستمرار للعلاقات السياسية وتحقيق لهذه العلاقات بوسائل أخرى**))(٢) .

يسعى الايديولوجيون البورجوازيون المعــاصرون الى تشويــه المفهــوم الاشتراكي العلمي حول الحرب . ومن الخطأ الفادح الظن بأن هذا المفهوم مطابق كليا لوجهة نظر **كلاوزفيتز** . ((**فهنالك فرق جذري بينهما يتجلى قبل كل شيء ، في فهم السياسة وطبيعتها الطبقية . كان كلاوزفيتز يعتبر السياسة (ممثلة لكافة مصالح المجتمع ككل) أي انه كان ينكر طبيعتها الطبقية ... وينبغي ان نضيف الى ذلك أن كلاوزفيتز كان يفهم السياسة على انها السياسة الخارجية فقط ، متجاهلا ان الحرب هي قبل كل شيء استمرار للسياسة الداخلية التي تجسد مباشرة البنية الطبقية للمجتمع . علما بان كلاوزفيتز كان يعني سياسة الدولة فقط ، أي في الواقع سياسة الطبقة المسيطرة في الدولة المعنية**))(٣) .

ولقد نظر كلاوزفيتز الى **دور العنف** نظرة مجردة (مطلقة) في تحقيــق الاهداف السياسية . وكانت نظرته هذه احد الشروط الاولية لنشوء المذهب الفاشستي حول ((الحرب الشاملة)) . ولما لم يستطع كلاوزفيتز أن يكتشف الطبيعة الحقيقية للسياسة ، فقد بدا عاجزا عن اكتشاف الجوهر الطبقي ــ السياسي للحرب أيضا .

تتناول السياسة العلاقات بين الطبقات داخل الدولة (السياسة الداخلية) ، وكذلك بين الدول المختلفة (السياسة الخارجية) . وتمثل السياسة ــ بالذات ــ علاقات الجماهير البشرية الواسعة التي تجرها الحروب الحديثة الى مدارها ، كما تجر شعوبها بأكملها . ويؤثر طابع السياسة ، والعلاقات السياسية ، تأثيرا حاسما على سلوك الجماهير الشعبية في الحرب ، وعلى سيرها ومصيرها .

---

(١) ((الماركسية ــ اللينينية وقضايا الحــرب والجيش)) موسكو ، دار التقــدم ، عــام ١٩٧٤ ، ص ١٢ .

(٢) ((في الحرب)) تأليف كارل فون كلاوزفيتز ، تعريب وتعليق اكرم ديري والمقدم الهيثم الايوبي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ص ٨٠ .

(٣) ((الماركسية ــ اللينينية وقضايا الحرب والجيش)) موسكو ، دار التقــدم ، عــام ١٩٧٤ ، ص ١٣ .

لا تكتفي السياسة باعداد هذه الحرب أو غيرها فحسب ، بل وتحدد اهدافها . وهي تطبع بطابعها المذهب العسكري للدولة ، والبناء التنظيمي للقوات ، واختيار طرق واشكال الصراع المسلح . وتأخذ السياسة ــ بدورها ــ بعين الاعتبار متطلبات النظرية الحربية والتطبيق .

ومن أجل الفهم الصحيح لطبيعة الحرب ، تكتسب المقولتان الفلسفيتان ــ الجوهر والظاهرة ــ اهمية منهجية علمية عظيمة . وتستند الجدلية الى ان **الجوهر ــ هو الاساس العميق للظواهر** . ان القيمة ــ مثلا ــ هي أساس الاسعار (الاثمان) وان القيمة ــ هي الجوهر ، وان الاسعار (الاثمان) ــ هي الظاهرة . ولكن الجوهر والظاهرة لا يتطابقان بصورة مباشرة .

يمثل الجوهر الناحية الداخلية للاشياء (المواد ، المواضيع ، الاغراض) وتمثل الظاهرة الناحية الخارجية . ولذلك ، تدرك الظاهرة مباشرة من خلال الاحساس (الشعور) اما الجوهر فلا يدرك الا بواسطة التفكير النظري . ان الجوهر والظاهرة مرتبطان فيما بينهما بشكل وثيق . واذا قيل « ان الجوهر ظاهري او ان الظاهرة جوهرية » ، فهذا يعني أن الجوهر لا يدرك الا من خلال معرفة الظواهر . وان جوهر الحرب ، المعبر عنه في تعريف الحرب المذكور آنفا ، لم يكتشف الا بنتيجة الدراسة والفهم النظري لكمية عظيمة من الظواهر ــ الحروب العديدة التي اشعلها المجتمع الاستغلالي .

ان معرفة عمليات الطبيعة والمجتمع لا تتقيد بالحركة من الظاهرة الى الجوهر . وان المعرفة تمضي ــ وهي تكتشف الجوهر ــ في الاتجاه المعاكس للحركة ــ من الجوهر الى الظاهرة . ونستطيع ــ بمثل هذه الطريقة ــ ان نسترجع ــ في التفكير ــ الواقع بكل ثرائه وموضوعيته . وان **التحليل** يبدو رئيسيا في حركة المعرفة من الظاهرة الى الجوهر ، في حين ان **التركيب** هو الذي يبدو رئيسيا في حركة المعرفة من الجوهر الى الظاهرة . ويتحقق الانتقال في الحالة الثانية من المجرد الى الملموس . وفي هذه المرحلة يتم ادراك الظواهر من خلال ادراك الجوهر . وهكذا ــ مثلا ــ فاننا ننطلق في معرفة الحرب المقبلة من

الجوهر ، المبين في تعريف الحرب ، الى الظاهرة :الموسة ـ الحرب النووية ـ الصاروخيـة .

ولكي نعرف كافة جوانب الحرب ، لا بد من استقصاء جوهرها ، وكيفية ظهـوره في الصراع المسـلح ، وكذلك في الصـراع الاقتصادي والدبلوماسي والايديولوجي ، وفي اشكال الصراعات الاخرى . وبعبارة اخرى ينبغي ان نكشف عن انواع الظهور المتعددة لجوهر الحرب ، وان نستكشف تلك الوسائط الخاصة ، التي تؤمن تنفيذ السياسة .

لا يجوز أن نفهم جوهر الحرب ، وانواع ظهوره المتعددة ، بمعزل عن سياسة الطبقات والدول ، وبدون دراسة مجموعة العلاقات السياسية ، التي تؤدي الى الحرب ، وتستمر فيها .

ان المعالجة الطبقية ـ السياسية للحرب ، كظاهرة اجتماعية ـ تاريخية ، هي المطلب الرئيسي للمنهج الجدلي العلمي .

ان الحرب هي استمرار السياسة . غير ان هذا الاستمرار ليس مجرد سياسة ، ولا مجرد شكل عادي للصراع السياسي ، وانما هو مظهر خاص للسياسة ، يتميز باستخدام **العنف المسلح** . ان العنف المسلح ـ الصراع المسلح المنظم ـ خاصة اساسية للحرب ، وهو الواسطة الرئيسية لتحقيق الاهداف السياسية .

ان للصراع المسلح استقلاله النسبي ، ومنطقه الداخلي في التطـور ، وقوانينه الموضوعية . ولكن لا ينتج من هذا ـ ابدا ـ ان من الممكن أن نضع اشارة المساواة (=) بين الحرب والصراع المسلح . ان الصراع المسلح لا يستنفد كل مضمون الحرب . ولا يوجد تطابق كامل بين هذين المفهومين . ان مفهـوم « الحرب » أوسع من مفهوم « الصراع المسلح » . أولا ، يترابط الصراع المسلح ـ بشكل وثيق ـ مع الصراع الاقتصادي والدبلوماسي والايديولوجي في عملية الحرب ، وتتوحد جهود الجبهة مع جهود المؤخرة . ثانيا ، لا تتحدد اهداف الصراع المسلح ، واشكاله وطرقه ، ومجالاته وايقاعاته واستمراره ، بنوعيـة السلاح والعامل الانساني فحسب بل وبالسياسة ايضا .

ان مماثلة الحرب بالصراع المسلح ــ يعني تجاهل **المقياس الموضوعي** لايضاح الجوهر الطبقي ــ السياسي للحرب ، وطابعها الاجتماعي ، وتقسيم الحروب الى حروب عادلة وحروب جائرة . وان السياسة التي تنفذ في الحرب ، هي هذا المقياس الموضوعي . واذا ماثلنا الحرب بالصراع المسلح ، فان من المستحيل ان نستوضح بصورة صحيحة ــ مثلا ــ اسباب سلبية الاعمال القتالية للقوات الانكليزية ــ الامريكية في أعوام ١٩٤١ ــ ١٩٤٤ ضد الكتلة الفاشستية ، وسعي الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا الى المماطلة في فتح الجبهة الثانية . ولا يعدو الصراع المسلح ــ بدون مضمون سياسي ــ أن يكون أكثر من مجرد عراك .

ان الصراع المسلح ، الموجه من قبل السياسة ، يؤثر ــ بدوره ــ تأثيرا كبيرا على العلاقات السياسية ، وكل الامور الاخرى لحياة الدول المتحاربة . يزيد الصراع المسلح ، ذو الاهداف غير العادلة التناقضات الاجتماعية والسياسية حراجة داخل الدول الراسمالية ، وكذلك العلاقات بين هذه الدول بالذات .

٢ ــ جوهر الحرب النوويـة ــ الصاروخية :

زادت الثورة الحديثة في العمل العسكري ، من الاهتمام بالمسألة حـول جوهر الحرب ، وارغمت على بحثه من وجهة نظر « العصر النووي » وتحليله على ضوء التبدلات العميقة في العالم . ولقد ادى هذا الى تحطيم التطورات والآراء الراسخة والمألوفة عن الحرب .

ولقد نشأ اضطراب وتردد في أوساط المنظرين العسكريين البورجوازيين، فتظاهر بعضهم بأنهم لا يلاحظون المراحل الحديثة في العلاقة المتبادلة بين الحرب والسياسة ، في حين ان البعض الآخر تطرف في تناقضه ، مصرحا بتقـادم المفاهيم السابقة للنظرية الحربية . وتروج مجموعة من المنظرين العسكريين البورجوازيين رواية ، مفادها أن السلاح النووي ــ الصاروخي أدى الى « تقادم » موضوعة الديالكتيك الاساسية المطبقة على الحرب ، والتي تتلخص في « أن الحرب هي مجرد استمرار للسياسة بوسائل اخرى » (وسائل العنف بالذات) . وعلى سبيل المثال ، يكتب ف.آ. ميكشه : « **ان الحرب هي استمرار للسياسة** بوسائل اخرى . ولكن ، هل يتعلق هذا بالحرب الذرية . . . لا احد يستطيع

أن يقول هذا وبالاحرى ، على العكس ... » . ويصرح العسكري الالماني الغربي بيككيرت بأن « **الحرب تبدو – بالنسبة للدول العظمى – غير خاضعة للحساب من حيث السعة ، واكتسبت اهمية مجردة ، وخسرت – في نفس الوقت – صفتها كاستمرار للسياسة بوسائل اخرى** » .

ان سبب هذه الادعاءات هو الخلط بين مسألتين ، وان كانتا مرتبطتين ارتباطا وثيقا ، الا انهما مختلفتان : أولا ، المسألة حول الجوهر الطبقي السياسي لجوهر الحرب النووية – الصاروخية ومضمونها الاجتماعي . ثانيا ، المسألة حول معقولية وملاءمة استخدام مثل هذه الحرب ، كواسطة لتحقيق الاهداف السياسية . ان خلط هاتين المسألتين لا اساس له من وجهة النظر المنهجية العلمية . فهو يؤدي موضوعيا الى اخفاء الجوهر الطبيقي – السياسي للحرب النووية – الصاروخية .

يخصص مكان كبير – في النظريات السياسية الامبريالية – لتبرير القوة ، باعتبارها اساسا للسياسة الداخلية والخارجية . ففي كتاب « النظريات الحديثة في العلاقات الدوليه » ، الصادر في الولايات المتحدة الامريكيه ، يجيء بأن السياسة الدولية – كأية سياسة اخرى – هي الصراع في سبيل القوة ، وتؤدي القوة في السياسة الى العنف المسلح – الى الحرب . ونعبر عن هذه الآراء مثل هذه التصورات الامبريالية العدوانية : « السياسة من موقع القوة » و « سياسة حافة الهاوية » .

يقف الدوغماتيون(١) ، واليساريون التكلاميون ، موقفا خاصا من المسألة حول جوهر الحرب النووية – الصاروخية . ويتجاهلون ، وهم يكررون المبدا الاشتراكي حول الحرب باعتبارها استمرارا للسياسة بوسائل العنف ، الخصائص النوعية للسلاح النووي – الحراري ، والعواقب الوخيمة المحتملة لاستخدامه . ويسعى الدوغماتيون الى استخدام مبدا الارتباط المتبادل بين

---

(١) الدوغماتيون : من الدوغماتيزم ، اي الروح العقائدية الجامدة او التعصب للمبدا .

الحرب والسياسة ، من أجل البرهان على حتمية الحرب النوويه كواسطة لسحق الرأسمالية وانتصار الاشتراكية على النطاق العالمي .

تعتبر الاشتراكية العلمية ان الظواهر ، وكذلك الجواهر ، متغيرة ومتحولة. ولكن الجواهر تتغير ــ بطرق مختلفة ــ في العمليات والاشياء المختلفة . ويمكن ان نلاقي في الواقع الحقيقي مثل هذه الاشياء والمواد والعمليات ، التي تتعرض جواهرها (مهياتها) لتبدلات جذرية .

ان جوهر الحرب النووية ــ الصاروخية ــ اذا لم يتيسر تلافيها ــ لن يتغير من حيث الاساس . وكما ان التقدم التكنيكي عاجز بذاته عن تغيير طبيعة النظام الاجتماعي ، كذلك فان تطور العتاد الحربي والسلاح لا يستطيع ان يغير الطبيعة الاجتماعية للحرب ، ولا ان يلغي ارتباطها بالسياسة . ان شكل الصراع السياسي يمكن ان يتغير ، وهو يتغير باستمرار ، غير أن جوهر الصراع ، ومضمونه السياسي ، لا يمكن ان يتغيرا ما دامت الطبقا .

سوف تكون الحرب العالمية الحديثة ــ اذا اشعل الامبرياليون نارها ــ استمرارا لسياسة الامبريالية واحلافها العسكرية . وسوف تكون هذه الحرب ــ من حيث جوهرها الاجتماعي ــ السياسي ــ حربا طبقية بين نظامين متناقضين ــ النظام الاشتراكي والنظام الراسمالي . وسوف تتوخى الاطراف المتصارعة اهدافا سياسية حاسمة للغاية ، وسوف يحدد هذا ــ لدرجة عظيمة ــ طابع الصراع المسلح ، وطرقه ووسائطه .

واذا بقيت الحرب النووية ــ الصاروخية استمرارا للسياسة ، فهذا يعني انه لن تحصل اية تبدلات في جوهرها ، وسوف تتميز الحرب النووية ــ الصاروخية ــ حينذاك ــ جوهريا عن حروب الماضي ، وخاصة من حيث مضمونها الطبقي ــ السياسي الملموس ، واهدافها ، وطابعها التنيكي ــ العسكري ، واشكال الصراع المسلح الحديثة ، ونتائجها .

لا يجوز ، ونحن نحلل جوهر الحرب النووية ، ان نحاول بحث السلاح النووي ــ الصاروخي بمعزل عن السياسة ، كما لو انه ثمرة خالصة للتقدم التكنيكي . لم ينشيء التقدم العلمي ــ التكنيكي الا امكانية اختراع هذا

السلاح . غير أن الدور الحاسم في تحويل هذه الامكانية الى واقع ، يعود الى السياسة العدوانية للامبريالية الامريكية . ويعترف بهذا الامريكيون أنفسهم . نفي كتاب « خرق السلام » الموضوع من قبل مجموعة من العلماء الاجتماعيين في الولايات المتحدة الامريكية ، يجيء : « بدات الدولة الامريكية تستخدم ــ منذ عام ١٩٤٥ ــ احسن قوانا الوطنية في الاعداد لابادة البشر الشاملة ... وخلال عقد واحد فقط ، وظفت الولايات المتحدة الامريكية مبالغ ضخمة في انتاج وسائل الابادة الشاملة ــ في انتاج السلاح بالذات ، وفي انتاج الاجهزة الالكترونية ، والطائرات ، والصواريخ المخصصة لايصال السلاح الى الهدف . ان عشرات الالوف من العلماء والمهندسين مشغولون بالبحوث النووية والجرثومية والكيميائية » .

ان السلاح النووي ــ الصاروخي ، الذي يعتبر احدى ثمار التقدم العلمي ــ التكنيكي والتاثير الفعال للسياسة ، اصبح يؤثر ــ بدوره ــ تأثيرا عظيما على سياسة الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها ، معززا فيها عناصر المذهب الارادي وروح المغامرات . ان تكديس هذا السلاح ، وبث الروح العسكرية العدوانية ، يزيدان ــ اكثر فاكثر ــ من حراجة الموقف الدولي ، ويزيدان من خطر نشوب الحرب العالمية المقبلة التي ستتصف « **بالاتساع والامتداد الشاسعين ، وستكون حربا قارية . وستسمح الاسلحة الاستراتيجية الصاروخية ــ النووية بنقل مركز الثقل في الصراع المسلح من منطقة التماس المباشر للقوات ، ومن منطقة الجبهة الى اية مسافة واي عمق . كانت اوروبا وآسيا وجزء من افريقيا مسرحا للاعمال الحربية في الحرب العالمية الثانية . اما في الحرب النووية المقبلة ، فان مسرح الاعمال الحربية سيشمل الكرة الارضية باسرها ... وستاخذ الحرب العالمية المقبلة طابع الحرب النووية ــ الصاروخية ، وستكون وسائط التدمير الرئيسية فيها الاسلحة الصاروخية ، وستكون الصواريخ ذات الانواع المختلفة الواسطة الرئيسية لايصال هذه الاسلحة الى اهدافها**»(١) .

---

(١) « تاريخ فن الحرب » الجزء الثاني وضعته لجنة من الضباط السوفييت برئاسة الجنرال ت.ت. ستروكوف ، بروفسور ودكتور في العلوم التاريخية ، نقله عن الروسية اللواء الركن صباح الدين الاتاسي ، عام ١٩٦٨ ، ص ٤٦٠ ــ ٤٦١ .

وفي ظروف الاشتراكية ، يبد والسلاح النووي ــ الصاروخي ، المصنوع كواسطة دفاعية ــ جوابية ضد التهديد الامبريالي الامريكي ، ستارا ناريا ، يحمي البلدان الاشتراكية من اي عدوان مفاجيء .

وعلى هذه الصورة ، يحتفظ التعريف الاشتراكي العلمي للحرب ــ باعتبارها استمرارا للسياسة بوسائل العنف ــ بقوته كاملة حتى وقتنا الحاضر . وهو يمثل الاساس النظري والمنهجي العلمي لتحليل جوهر وطابع الحرب النووية ــ الصاروخية المحتملة . ان لهذا التعريف أهمية عظمى بالنسبة لحل مسائل نظرية الحرب وتطبيقاتها ، وبالنسبة لتربية افراد القوات المسلحة . وهو يصلح سلاحا ماضيا في الصراع ضد الايديولوجية البورجوازية الامبريالية .

٣ ــ بطلان الآراء البورجوازية في مصادر الخطر النووي :

ليس من قبيل الصدفة ان المسألة حول مصادر الحروب ــ في العصر الحديث ــ هي موضوع صراع عنيف بين الايديولوجيتين : الاشتراكية والبورجوازية . ويتعلق حل هذه المسالة ، نطاق وفعالية صراع الجماهير الشعبية الواسعة ضد الحرب النووية ــ الحرارية العالمية .

يوجد ــ في البلدان الراسمالية ــ العديد من النظريات المختلفة حول اسباب الحروب . ولقد تراجع بعض هذه النظريات ــ تحت تأثير التبدلات الاجتماعية ــ السياسة العميقة في العالم ، والثورة في العمل العسكري ــ الى المقام الثاني من الاهمية ، بينما شغل البعض الآخر ، وهو يتعرض لتبدلات وتجديدات عظيمة ، المقام الاول من الاهمية . لنتوقف عند نقد الاسس المنهجية لبعض هذه النظريات ، التي تستخدم ــ بشكل واسع ــ من قبل الامبريالية بغرض اخفاء مصادر الخطر النووي .

يقع التفسير السيء لاسباب الحروب في **مجموعة النظريات البيولوجية**[1] ،

---

(١) البيولوجية : من البيولوجيا : علم الاحياء ، علم الحياة أو الكائنات الحية في جميع أشكالها وظواهرها .

التي تعتمد على مذهب الطبيعية في علم الاجتماع البورجوازي . يعمم انصار هذا المذهب قوانين تطور المملكة الحيوانية على المجتمع البشري . وهم لايبحثون الحرب كظاهرة اجتماعية ـ تاريخية ، وانما كظاهرة بيولوجية ، تستند ـ اصلا ـ الى طبيعة الانسان وغرائزه .

ان احدى نظريات هذه المجموعة ـ **هي النظرية الاجتماعية ـ الداروينية** ، التي تنشأ الحرب ـ وفقا لها ـ بالاصطفاء الطبيعي والصراع في سبيل البقاء . تنظر هذه النظرية الى البشر المميزين (الطبيعيين) نظرتها الى الحيوانات والنباتات . **ان الحرب ـ يكتب الفيلسوف الكوزموبولينتاني**(1) **ر. كونغوف ـ كالبرغي ـ عبارة عن شكل محدد للصراع الابدي في سبيل البقاء ، واظهار السنن البيولوجية والحالة الطبيعية للمجتمع** . وحسب رايه ، يجري ـ في كل انسان ـ **دم قابين** ـ القاتل الاول ، والمقاتل الاول . وهو يصرح ـ في هذه الايام ـ بان الانسانية تعاني مرضا مميتا : خطر الحرب الذرية الماحقة . وفي مؤلفات علماء الاجتماع الداروينيين الآخرين يشار بدقة ـ كذلك ـ الى السببية البيولوجية للحرب .

يتلخص الفكر الطبقي للنظرية الاجتماعية ـ الداروينيه في السعي الى تخليد العنف المسلح ، ورفع المسؤولية عن الطبقات الاستغلالية في اشعال حروب الابادة ، والبرهان على سخافة الصراع ضد حرب عالمية جديدة . وليس من قبيل الصدفة ، ان هذه النظرية تستخدم من قبل العسكريين الامبرياليين في اغراضهم . وتروج بقوة ـ في بلدان حلف (الناتو) ـ مقولة ان « الحرب قانون الطبيعة » . وتعترف بهذا مجلة « التايم » الامريكية .

ان محاولات تفسير الظواهر الاجتماعية بقوانين الطبيعة ، خدعة طبيعية كاذبة وتفسير صبياني مطلق . ان التلاعب بالمصطلحات البيولوجية ، ونقل المفاهيم البيولوجية الى مجال العلوم الاجتماعية ، دليلان على التعبير العقيم والعمل الكلامي الميت .

---

(1) الكوزموبوليتاني : (أ) عالمي ، غير محلي . (ب) متحرر من الاحقاد القومية أو المحلية . (ج) مواطن العالم : شخص يعتبر العالم كله وطنا له .

ان النظرية الثانية ، من نظريات المجموعة البيولوجية ، هي **النظرية العنصرية (العرقية)** التي يرى ممثلوها مصدر الحرب في وجود عداء أبدي بين الاجناس (العروق) المختلفة . ان العيب المنهجي الرئيسي لهذه النظرية — هو خلط الجنس (العرق) كمقولة بيولوجية مع الامة ، وهي مقولة اجتماعية ــ تاريخية ، وكما هو معلوم ، فقد كانت النظرية العرقية اساس ايديولوجية الفاشستية الالمانية . ويدافع عن هذه النظرية ــ في الوقت الحاضر ــ عسكريو الولايات المتحدة الامريكية ، وجمهورية المانيا الاتحادية .

تستخدم الرجعية الامبريالية النظرية العنصرية (العرقية) كغطاء فكري للسياسة العدوانية واثارة النزاعات العنصرية (العرقية) ، وتأليب الشعوب على بعضها البعض . وان تعليمات وكتب وانظمة القوات المسلحة ــ في حلف (الناتو) ــ مليئة بالافكار العنصرية ، التي تتجسد ــ في الواقع ــ في تسلط الشوفينية البيضاء ، وفي التمييز العنصري ، وفي اعمال السلب والنهب ضد شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

تكشف الاشتراكية القناع عن ادعاءات الامبرياليين حول الفروق العنصرية (العرقية) كمصدر للحروب . ان الفروق العنصرية (العرقية) ــ من حيث لون البشرة والشعر والعيون ، وشكل الانف والشفاه والجماجم وغيرها ــ سمات بيولوجية خارجية ، ناشئة بنتيجة التكيف المديد للناس في ظروف الوسط الجغرافي . وبصرف النظر عن هذه الفروق الخارجية ، فان السمات الاساسية للتكوين البيولوجي ــ الطبيعي ــ من حيث تركيب الهيكل العظمي والعضلات والدماغ ــ هي نفسها لدى كافة الاجناس (العروق) .

وكما تبين الانتروبولوجيا (علم السلالات البشرية) : فان كافة الاجناس (العروق) تتمتع بامكانيات بيولوجية ونفسية وعقلية متماثلة . ان الدور التاريخي المتفاوت ، والمساهمة المتنوعة في العلم والثقافة العالميين ، وتخلف بعض الشعوب في التطور الاقتصادي ــ كل هذا لا يفسر بالفروق العنصرية (العرقية) ، وانما بالاسباب الاجتماعية ، وطابع النظام الاجتماعي ، والنير الاستعماري العريق في القدم .

ان النظرية الثالثة ، من نظريات المجموعة البيولوجية ، هي **النظرية المالتوسية الجديدة** ، وهم ويعيدون اصلهـا القس الانكليزي **ت. مالتوس** (١٧٦٦ — ١٨٣٤) ، ويعتبر اتباعها الحاليون ، ان مصدر الحروب هو « كثرة النسل المفرطة » و « كارثة زيادة نمو السكان » وهم يبحثون الحرب النووية كواسطة لازالة « الافـواه الفائضة » . ويدعي المالتوسي الامريكي الجـديد **ف. فوغت** في كتابه « البشر يهددون البقاء » ان « تيار التناسل الجارف اكثر خطرا من القنبلة الهيدروجينية » . ولا يقل العالم الاجتماعي الفرنسي **غ. باتول** عنه استهتارا بقوله في كتابه « فيض السكان » : « ان الحرب هي احدى الطرق القاسية والمدمرة ، التي يتجدد بواسطتها التوازن بين الانواع ووسطها ، وكذلك توازن المنافسة بين الانواع والفئات المتزاحمة » . وحسب رايه ، تعوض الخسـائر الحربية بسرعة ، الامر الذي « يسمح بالمخاطرة في الحروب المميتة » يسعى مثل هذا الصنف من المالتوسيين الجدد لهذه الحجج الى اخفاء الاسباب الاصليـة للحروب ، وتبرير السياسة العدوانية الامبريالية .

ان النظرية الرابعة ، من نظريات المجموعـة البيولوجية ، **هي النظريـة الجغرافية ــ السياسية** للحرب . وكما يدعي انصارها ، فان اسباب الحروب تكمن في العامل الجغرافي ــ في نقص « المجال الحيوي » ومن المعلوم ، ان الامبريالية الالمانية استخدمت هذه النظرية كاحدى الوسائط لاعداد حربين عالميتين . وهي تلقى ــ في الوقت الحاضر ــ اهتماما عظيما في الولايات المتحدة الامريكية ، وفي جمهورية المانيا الاتحادية ، من اجل تبرير العنف في العلاقات بين الدول .

ويسعى العلماء الجغرافيون ــ السياسيون الامبرياليون الى رد الاعتبار لهذه النظرية وتحديدها بعض الشيء ، وسترها بغطاء العلمية . ولكن الاهداف الحقيقية للنظرية المجددة هي نفسها ــ وضع « الاساس الجغرا فيــ السياسي » لسياسة الامبريالية العدوانية واستراتيجيتها .

يتلخص المطعن المنهجي للنظرية الجغرافية السياسية ــ قبل كل شيء ــ في تجاهل طريقة الانتاج كقوة محددة للتطور الاجتماعي ، وفي فتيشية[1] العامل

(١) لتيشية : عبـادة الرقي .

الجغرافي ، وفي التفسير السيء لمصادر السياسة والحرب . ان هذه النظرية رجعية وعدوانية ومخالفة للعلم كليا .

تعكس كل النظريات البيولوجية والجغرافية ـ السياسية العجز الفكري ـ النظري والمنهجي لدعاة الراسمالية ، ومساعيهم لاخفاء الجذور الاجتماعية للحرب .

تشكل **النظريات النفسية** المجموعة الثانية من النظريات البورجوازية حول اسباب الحروب . ولقد تكونت هذه النظريات على أساس **المذهب النفسي** لعلم الاجتماع البورجوازي ، الذي يعتبر الحالة النفسية ـ لدى بعض الاشخاص أو الفئات الاجتماعية ـ عاملا رئيسيا في التطور الاجتماعي ، ومصدرا للحروب والكوارث الاجتماعية الاخرى . لا يعالج ممثلو هذا المذهب الحالة النفسية كانعكاس لظروف حياة المجتمع المادية ، وانما كشيء مستقل ، وثابت ، لا يتغير . وهم يربطون بالحالة النفسية ، في حقيقة الامر ، كل اشكال الوعي الاجتماعي ـ الآراء السياسية والقانونية ، والفلسفة ، والاخلاق وغيرها ، ويقدمون الى مركز الصدارة ـ بالنسبة للحالة النفسية بالذات ـ الغرائز والاهواء الوجدانية .

ان مثل هذه الطريقة لمعالجة حالة الانسان النفسية مميزة ـ قبل كل شيء ـ بالنسبة لانصار مدرسة التحليل النفسي أو المدرسة الفرويدية ، التي اوجدها الطبيب النمساوي والعالم النفساني ز. فرويد والتي تعتبر حالة البشر النفسية مصدرا للقوى غير الواعية وغير المعقولة . ان الانسان في تصورهم ـ مجموعة من الغرائز الفطرية والمدمرة ، وان اهم هذه الغرائز « غريزة روح الاعتداء » . يكتب العالم النفساني الانكليزي د. ريكمان ـ « ينحصر صنف محدد من البواعث العدوانية ، التي يستحيل استئصالها » . وتبدو هذه « البواعث العدوانية » سببا جوهريا للحروب .

ان النظرية الثانية من مجموعة النظريات النفسية هي **النظرية السلوكية**[1] ،

---

(۱) النظرية السلوكية : نظرية أو طريقة تقول بأن دراسة السلوك الظاهر للانسان والحيوانات هو موضوع علم النفس الحقيقي .

التي تربط الوعي الانساني والحالة النفسانية بردود فعل الكائن الحي الخارجية ازاء تأثير الوسط ، والافعال المنعكسة الشرطية ، والخبرات والعادات . لا يعتبر السلوكيون « غريزة روح الاعتداء » الفطرية ، التي يقول بها المحللون النفسانيون، سببا للحرب ، وانما يزعمون ان « عادة الهجوم العدوانية » تتكون بتأثير الظروف الخارجية .

ويتضح الدور الرجعي للنظرية النفسية من زعم الامبرياليين العسكريين — وهم يعتمدون عليها — بأن السبب الوحيد لنشوء الحرب العالمية الثانية ، هو الحالة النفسية العدوانية لهتلر . ويحاول الايديولوجيون الامبرياليون في « بون » ، وهم يلقون كل اسباب جرائم الفاشستية على عاتق هتلر وحده ، ان يردوا الاعتبار الى الروح العسكرية الالمانية ، وان ينزعوا عن الاركان العامة الالمانية مسؤولية اشعال نيران الحرب المفجعة ، التي ذهبت بعشرات الملايين من الارواح البشرية ، ودمرت قيما مادية عظيمة .

يستخدم المنظرون البورجوازيون — ايضا — منهج البحث النفسي ، من اجل تحليل آفاق تطور الانسانية . وينكرون امكانية استبعاد الحرب من حياة المجتمع ، مستشهدين ب « فساد » الحالة النفسية للبشر . ويؤكد علماء الاجتماع النفسيون ان التقدم العلمي — التكنيكي والثورة في العمل العسكري ، قد زادا من امكانات ظهور شخصية سياسية أو عسكرية — كهتلر — ذات حالة نفسية « نووية » لا تخاف تخطي « العتبة النووية الحرارية » ، ووضع البشرية امام واقع حرب عالمية جديدة . ولا يرغب هؤلاء الايديولوجيون ان يروا ايــة وسائل حقيقية ، ولا اية قوى اجتماعية — سياسية ، قادرة على منع الكارثة النوويــة .

يرى بعض المفكرين ان **التناقض الايديولوجي بين النظـامين العالميـين — الاشتراكية والراسمالية — هو المصدر الرئيسي لخطر الحرب في الوقت الحاضر** . ويصرح انصار هذا الراي بأن تاريخ العالم هو عبارة عن تاريخ افكار : ميلادها ، وريعانها ، وافولها ، وموتها ، كما يصرحون بأن الافكار تؤسس وتسقط الدول ، وتسبب الثورات والحروب .

ان دعاة هذه الآراء ، المتضافرة تماما مع النظريات البيولوجية والنفسية وغيرهـا ، ينقلون الاختلافات الايديولوجية الى مجـال العلاقات الدولية ، ويستبدلون السياسة بالايديولوجية ، التي يعالجونها كسبب رئيسي لايـة حرب نووية مقبلة . وفي الواقع ، ان التناقضات الايديولوجية نتاج التناقضات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

توجد في ترسانة العسكريين الايديولوجية – أيضا – **النظرية الاخلاقيـة (الادبية)** للحرب . ويعتبر دعاتها الحرب واسطة لتطهير المجتمع تطهيرا أخلاقيا من الخمول والفساد والعفونة . ولقد استخدم الفاشستيون هذه النظريـة لاغراضهم . وما زال الايديولوجيون الامبرياليون يصرحون – في الوقت الحاضر – بأن الحرب النووية – الحرارية اداة للتقدم الاخلاقي (الادبي) .

ويحاول الايديولوجيون الامبرياليون في نفس الوقت – فضلا عن هذا – نفي القياس المعنوي حول تحديد طابع الحرب الحديثة ، وتقسيم الحروب الى عادلة وجائرة . ويصرح العالم الاجتماعي الامريكي **د. فرانك** « يجب علينا ان نعترف بأن فكرة (الحرب العادلة) هي الايمان بأن الحرب مبررة من الناحية المعنوية ، اذا ما شنت في سبيل قضية نبيلة ، وهذا هذيان خطر في العصر النووي » . ويؤكد الكاتب العسكري الانكليزي **س. كينج – هول** ان مفهوم الحرب العادلة بالذات قد زال ، مع ظهور السلاح النووي . ان هذه النظرية خاطئة وضارة للغايـة .

ويروج بعض الايديولوجيين الامبرياليين ان **خطر الحروب المبيتة يكمن في التكنيك والعلم الحديث** . ان الاساس الفكري النظري لهذه المقولة هو علم الاجتماع التكنيكي – الصناعي ، الذي يبحث التكنيك والعلم كعلاقات منعزلة عن العلاقات الاجتماعية للظواهر . ويصرح انصار مثل هذه المقولة ، بأن السلاح النووي قد تحول الى « قوة شيطانية » ، خرجت من رقابة السياسة ، واصبحت عاملا مريعا ، يهدد مستقبل الانسانية . ويتجاهل هؤلاء الايديولوجيون أن النظام الراسمالي – بالذات – هو الذي أسبغ الطابع العسكري على العلم والتكنيك ، واحيا السباق الجنوني في مجال الاسلحة النووية – الصاروخية والعادية .

يتمسك بعض علماء الاجتماع البورجوازيين — وهم يبحثون عن مصدر الحروب — **بمذهب التعددية** ، الذي يقوم من حيث الاساس على تعدد العوامل التي تسبب نشوء الحروب . وبالرغم من ان **التعدديين** لا يعتبرون انفسهم اعداء للماديين فحسب ، بل وللمثاليين ايضا ، فان انصار هذا المذهب الجديد الثالث — في علم الاجتماع — يبشرون عمليا بالآراء الخيالية والسفسطائية حول الحرب ومصادرها .

ويبالغ المنظرون البورجوازيون بدور **الصدفة** في نشوء الحروب ، كما يفعل هذا العالم الاجتماعي الامريكي آ. **اتسيوني** في كتابه « النصر بلا حرب » ، الصادر في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٦٤ .

ان مقولات التجريد والضرورة والصدفة في النظريات البورجوازية حول اصل الحرب — ليست مقولات نظرية خاطئة وانما هي اسلوب دعائي . معد لارباك الجماهير الشعبية ، وتعويدها على الفكرة القائلة بحتمية الحرب النووية — الحرارية العالمية .

وفضلا عن النظريات الامبريالية ، التي تحاول — بشكل ما — تعليل حتمية الحرب ، تنتشر في البلدان الراسمالية **نظريات السلام البورجوازية** ، التي يشجب دعاتها كافة انواع الحروب ، بما فيها الحرب النووية — الحرارية والحروب العادلة .

ان مصدر اية حرب يكمن في طرق استغلال الانتاج ، وفي النظام الاقتصادي — السياسي الاستغلالي ، وفي تقسيم المجتمع الى طبقات متناحرة .

ولقد اثار المجتمع الاستغلالي — منذ لحظة نشوئه وحتى الوقت الحاضر — العديد من الحروب الكبيرة والصغيرة ، التي ذهب ضحيتها حوالي اربعة مليارات من البشر . وتمثل الامبريالية — في الظروف الحديثة — المصدر الوحيد لخطر الحرب اذ قادت الانسانية الى حربين عالميتين ، وتهددها — حاليا — بتوريطها في كارثة نووية حرارية . ولا يمكن ان تزول اسباب الحروب الا بزوال الامبريالية ، والقضاء على كافة اشكال الاستغلال الاقتصادي والسياسي .

٤ ـ حول النتائج المحتملة للحرب النووية ـ الصاروخية

تنطوي الحرب على خطر كبير بالنسبة للشعوب . ومع ظهور السلاح النووي ـ الصاروخي ، ازدادت ابعاد هذا الخطر بصورة لا مثيل لها من قبل . ولذلك ، فان مسألة النتائج المحتملة للحرب النووية ـ الصاروخية اكتسبت توترا خاصـا .

ان القسم الاعظم من الايديولوجيين البورجوازيين ، المرتبطين ارتباطا وثيقا بالاوساط القيادية للاحلاف الامبريالية العدوانية ، يغلق العيون عن الخطر النووي ـ الحراري ، ويصر على سباق التسلح غير المحدود ، ويدعو الى اثارة النزاعات الحربية ، واشعال الحروب الصغيرة والكبيرة .

ان سياسة العدوان الامبريالية ، التي تسوغ الحرب النووية ـ الحرارية ، تستقر في مجموعة من المذاهب البورجوازية . ان احد هذه المذاهب ـ **مذهب « التطهير النووي الراسمالي »** المعروض في كتاب « تراث هيروشيما » لمؤلفه العسكري الامريكي **أ. تيللر** ، الذي يقلل من خطورة النتائج المدمرة للحرب النووية ، ويدعو الى انشاء وقاية قوية ضد الاسلحة الذرية ، والى نقل المدن الكبرى لتحت الارض ، والاستعداد للضربة النووية المحلية ، والضربات النووية الكروية ـ الارضية ، في حال توقف المفاوضات .

يطور الايديولوجي الامريكي **هـ. كاهن** ـ في كتبه « حول الحرب النووية ـ الحرارية » و « افكار حول المستحيل » و « حول التصاعد » ـ مذهب « قبول » الحرب النووية ـ الحرارية ، الذي يتفق ومذهب « التطهير » . ان الاستخفاف بالنتائج الخطرة للحرب النووية ـ الحرارية ، والمعالجة الكمية الصرفة لهـا يشكلان ـ كذلك ـ الاساس المنهجي لهذا المذهب . يدعي **كاهن** ان الانسانية سوف تعاني حربا عالمية ثالثة مع استخدام السلاح النووي ـ الصاروخي ، طالما ان التخريبات والضحايا « لا تستبعد الحياة العادية بالنسبة للباقين على قيد الحياة »(١) . ووفقا لحساباته ، لا بد من (٥٠) عاما من اجل تجديد

(١) هـ. كاهن ، « حول الحرب النووية ـ الحرارية » ، برينستون ، عام ١٩٦٠ ، ص ٢٢ ، ٤٦

اقتصاد الولايات المتحدة الامريكية ، اذا هلك في الحرب النووية ــ الحرارية (٨٠) مليونا من الامريكيين . ويؤكد هذا الرأي مدير فرع البحوث والتكنيك في وزارة دفاع الولايات المتحدة الامريكية ، الجنرال غ.آ. كنت الذي يرأس جماعة لدراسة النتائج المحتملة للحرب النووية . وهو يرى انه في حالة نشوء مثل هذه الحرب ، سوف يهلك ٧٠٪ من السكان الامريكيين .

ان المذاهب والنظريات ، التي تسبغ على الحرب النووية صفة الشرعية ، وجدت طريقها الى التصورات الاستراتيجية للامبريالية الامريكية . ان احد هذه التصورات ــ هو استراتيجية « الانتقام الجماعي » ولقد جرى التنبؤ ــ في الحقيقة ــ على شكل واحد ــ هو الحرب النووية ــ الحرارية ، التي تعم الكرة الارضية . ولقد استبدلت الولايات المتحدة الامريكية ــ نظرا لفقدانها احتكار السلاح الذري ــ استراتيجية « الرد المرن » باستراتيجية « الانتقام الجماعي ». ويصف الجنرال م. تايلور ــ واضع استراتيجية « الرد المرن » ــ بانها القدرة على « الرد على اي تحد ممكن ، والعمل بنجاح في اي موقف »(١) .

ان استراتيجية « الرد المرن » معدة ــ على حد سواء ــ الحرب النووية ــ الحرارية العالمية وللحروب المحدودة والمحلية مع استخدام الاسلحة العادية . ان الطابع العدواني لهذه الاستراتيجية ظهر ــ بوضوح ــ في الحرب الاجرامية ضد الشعب الفيتنامي ، الذي تعرضت مدنه وقراه المسالمة للقصف الامريكي الهمجي ، والنابالم ، والغازات السامة ، ووسائط الابادة الوحشية الاخرى .

وبينما يحاول بعض الايديولوجيين الامبرياليين تبرير وتقنين الحرب النووية ــ الحرارية ، ويدافع دفاعا صريحا عن العنف النووي ، يعترف البعض الآخر بخطر الحرب النووية ــ الحرارية ، ويشير الى ان الحرب النووية ــ الحرارية يمكن ان تؤدي الى انحلال النظام الاجتماعي ، والى نسفه كليا . ولكن حتى هذا البعض الآخر لا يعترض ــ مبدئيا ــ على الحرب النووية ــ الحرارية ، وانما يرغب أن يحدد الحرب ، وأن يحصرها في موضع معين ، مع استخدام

---

(١) م. تايلور ، « الاستراتيجية غير الراسخة » ، دار الطباعة والنشر العسكرية ، عام ١٩٦١ ، ص ٣٦

السلاح النووي التكتيكي ، الذي يعتبر أقل الوسائط خطرا ، من أجل تنفيذ الخطط الامبريالية العدوانية والاغتصابية . ان مثل هذه الحروب ، يصرح الاستاذ الامريكي العالمي ف. كاوخمان ، تقي الامبريالية من الهزات الثورية ، التي تبدو نتيجة حتمية للحروب الكبيرة .

ولكن الامل المعقود على حصر الحرب في موضع معين ، والاستخدام المحدود للسلاح النووي ــ الصاروخي ، وهميان وخياليان . وتبين تجارب التاريخ ، ان الحروب المحدودة والمحلية تستخدم كمقدمة للحروب العالمية ، وتسرع باضرام نيرانها . وهذا لا يعني ــ بطبيعة الحال ــ ان اية حرب محدودة ينبغي أن تتحول حتما الى حرب عالمية .

يثير الرعب ــ من نتائج الحرب النووية ــ التشاؤم لدى بعض الايديولوجيين البورجوازيين ، ويولد التصور حول الافول المحتوم للتاريخ الانساني ، وحول الكارثة الحتمية للحضارة العالمية ، ونهاية الحياة على كوكبنا ، وهكذا ، يجيء في كتاب الفيلسوف الالماني الاتحادي **ك. يسبرس** ــ « القنبلة الذرية وانسان المستقبل » أن « الانفجار ، الذي يقبر كل شيء ، يمكن ان يحدث في أية لحظة ... وسوف يجد العالم نفسه على الطريق الى الهلاك الشامل للانسانية » . ويزعم الايديولوجي الالماني الاتحادي **غ. زيبرس** ، أن السلاح النووي قلب كل المفاهيم والتصورات السابقة عن الحرب ، وشطب فحوى الاستراتيجية ، محولا اياها الى اداة للانتحار ، واستبعد اية امكانية للنصر وان السلاح الحديث يدمر الحياة على الارض ، ويؤدي الى دمار الحضارة الانسانية المعاصرة ، والى زوال « العصر التكنيكي » .

وفضلا عن علماء الاجتماع ، يتحدث ــ أيضا ــ بعض الشخصيات العسكرية عن النتائج المدمرة للحرب النووية ــ الحرارية . ولقد كتب الفيلد مارشال الانكليزي **آ. مونتغمري** مثلا ــ وهو ينتقد بحدة الاستراتيجية النووية لحلف « الناتو » ــ : « ان مثل هذه الاستراتيجية تؤدي فعلا الى حرب نووية كبرى ، وسوف تكون هذه الحرب نهاية الحضارة الغربية » . وبمثل هذه الروح عبّر ــ أيضا ــ الجنرال الامريكي **د. ماك آرثر** ، الذي ناشد الاعلان عن أن الحرب العالمية غير قانونية .

ان التفسير الحق للمسألة حول نتائج الحرب النووية غير ممكن الا على اساس علم مناهج الابحاث العلمية الاشتراكية ، وقبل كل شيء ، على اساس الاستخدام الصحيح للمقولات الفلسفية حول الامكانية والواقع .

يعلم المنهج العلمي الاشتراكي — أولا — ان تعقد الحياة الاجتماعية يولد انواعا عديدة من الامكانات . ثانيا ، لا تتولد اية امكانية وفقا للرغبة الذاتية ، وانما وفقا للواقع الموضوعي بالذات . ثالثا ، اذا كانت الامكانات في الطبيعة تتحول الى واقع بدون مساهمة الانسان ، وبصورة عفوية ، فان الناس ، الذين يرفضون بنشاطهم العملي بعض الامكانات ، ويسارعون بتحقيق البعض الآخر ، يقفون — في المجتمع — خلف هذه الامكانات . رابعا ، ليست اية امكانية قابلة للتحول الى واقع بالضرورة الحتمية . خامسا ، ليس الصعب مستحيلا .

وفي هذه الايام ، تتصادم — في المضمار الدولي — امكانات مختلفة . وان احدى هذه الامكانات — هي امكانية اشعال نار الحرب النووية — الصاروخية العالمية . ويؤكد مجرى التاريخ خصائص الامبريالية الامريكية ، كأداة للقمع الوحشي والاغتصابي ، وكمصدر للمغامرات والاستفزازات العسكرية . ان الامبريالية الامريكية ، وهي تقوم بدور الدركي ، تتدخل بفظاظة في القضايا الداخلية للعديد من شعوب وبلدان افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية ، وتنتهك سيادتها ، وتسعى الى قمع حركة التحرير الوطني بقوة السلاح ، والى تجديد الانظمة الاستعمارية . كل هذا يوتر الموقف الدولي ، ويزيد من خطر نشوب حرب عالميـة .

وكما هو معلوم ، فقد كانت هنالك امكانية حقيقية — اثناء الحرب العالمية الثانية — لاستخدام السلاح الكيميائي من قبل الاطراف المتصارعة . ومع ذلك لم تتحول هذه الامكانية الى واقع . ولم تخاطر المانيا الفاشستية باستخـدام الوسائط الكيميائية ، بسبب الخوف من التدابير الجوابية . وكما توجد امكانية لاستخدام السلاح النووي — الصاروخي — في اية حرب عالمية جديدة — ، توجد كذلك امكانية مناقضة — هي امكانية تحريم استخدام التدمير الشامل .

وفي عام ١٩٦٣ ، تم الاتفاق — في موسكو — بين الاتحاد السوفييتي ،

والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ، على تحريم تجارب الاساحة النووية في المحيط الجوي والفضاء الكوني وتحت المياه . ولقد انضم الى هذا الاتفاق ــ فيما بعد ــ اكثر من مئة دولة في العالم .

واذا لم يتيسر منع الحرب النووية ــ الحرارية ، في المستقبل ، فانها سوف تكون حربا متميزة تماما عن كل الحروب السابقة بنتائجها المدمرة . وسوف تؤدي ــ بالتأكيد ــ الى تخريبات هائلة ، والى وقوع ضحايا بشرية عديدة .

ان النصر في اية حرب عالمية مقبلة ــ اذا لم يتيسر منعها ــ لن يكون حليف الدول الامبريالية العدوانية الاستفزازية . ويوحي بهذا المصير ــ لاية حرب عالمية جديدة ــ منطق التاريخ ، وقوانينه الموضوعية ، التي تعبر عن الجديد والتقدمي في تطور المجتمع .

وان الدور الفذ ، في تحقيق النصر على المعتدين الامبرياليين ، يعود الى العامل الذاتي ــ النشاط الواعي للجماهير الشعبية المناضلة في سبيل حريتها واستقلالها ، والمكافحة من اجل المحافظة على كرامتها وعلى اراضيها .

ولا بد ، في سبيل المحافظة على كرامة وقدسية الارض ، من تعزيز القدرة القتالية ، ورفع الجاهزية القتالية للجيش والاسطول البحري ــ الحربي .

* * *

الثـــورة الحديثـــة في العمـــل العسكري

كتب خلال الاعوام الاخيرة العديد من الكتب والكراريس ، والمقـالات ، سواء في بلادنا او خارج حدودها عن الثورة الحديثة في العمل العسكري ، وما يزال يكتب عنها القادة ، والكتاب العسكريون ، والشخصيات الرسمية ، والفلاسفة ، وانصار الحرب واعداؤها . ومن الممكن ان تظهر في التيار الادبي فيما يكتب في بعض الاحيان آراء خاطئة . ومع ذلك ، فان للادراك الصحيح لجوهر الثورة في العمل العسكري وخصائصه اهمية نظرية وعلمية كبيرة .

١ ـ مصادر الثورة في العمل العسكري :

ان اية ثورة من وجهة النظر المادية ـ الديالكتيكية ، هي وثبة لا تطـور تدريجي ، وتجاوز له ، وهي تغيير جذري في اساس الظاهرة او العملية ذاتها . ولقد كتب « ف.ا. لينين » : « ان الثورة هي ذلك التحويل الذي يحطم القديم من اساسه وجذوره بالذات ، ولا يعيد صنعه بصورة حذرة بطيئة ، ولا يسعى الى تحطيمه بأقل قدر ممكن »[1] .

حدثت مثل هذه التحولات في العمل العسكري بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، على اثر ظهور السلاح النووي ـ الصاروخي . ان الثورة الحديثة في العمل العسكري هي انعطاف جذري ، ينهي مرحلة من مراحل تطور نظرية الحرب وتطبيقاتها ، ويبدأ مرحلة اخرى . فما هي مصادر هذه الثورة واسبابها ، وقواها الدافعـــة ؟

ترى الفلسفة الماركسية ـ اللينينية انه مهما تنوعت الاحداث والظواهر والعمليات ، فان لها في نهاية الامر اساسا ومصدرا يتصفان بالشمول همـا

(١) ف.ا. لينين ـ المؤلفات الكاملة ـ المجلد ٤٤ ـ ص ٢٢٢ .

الشروط الاقتصادية . وبالتالي ، فان **المصدر الاكثر عمقا للثورة الحديثة في العمل العسكري قائم في الشروط الاقتصادية ، وفي الانتاج المادي .**

وقد تاكد في وقتنا الحاضر بقوة جديدة ، المبدا المعروف لـ « ف . انجلس » في انه « **لا شيء يرتبط ارتباطا وثيقا بالشروط الاقتصادية مثلما يرتبط الجيش والاسطول والتسليح والملاك والتنظيم والتكتيك والاستراتيجية في فترة معينة ، بدرجة الانتاج ووسائط الاتصال قبل كل شيء** »(1) .

ليس من قبيل الصدفة ان تكون الثورة الحديثة في العمل العسكري قد بدات قبل كل شيء في الدول الاكثر تطورا من الناحية الاقتصادية ـ الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفياتي . وفي هذه البلاد بالذات تم انتاج الاسلحة النووية . اما في انكلترا وفرنسا وجمهورية الصين الشعبية فقد تاخر ظهورها مدة طويلة .

ينبغي للدولة ، لكي تنتج العتاد الحربي الحديث والاسلحة النووية ، ان تملك مقدرة اقتصادية جبارة . ان البلد الضعيف اقتصاديا غير قادر على حل مثل هذه القضية . ويمكن القول ان صنع الاسلحة الذرية قبل استخدامها على « هيروشيما » كلف الولايات المتحدة الامريكية مليارين من الدولارات . ويساوي هذا المبلغ جزءا كبيرا من مجموع الدخل القومي في بعض الدول الراسمالية المتطورة .

ان تكاليف تصميم الذخائر وانتاجها مع غيرها من الصواريخ والعتاد الحربي ، ضخمة للغاية . وعلى سبيل المثال ، ان قيمة غواصة ذرية واحدة ، مزودة بصواريخ « بولاريس » تساوي من ٥٠ الى ١٥٠ مليونا من الدولارات . وحسب رأي الاخصائيين الاجانب ، ليس ثمة امل بتخفيض تكاليف تصميم العتاد الحربي الحديث وانتاجه . بل على العكس يكلف كل نوع جديد من انواع الاسلحة اكثر بكثير من انواع الاسلحة الذي يحل محله .

ان ازدياد تكاليف العتاد الحربي يرافقه ازدياد في استثمارها وصيانتها . فاستثمار الجهاز الآلي الامريكي لقيادة القوات نموذج « سيبيدج » مثلا يكلف اكثر من ٣٠٠ مليونا من الدلارات سنويا . ومن اجل خدمة العتاد الحربي

---

(1) ك. ماركس و ف. انجلس ـ المؤلفات ـ المجلد ٢٠ ـ ص ١٧١ .

المعقد ، يلزم عدد كبير من الاخصائيين ، الذين يتطلب اعدادهم نفقات كبيرة . ان متوسط نفقات اعداد طيار عادي في الولايات المتحدة الامريكية تبلغ ١٢٠ الف دولار ، اما التدريب على العتاد الصاروخي فيكلف ٢٠ الف دولار .

يتطلب انتاج العتاد الحربي الحديث الى جانب النفقات المالية الضخمة ، انواعا خاصة من المواد الخام ومنها المعادن النادرة . وتستخدم معظم العناصر الكيميائية التي وردت في جدول العالم « د.ا. مندلييف » في الاغراض الحربية . لاسيما الاورانيوم ، والتيتانيوم ، والالمنيوم ، وبعض المعادن الاخرى بالاضافة الى النفط .

ان انتاج الاسلحة الحديثة والعتاد الحربي ، لا يمكن تصوره بدون التجهيز الكهربائي العالي للصناعة . اذ ان الحصول على الوقود النووي من الاورانيوم ـ ٢٣٥ ، والبلوتونيوم ، ومن الالمنيوم وسبائكه ، والمعادن النادرة ، والمحروقات ، من اجل الصواريخ والنقل بالسيارات ، يتطلب كمية هائلة من الطاقة الكهربائية ، تقدر بمليارات « كيلووات/ساعة » .

ومن المستحيل انتاج اسلحة التدمير الشامل اذ لم تتطور فروع الصناعة الثقيلة ، مثل صب المعادن الحديدية وغير الحديدية وبناء السفن والطائرات وصناعة الاجهزة والادوات والصناعة الالكترونية اللاسلكيه الحديثة ، تطورا عاليـا جـدا .

ان الدور الرئيسي في التامين المادي لضرورات الحرب الحديثة هو لصناعة الآلات . ولكونها قلب كل الصناعة ، فانها تتيح انشاء الآلات والاجهزة ، واعداد العمليات التكنولوجية التي لا بد منها لصنع الاسلحة الصاروخية ـ النووية ، والاسلحة العادية بكميات كبيرة ، وصنع الوسائط الاوتوماتيكية للقيادة .

وعلى ذلك ، فان المستوى العالي لتطور الاقتصاد ، وتوافر الموارد المالية والمادية والبشرية الكبيرة ، شرطان أوليان ضروريان لانتاج الاسلحة النووية ، والعتاد الحربي في احدث انواعه .

ان الثورة الحديثة في العمل العسكري مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتقـدم العلمي ـ التكنولوجي . ولولا الاكتشافات العلمية الرائعة ، لما كانت هذه الثورة .

اثر تطور العلم تأثيرا عظيما في الانتاج المادي . وقد سبق لنجاحات العلوم الطبيعية في القرنين التاسع عشر والعشرين ان اعطت قفزة جديدة لفروع الصناعة ، كالهندسة الكهربائية والكيمياء الكهربائية وغيرهما ، واتاحت ظهور الآلات الجديدة بسرعة ، كما سهلت الانتاج وتنظيمه تكنولوجيا . وفي وقتنا الحاضر ، اتاح العلم استخدام مصادر جديدة للطاقة ، ومواد جديدة . وفي حقيقة الامر ، كان للعلوم دور حاسم في انشاء فروع الصناعة هذه ، كعلم الطاقة الذرية ، وعلم انتاج المعدات الصاروخية ، وعلم الآلات الحاسبة الالكترونية ، وهي علوم تبدو في هذه الايام دليلا هاما على تطور البلاد الاقتصادي .

يحدد العلم بصورة مباشرة تطور العتاد الحربي ، لا سيما الاسلحة النووية . وان فروع العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا ، وكذلك الرياضيات ، اعطت حلا نظريا لمسائل الجانب التكتيكي الاساسية من جوانب فن الحرب . انها مكنت من زيادة قدرة القوات ، بشكل لم يسبق له مثيل ، ومن زيادة قابليتها للحركة والقيادة بصورة كبيرة .

وقد تم صنع ذخائر ذرية على اساس بحث ظاهرة الفاعلية الاشعاعية وطبيعة تركيب نواة الذرة ، واكتشاف التفاعل التسلسلي لانشطار نواة الاورانيوم ، كما ان تطور نظرية الكم ونظرية النسبية والرياضيات ، وقاعدة العلم الصناعية الجبارة ، اتاحت زيادة قدرة الشحنات النووية بصورة كبيرة ، وانشاء الاسلحة النووية ــ الحرارية ذات القوة الهائلة . انشئت مختلف انواع الصواريخ من حيث القدرة ومدى التحليق على اساس الابحاث النظرية في مجال الرياضيات ، والملاحة الفلكية ، والكيمياء ، نتيجة ايجاد انواع جديدة من الوقود ومواد جديدة ، وابتكار جهاز الضبط الآلي ، والمنجزات الاخرى للتقدم العلمي ــ التكنولوجي . وقد احرزت نجاحات الالكترونيات اللاسلكية ، و «السيبرنيتيك»(١) اهمية خاصة ولولاها لتعذر استخدام الطاقة الذرية ، وتعذرت « اتمتة »(٢) قيادة العتاد الحربي والقوات .

---

(١) السيبرنيتيك : علم الاحيائية الآلية او علم الحساب الالكتروني .
(٢) اتمتة : اداة الشيء آليا (ادارة الصنع والانتاج آليا) .

ينبغي أن نشير بشكل خاص الى ان الشرط الهام الاول لانشاء أسلحة التدمير الشامل هو القاعدة التجريبية في البحوث العلمية ، والشبكة الواسعة من مؤسسات الابحاث العلمية ، وتوافر الملاكات العلمية الماهرة ولقد سبق ان اصبح في اعوام الحرب العالمية الثانية عمل البحث العلمي في مجال الطاقة الذرية في الولايات المتحدة الامريكية فرعا مستقلا ، خصصت لتطويره الوسائط الضخمة ، واشترك في الابحاث العلمية لصنع القنبلة الذرية العلماء الفيزيائيون البارزون امثال : « أ. فيري » و « ر. اوينهيمر » وغيرهما .

اما فيما يتعلق بالاتحاد السوفياتي ، فمن المعلوم ان علماءنا حلوا في فترة قصيرة أصعب المسائل في مجال التفاعلات النووية والتفاعلات النووية الحرارية ، وفي مجال انشاء الصواريخ والفروع الاخرى للعلم والتكنيك . ولقد قام بالدور البارز في هذا كله علماء من أمثال « ر. ف. كورتشاتوف » و « س. ب. كوروليف » وغيرهما . ان العلم في المجتمع الاشتراكي يقدم خبرة كبيرة لمسائل البناء الاشتراكي ويحفظه من المعتدين الامبرياليين .

ان الشروط الاقتصادية ، والتقدم العلمي ــ التكنولوجي ، هما في آن واحد مصادر الثورة في العمل العسكري ، وهي لا تظهر نفسها الا تحت تاثير السياسة .

ان السياسة من حيث الاصل مشتقة من الاقتصاد ، وهي قانونية بالنسبة له . اما فيما يتعلق بدورها ، فانها تمتلك تفوقا معروفا على الاقتصاد وكافة النواحي الاخرى للحياة الاجتماعية .

تحدد السياسة اتجاه نشاط البشر في كافة مجالات الحياة الاجتماعية ، وبالدرجة الاولى في المجال الحربي . ان السياسة بالذات تضع في خدمة العمل العسكري كافة منجزات العلم والتكنيك . بمعنى ان **السياسة هي عامل حاسم من عوامل الثورة الحديثة في العمل العسكري وقوته المحركة .**

ان السياسة الرجعية الامبريالية تقع في اساس جهود الولايات المتحدة الامريكية في صنع الاسلحة الذرية . ففي آب عام ١٩٤٥ ، بعد تفجير القنبلتين الذريتين على « هيروشيما » و « ناكازاكي » ، رغب الامبرياليون الامريكيون ان

يظهروا لكل العالم بأنهم المالكون الاحتكاريون للسلاح الجديد ذي القوة التدميرية الهائلة . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، سعت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية ان تستخدم قوة هذا السلاح من اجل الضغط على الاتحاد السوفياتي واجباره على التنازل لها عن تنظيم عالم ما بعد الحرب ، وارهاب شعوب البلدان المستعمرة والمتاخرة اقتصاديا ، وتخويف الدول الراسمالية في نفس الوقت ، وبسط سيادتها على العالم . واصبحت سياسة الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية هي مناواة الاشتراكية . ان كافة التحولات (التغيرات) في العمل العسكري في الولايات المتحدة الامريكية تتحقق لصالح الراسمال الاحتكاري ، وفي سبيل سياسة الظلم والعدوان والحروب وفتح الصراع ضد الاشتراكية .

بدات الثورة في مجال العمل العسكري في بلادنا ، وما زالت مستمرة ، تحت التاثير الحاسم للسياسة الا ان هذه السياسة هي من حيث المبدأ غير سياسة امبرياليي الولايات المتحدة الامريكية .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تظهر امام الدولة الاشتراكية مهمة تضميد جراح الحرب القاسية فحسب ، بل وتعزيز الدفاع عن البلاد . وكانت اولى الضرورات ان تصنع سلاحها النووي .

ان الشعب السوفياتي بقيادة « حزب لينين » وضع كل جهده من اجل حل هذه المهمة في فترة قصيرة . وكما هو معلوم ، فقد فجر اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في عام ١٩٤٩ اول قنبلة ذرية من صنعه ، وانشأ بسرعة الصواريخ والشحنات النووية ــ الحرارية . ان الاسلحة الصاروخية ــ النووية السوفياتية لا تخدم في هذه الايام بشكل وثيق مصالح حماية وطننا والبلدان الاشتراكية الاخرى فحسب ، بل وكافة الشعوب المحبة للسلام .

وعلى هذه الصورة ، ان الشروط الاقتصادية ، وظروف التقدم العلمي ــ التكنولوجي ، والسياسة ، هي اعمق مصادر الثورة في العمل العسكري ، واهم اسبابها . الى جانب هذا ، توجد اسباب اخرى في طبيعة العمل العسكري نفسها ، وقبل كل شيء في اساسه المادي ــ التكنولوجي .

ان القوات المسلحة ، كما هو معلوم ، تمثل الوحدة الديالكتيكية (الجدلية) للانسان والعتاد الحربي . **ان الدور الحاسم في الصراع المسلح يقع على عاتق الانسان الذي يستخدم في سبيل اهدافه العتاد والسلاح على أن لا يقال من اهمية العتاد** . ان كمية ونوعية السلاح والعتاد الحربي ـ هما اهم دليل على القدرة القتالية للقوات المسلحة .

العتاد الحربي هو العنصر الاكثر حركة في الاساس المادي للصراع المسلح . وبتغيره تحت تأثير الاقتصاد والعلم والتكنيك ، ومتطلبات السياسة والصراع المسلح يستدعي تغيير كافة النواحي الاخرى من نواحي العمل العسكري يدل التاريخ على أن التغييرات في العمل العسكري ، بما فيها التغييرات الجذرية ، المشابهة للثورة في ايامنا الحالية تبتدىء عادة مع التغييرات في تطور العتاد الحربي . ولقد كتب « ف. انجلس » أن التغييرات في تطور العتاد الحربي « استدعت بصورة حتمية تغييرات وحتى انقلابات في طريقة خوض المعركة ... »[1] .

تحتل الاسلحة في العتاد الحربي مكانا خاصا . انها مجموعة الوسائط المخصصة من اجل التأثير المباشر على العدو . يتضمن تركيب الاسلحة ثلاثة عناصر عضوية هامة وهي : واسطة تدمير وواسطة ايصال ، وواسطة توجيه .

تلعب وسائط التدمير دورا رئيسيا محددا . ويعرف التاريخ ثلاثة انواع من اسلحة القتال ، من حيث طبيعتها وقدرة طاقتها المستخدمة في وسائط التدمير ، وهي : السلاح الابيض ، والسلاح الناري ، والسلاح النووي .

ان النمو المستمر لقدرة وسائط التدمير يشترط تغييرات في عناصر الاسلحة الاخرى . ولقد علمنا التاريخ دوما انه بنتيجة تغيير وسائط التدمير تتغير وسائط الايصال ووسائط التوجيه . وفي هذا الخصوص لا تستثنى حتى الثورة الحديثة في العمل العسكري . ففي خلالها تغيرت في البداية وسائط التدمير ، ثم وسائط الايصال ، وأخيرا وسائط التوجيه . واستنادا الى هذا يمكن ان نميز **ثلاثة مراحل اساسية للثورة في العمل العسكري** .

---

(1) ك. ماركس و ف. انجلس ـ المؤلفات ـ المجلد ٢٠ ـ ص ١٧٦ .

المرحلة الاولى : بدأ الانقلاب الحديث في العمل العسكري بانشاء الذخائر النووية (الذرية وبعد ذلك الحرارية ـ النووية) . ان الشحنات النووية تتميز من حيث المبدأ عن كافة وسائط التدمير الاخرى . ان حساب قوة الذخائر النووية حسب معادل « البترول » لا يعطي عنها الا فكرة تقريبية ، طالما ان التاثير المدمر للسلاح النووي يتكون من أربعة عوامل اساسية : موجة الصدمة ، والاشعاع الضوئي والاشعاع النافذ ، والتلويث الاشعاعي للارض .

ومن الضروري ان نضيف الى هذه العوامل المدمرة المباشرة عوامل غير مباشرة وهي : ضربات الشظايا الحاصلة من تدمير المنشآت أو الاغراض الطبيعية ، والحرائق وغيرها .

تنقسم طاقة الانفجار النووي حسب الطريقة التالية : اكثر من ٦٠٪ من كميتها العامة توجد في موجة الصدمة ، وحوالي ٣٠٪ في الاشعاع الضوئي ، وحوالي ٩٠٪ في الاشعاع النافذ . حسب المعلومات الامريكية ، كانت الاصابات من الموجة الصادمة بين الاشخاص الباقين احياء بعد قصف « هيروشيما » و « ناكازاكي » ٧٠٪ من المنكوبين ومن الاشعاع الضوئي (حروق) ٦٥٪ ، ومن الاشعاع النافذ ٣٠٪ .

ان الذخائر النووية ، كما يعلن عن هـذا في الصحافة الخارجية ، تتابع التحسن في اتجاهين اساسيين ، أولا ، في طريق انشاء ذخائر ذات قوة متزايدة اكثر ، وثانيا ، في طريق تقليل القدرة والحجم ووزن الشحنة النووية ، من اجل امكانية استخدامها في مجالات تكتيكية صغيرة . وبتطور كلا الاتجاهين بصورة نشطة . ومن المعلوم أن في الاتحاد السوفياتي شحنات نووية بقـوة « ٥٠ » ميغا طن واكثر . الا ان زيادة قوة الذخائر النووية لا يمكن ان تستمر بلا حدود لاسباب اقتصادية ، ولاسباب حربية .

في الولايات المتحدة الامريكية ، وفي عام ١٩٥٨ بالذات ، جرى تفجير شحنات ذات معادل « تروتيل » يبلغ حوالي (٦) طن . وتساوي هذه الشحنات ، حسب قوة انفجارها ، القنابل الجوية الضخمة التي القيت في نهاية الحرب العالمية الثانية . ان التقدم الكبير في تقليل وزن ومعادل « تروتيل »

الذخائر الذرية يعتبر ممكنا بتبديل « البلوتونيوم » بـ « الكاليفورنيا » حسب معلومات الصحافة الالمانية الغربية ، وان الولايات المتحدة الامريكية لا تأمل ان تنتج في العام الا غراما واحدا من مادة « الكاليفورنيا » فضلا عن هذا : ان مادة « الكاليفورنيا » غير مستقرة لانها تمتلك فترة قصيرة من الانقسام النصفي.

وضع ظهور الذخائر النووية وتزويد القوات بها بداية لمجموعة من التغييرات الجوهرية في نظرية وتطبيق فن الحرب . غير انه في المرحلة الاولية ، لم تكن تغييرات فن الحرب عميقة بصورة كافية ، اذ توقفت قبل كل شيء على تطور وسائط ايصال السلاح الجديد الى الهدف .

وكما هو معلوم ، لم يستخدم من أجل ايصال الشحنات النووية في بداية الامر الا الطيران . غير ان التناقض كان واضحا تماما آنئذ بين الامكانيات النارية الهائلة لوسائط التدمير وبين الكفايات التكتيكية ـ الفنية المنخفضة نسبيا لوسائط ايصالها الى الهدف . ان اصابة الطيران من قبل وسائط الدفاع الجوي ، وضرورة امتلاك شبكة من المطارات لا يمكن اخفاءها عن العدو ، والارتباط بالشروط الجوية وغيرها ـ ان كل هذا لم يسمح باستخدام وسائط التدمير الجديدة استخداما كاملا . ولقد وجد المخرج من هذا التناقض عندما اصبح الصاروخ حاملا للشحنة النووية . واول ما طبق هذا في بلادنا . **ولقد شكلت الصواريخ باتحادها مع الذخائر النووية سلاحا جديدا هو السلاح الصاروخي ـ النووي . وهكذا بدات المرحلة الثانية من الثورة الحديثة في العمل العسكري .**

من المعلوم ان الصواريخ استخدمت قديما في الصراع المسلح ، الا انها لم تلق استخداما واسعا نظرا لشحنتها ذات القوة القليلة ، وعدم دقة اصابتها بصورة كافية . ولم تستخدم استخداما واسعا الا بعد انتاج الذخائر النووية ، وتحسين الصواريخ نفسها ، فشكل هذان العنصران وحدة كاملة ـ هي السلاح الصاروخي ـ النووي . امتزجت فيه بصورة عفوية القوة النارية الهائلة للذخائر النووية بالمدى غير المحدود والسرعة الكبيرة للصواريخ،ومناعتها بالنسبة لوسائط الدفاع الجوي وقدرتها على المناورة السريعة .

توجد في هـذه الايـام صواريخ ذات اختصاصات مختلفـة : صواريخ استراتيجية (عابرة للقارات وللكرة الارضية) ، وصواريخ تكتيكية ـ عملياتية ، وصواريخ تكتيكية . وتوجد صواريخ تعمل بالوقود السائل ، وصواريخ تعمل بالوقود الجامد (الجاف) .

تتحسن الصواريخ باستمرار . ويعار انتباه خاص الى زيادة مناعتها في اماكن الاطلاق . وتحل هذه المهمة بواسطة انشاء مواقع الاطـلاق الاسمنتية (الخرسانية) تحت الارض ، المحمية حتى من السلاح النووي ، وكذلك بواسطة وضع الصواريخ على الغواصات ، وآليات القتال المجنزرة ، والآليات ذات العجلات ، ووسائط النقل الاخرى . وتتطور كذلك الصواريخ م/ط الموجهة بنجاح . ولقد نوه في المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعي عن انشاء كمية كبيرة من الاجهزة المتحركة الجديدة في القـوات الصاروخيه السوفياتية ذات الاختصاص الاستراتيجي ، وعن انشاء انواع من الاسلحة الصاروخية جديدة مبدئيـا .

ان التطور المقبل للصواريخ في جيوش العالم المتطورة سوف يمضي في طريق زيادة مدى التحليق ودقة اصابة الهدف ، واختصار زمن رفع جاهزيتها القتالية ، وتبسيط شروط الاستثمار والصيانة ، وزيادة فترات صلاحيتها للاستخدام القتالي . وتحل في نفس الوقت مع تحسين الصواريخ مسالـة الدفاع المضاد للصواريخ ، الذي يبدو ان واسطته الرئيسية هي الصواريخ المضـادة .

لا يعني ظهور الصواريخ ان كافة وسائط الايصال الاخرى قد فقـدت اهميتها . اذ ان الطيران في الوقت الحاضر يجتاز فترة تطور جديد عاصف . انشئت طائرات فوق صوتية ، سرعتها تزيد عن « ٢٥٠٠ » كيلومتر في الساعة ، وهي قادرة عمليا على اجتياز اية مسافات على ارتفاعات كبيرة ، ولقد كانت الطائرة حاملة الصواريخ هي الخطوة الجديدة نوعيا في تطور الطيران . وان الطيران الحديث الحامل للصواريخ يستطيع ان يوجه ضربات مميتة الى العدو وهو يتجنب الدخول في منطقة الدفاع الجوي المعادي . ولا ينبغي ان ننسى

أن الطيران يمتلك مجموعة من المزايا بالنسبة للصواريخ . يمكن ان تستخدم الطائرات ، قبل كل شيء ، بشكل متكرر ، الامر الذي لا تستطيعه الصواريخ . كما ان الطيران لا يحتاج الى دقة الارتباط « الجيوديسي » للهدف ، الذي بدونه لا يمكن للقوات الصاروخية ان تتعامل معه . ان طاقم الطائرة ـ حاملة الصواريخ يستطيع ان يدقق مكان وجود الهدف وان يكتشف الاهداف الجديدة ويدمرها .

وعلى أثر انشاء ذخائر نووية صغيرة القدرة والحجم خارج الاتحاد السوفياتي ، تغير دور المدفعية النوعي . ان المدفعية يمكن ان لا تكون في الوقت الحاضر واسطة للدعم الناري فحسب ، بل وواسطة لايصال الشحنات النووية . توجد في الولايات المتحدة الامريكية ذخائر نووية لمدافع الهاونزر عيار « ٢٠٣ » مم وعيار «١٥٥» مم وكذلك للمدافع عيار «١٥٥» مم ولقد صنعت ذخائر نووية ذات معادل « تروتيل » بقوة « ٢٠ » طن للمدافع عديمة التراجع عيار « ١٢٠ » مم ديفي كروكت التي توجد في تسليح وحدات الكتيبة .

في المرحلة الثانية من الثورة ، لم تحصل أكثر التطورات عمقا في الاساس المادي التكنيكي للكفاح المسلح فحسب ، بل وفي كافة نواحي الشؤون العسكرية .

ان تغيير وسائط الاصابة ووسائط الايصال تطلب تغيير وسائط القيادة . ان قيادة الاسلحة الصاروخية ـ النووية والقوات أصبحت غير ممكنة بدون الوسائط الاتوماتيكية ، المؤسسة على استخدام علم الالكترونات اللاسلكية و « السيبرنيتيك » والرياضيات والعلوم الاخرى .

وفي الحقيقة ان حجم المعلومات اللازمة لاتخاذ القرار ، يزداد نموا أكثر فأكثر ، وتتطلب وقتا طويلا من اجل تحليلها . الا انه في الحرب النووية يمكن أن ينشأ الموقف الذي يكون فيه القائد مضطرا ان يتخذ القرار في اكثر الفترات انضغاطا ، وفي بعض الحالات بصورة سريعة ، وكثيرا ما تكون المعلومات عن الموقف غير كافية ، في الوقت الذي ينبغي أن يكون القرار قد اتخذ من كل بد . واخيرا ، ان المسافات الهائلة ، التي تنتشر عليها الاعمال القتالية ، تزيد من احتمال خروج بعض عناصر القيادة من القتال ، ويمكن ان يؤدي هذا الى عواقب

خطيرة . فأين المخرج من هذه التناقضات ؟ ان المخرج هو في « اتمتة » قيادة العتاد الحربي والاعمال القتالية للقوات .

ان الانتقال الى « الاتمتة » المركبة للقيادة ، ورفع المستوى العلمي لقيادة القوات ، يشكلان مضمون المرحلة الثالثة للثورة في العمل العسكري . وسوف يقال الكثير عن هذه المرحلة فيما بعد اثناء ايضاح جوهر ومضمون الثورة في العمل العسكري .

٢ ــ جوهر ومضمون الثورة في العمل العسكري :

ان الاسلحة الصاروخية ــ النووية بحكم خصائصها القتالية تحولت الى عامل حاسم في الكفاح المسلح والى وسيلة عظيمة تحدد مجرى ومصير الحرب .

ظلت كافة انواع الاسلحة النارية اسلحة تكتيكية بحتة على مر العصور ، وحلت محل السهام والرماح لا لشيء الا لانها اكثر حداثة ، غير انها ادت نفس وظائف الاسلحة السابقة .

مع ظهور الاسلحة الصاروخية ــ النووية نمت القدرة القتالية للقوات بصورة عظيمة للغاية . ولم تنم على الصعيد التكتيكي فحسب ، كما نمت اثناء الانتقال من السلاح الابيض الى السلاح الناري ، ولم تنم ايضا على الصعيد العملياتي فحسب ، كما حصل هذا اثناء مكننة القوات المسلحة وتجهيزها بالسيارات ، بل ونمت قبل كل شيء وبصورة رئيسية على الصعيد الاستراتيجي .

لم تسمح الاسلحة البيضاء ، ولا الاسلحة النارية ، بحل المهام النهائية والمتوسطة للحرب . وعلى مر العصور ، تتشكل النتيجة الاستراتيجية في الحرب تدريجيا من مجموع الاعمال القتالية على المستويين التكتيكي والعملياتي . وفي الوقت الحاضر ، ان الهدف الاستراتيجي الكفاح يمكن ان يتحقق ليس بواسطة مجموعة العمليات الهجومية المتتابعة فحسب ، بل وبصورة رئيسية بواسطة انزال الضربات الصاروخية ــ النووية على كل عمق اراضي العدو .

وعلى هذه الصورة ، ان الانتقال المفاجيء والمتطور بوثبات من الاسلحة العادية الى اسلحة التدمير الشامل باعتبارها الواسطة الرئيسية لتحقيق

الاهداف الاساسية للحرب يشكل جوهر الثورة الحديثة في العمل العسكري .

يحاول بعض الكتاب البورجوازيين ان يوجزوا الانقلاب العميق في العمل العسكري في تغيير كمي واحد لا غير . وعلى هذا الاساس ، فان العالم الفرنسي الحربي « روجيرون » في كتابه « الحرب النووية » يؤكد ان الاسلحة الصاروخية ـ النووية لا تغير الا مجال الاعمال الحربية في الجبهة والعمق . وهو يحاول على هذا الاساس أن يبرهن انه يمكن كميا تحديد الاغراض المخصصة للتدمير ، وتقسيم الاهداف الى أهداف تكتيكية واهداف استراتيجية وخوض الحروب النووية المحدودة على هذا الشكل . ان هذا شكل واحد من اشكال الدفاع عن الحرب مع استخدام اسلحة التدمير الشامل .

ان مثل هذه الآراء لا تحتمل اي انتقاد ممن يستخف بقدرة أسلحة التدمير الشامل . وان الميالين الى العقائد الجامدة يتمسكون تماما بهذه الآراء في الحرب الحديثة .

ان شرح جوهر الثورة الحديثة في العمل العسكري لا يتم دوما بصورة صحيحة على صفحات الصحافة السوفياتية الحربية . يزعم بعض المؤلفين ان جوهر هذه الثورة يتلخص في اعادة تزويد القوات المسلحة بالعتاد الحربي الجديد ، أو في تغيير بنياتها ، أو في اعادة تخطيط تدريب وتربيــة القوات . وان كل هذا ، بطبيعة الحال ، يدخل في الثورة في العمل العسكري ، غير انــه لا يشكل جوهرها ، بل يتصل به ويتوقف عليه .

ان الفهم الصحيح لجوهر الثورة في العمل العسكري يسهل توضيحها ومضمونها . واذا كان الجوهر هو الاساس الداخلي للحوادث والتطورات ، فان المضمون يشكل مجموع اجزائه المركبة ، والعناصر ، والاطراف ، والتعاون فيما بينها . لا يجوز اعتبار الثورة الحديثة في العمل العسكري بمثابة انقلاب في عنصر واحد من عناصر العمل العسكري لا غير . **ان مضمون الثـورة يشمل التطورات النوعية في كافة مجالات نظرية الحرب وتطبيقاتها .**

ان التغييرات الجذرية حصلت قبل كل شيء في طبيعة الكفاح المسلح ،

وفي طرق واشكال الاعمال القتالية . وسوف ينفذ الهجوم والدفاع خلافا لما جرى في الحروب الماضية ، وسوف يكون الترابط بين الاعمال الحربية على المستوى التكتيكي والعملياتي والاستراتيجي .

ان المعركة المشتركة في الوقت الحاضر ليست بكل بساطة معركة المشاة الآلية والدبابات والمدفعية وصنوف القوات الاخرى ، وانما هي قبل كل شيء الضربات النووية ، واعمال المناورة العالية للتشكيلات المشتركة والقطعات والوحدات ، المنسقة فيما بينها حسب الهدف والمكان والزمن .

ان عنصر واحد من عناصر مضمون الثورة في العمل العسكري ، هو التغيير الجوهري لبنية القوات المسلحة . وهكذا ، لم يستدع التسليح الجديد في بلادنا وجود الوحدات والقطعات والتشكيلات الملائمة فحسب ، بل واستدعى ايضا وجود مجموعة كاملة من صنوف القوات وانواع القوات المسلحة . نشات القوات الصاروخية ذات الاختصاص الاستراتيجي ، والقوات الصاروخية الدخلة في قوام القوات البرية . ولقد نمت اهمية قوات الدفاع الجوي الاقليمي . وتغيرت بصورة جوهرية مهمات انواع القوات المسلحة التقليدية . ان اسطول الغواصات الحديث المزود بالصواريخ على سبيل المثال ، قادر على انجاز المهمات الاستراتيجية بتدمير اغراض العدو سواء في البحر او على البر . ومن المعلوم ان الاسطول الحربي — البحري في الولايات المتحدة الامريكية ينتقل الى النسق الاول للقوات الضاربة الاستراتيجية . وفي الوقت الحاضر ، اصبح تحت تصرفه اكثر من ثلث كافة الوسائط الاستراتيجية للولايات المتحدة الامريكية .

لقد تدخلت الثورة حتى في مجال نظرية الحرب . وقد كان على علم الحرب ان يتغلغل بشكل اعمق في قوانين الكفاح المسلح ، وان يحلل ويعمم تلك التطورات النوعية ، التي حصلت في البنيان الحربي اصبح علم الحرب يستخدم بشكل واسع طرق البحث الجديدة (الصياغة وغيرها) والوسائط التكنيكية الجديدة (الآلات الحاسبة الالكترونية وغيرها) . ان استنتاجات علم الحرب عن طبيعة الحرب الصاروخية — النووية وطرق خوضها ، وعن

العوامل المؤثرة في مجرى ومصير الحرب ، كانت شرطا هاما لوضع المذهب العسكري الحديث .

من وجهة نظر علم مناهج العلمي ، ان العنصر الهام للغاية لمضمون الثورة في العمل العسكري هو تغيير تناسب الانسان والعتاد الحربي ، وهذا واضح بصورة خاصة في المرحلة الحديثة وفي الوقت الحاضر لا ينقل الانسان الى التقنية (التكنيك) الوظائف المتصلة ببذل الجهود الجسمانية في الكفاح المسلح فحسب ، بل وينقل أيضا الجزء المحدد من وظائفه في قيادتها . وفي هذا لا يوجد شيء غير عادي وكما كتب « ف.أ. لينين » : « يتجلى تقدم التقنية (التكنيك) في ان العمل الانساني يتراجع اكثر فأكثر الى الخلف أمام عمل الآلات(١) .

ان تغيير تناسب الانسان والعتاد الحربي لا يعني أن الانسان يخرج من الكفاح المسلح . انه يدل في صدد ظهور التقنية الاتوماتيكية والمؤتمتة على تبدل طبيعة العمل العسكري ، الذي يقترب اكثر فاكثر من حيث الشكل من العمل الصناعي . ان الوسائط الجديدة للكفاح المسلح تتطلب تكوين خبرات جديدة لدى الانسان ، وتطوير قدراته تطويرا شاملا .

ان التغييرات في طبيعة العمل العسكري تبرز بوضوح في الزيادة المفاجئة لتعداد العسكريين المنهمكين بخدمة الاجهزة الاتوماتيكية والمؤتمتة . ويمكن تقسيم الواجبات الاساسية لهؤلاء العسكريين من حيث خصائصها الى مجموعتين كبيرتين : آ) مركبون ، مصلحون ، أخصائيون يمارسون الصيانة الفنية للآلات والاجهزة ، ب) عمال تشغيل ، يعملون مباشرة على الآلات والاجهزة . ان هذا التقسيم بطبيعة الحال ، نسبي ، الا انه يساعد بشكل واضح على طرح أكثر الاتجاهات جوهرية في تغيير طبيعة العمل العسكري ، التي لم تبرز بالكامل والتي سوف تكتمل في المستقبل .

ان تطور العتاد الحربي يؤدي الى تغيير أشكال مساهمة الانسان المباشرة في الكفاح المسلح عندما لا يحتك القسم الاكبر من العسكريين مع العدو ، عاملين على الآلات والاجهزة فحسب .

---

(١) ف.أ. لينين ـ المؤلفات الكاملة ـ المجلد ١ ـ ص ٧٨ .

ان مسؤولية كل مقاتل لكل وحدة وقطعة وسفينة تزداد فيما يتعلق بتنفيذ المهمات . واستنادا الى هذا فان دور علم النفس الحربي ينمو بشكل عـام ، كما ينمو بشكل خاص علم النفس الهندسي الذي يصبح عنصرا ضروريا لتربية وتدريب العسكريين .

يظهر للسلاح الصاروخي ــ النووي والعتاد القتالي الحديث المتطلبـات الزائدة الجديدة للصفة المعنوية ــ القتالية . ان النصر في الحرب النووية يمكن ان لا يحرزه الا الجيش المتكون من العسكريين الواعين سياسيا ، والحائزين على التدريب العام العالي والخاص ، والاقوياء جسمانيا ، والصبورين . وفي الوقت الحاضر ، يعترف بهذا كافة الاخصائيين العسكريين ، بما فيهم الاخصائيـون البورجوازيون . الا ان امكانية الحل العلمي لهذه المهمة في البلدان الامبرياليـة والاشتراكية ليست واحدة تماما . ان الدولة الاشتراكية تمتلك بدرجة كبيرة جدا امكانيات مرضية من اجل تربية العسكريين على الصفات المعنوية ــ القتالية العاليـة .

ان التعبير الملموس لتغيير تناسب الانسان والعتاد الحربي هو الانقلاب في قيادة القوات والانتقال الى ((الاتمتة)) المركبة . ان هذا الانقلاب هو ضرورة موضوعية ، مشروطة بظهور السلاح الصاروخي ــ النووي . ان ادخال وسائط القيادة الاوتوماتيكية والمؤتمتة ، وبشكل خاص ما يسمى بالاجهزة الكبيرة ، دل بذاته ، كما سبق ان لوحظ ، على حلول المرحلة الثالثة من مراحل الثورة الحديثة في العمل العسكري .

ان قيادة القوات في المعركة تتكون من عمليتين متميزتين ، غير انهما مرتبطتان ارتباطا متبادلا : الاولى ــ قيادة العتاد الحربي القتالي ، الثانية ــ قيادة الناس (الوحدات ، القطعات ، التشكيلات) .

من حيث المضمون ، وطريقة حل المسائل الناشئة ، لا تتميز قيادة العتاد القتالي ، تقريبا عن عمليات قيادة اي جهاز فني . وان امكانيات الاتمتة هنـا عظيمة بصورة خارقة للغاية . وكلما ازدادت نسبة المهام القتالية الواحدة ، والاسلحة الواحدة ، والاساليب الواحدة ، الناجمة عن استخدامها تكتيكيـا

واستراتيجيا وفي العمليات ، وكلما ازدادت درجة التمركز ، كلما ازدادت امكانيات أتمتة قيادة الوسائط القتالية في مستويات اي صنف وحتى اي نوع من صنوف وانواع القوات المسلحة . وان ما يلبي هذه المتطلبات في جيشنا هو القوات الصاروخية ذات الاختصاص الاستراتيجي ، وقوات الدفاع الجوي الاقليمي . وليس من قبيل الصدفة ان درجة عالية من اتمتة القيادة قد تحققت وخاصة في انواع القوات المسلحة هذه ويجري العمل بصعوبة كبيرة في اتمتة قيادة الاعمال القتالية لوحدات وقطعات وتشكيلات القوى البرية والاسطول البحري ــ الحربي والقوى الحربية ــ الجوية . وسيكون من الضروري هنا ليس قيادة العتاد القتالي فحسب ، ولكن ، وقبل كل شيء قيادة اعمال الجماهير الواسعة . ان الفكر الحربي يبحث باصرار امكانيات الاتمتة المركبة حتى في هذا المجال . ولقد انشئت في الولايات المتحدة الامريكية اجهزة كبيرة للقيادة المؤتمتة .

في الصحافة العسكرية ، السوفياتية ، الاجنبية ، يمكن ان نلقى اثباتات على ان الثورة الحديثة في العمل العسكري قد انجزت . وينبغي أن لا نقبل وجهة النظر هذه . ان الثورة في العمل العسكري مستمرة واذا كانت المرحلتان الاوليتان من مراحل هذه الثورة قد انقضتا من حيث الملامح الاساسية ، فان المرحلة المتعلقة بالاتمتة المركبة لقيادة اعمال القوات القتالية ، ورفع مستوى ادارتها العلمي ، ما زالت تتطور باستمرار .

ان الاتمتة المركبة لقيادة القوات ، وهي مرحلة ضرورية وقانونية من مراحل تطور العمل العسكري ، اصبحت بدورها شرطا هاما من شروط التحسين المقبل لكافة انواع الاسلحة القتالية . أولا : لانها تسمح باستخدام الامكانيات القتالية لانواع الاسلحة الفعالة بصورة اكثر كمالا واكثر تأثيرا . ثانيا : بدون الوسائط الاوتوماتيكية الكاملة للقيادة من غير الجائز عمليا ومن حيث المبدأ استخدام الامكانيات المكتشفة من قبل العلم والتكنيك لانشاء انواع اسلحة جديدة .

ان الصحافة العسكرية الغربية ، وبالدرجة الاولى الصحافة الامريكية ،

تعترف بوضوح ان مسألة التفوق العسكري ــ الفني في الوقت الحاضر متصلة اتصالا وثيقا بوتيرات غزو الفضاء من اجل الاغراض الحربية . وهي تشير بصورة مباشرة الى المجالات الاساسية لاستخدام الفضاء في الاغراض الحربية : انشاء اقمار الملاحة الاصطناعية ، واقمار الاتصال الاصطناعية ، واستخدام اجهزة الفضاء من اجل اجراء الاستطلاع ، ومن اجل اكتشاف وتدمير اجهزة العدو الفضائية ، واخيرا من اجل نقل الذخائر النووية .

من المعلوم ان الولايات المتحدة الامريكية تستخدم منذ زمن طويل اقمار الارض الاصطناعية من اجل اجراء الاستطلاع ، وتحديد احداثيات اماكن وجود الغواصات ، ومن اجل الراديو والاتصال التلفزيوني على مسافات كبيرة وقد استخدمت لهذه الاغراض اقمارا اصطناعية طراز « ساموس » و « فيكا » و « ميداس » و « نيمبوس » و « اينمو » و « سنكوم » وغيرها . ان الهيئات الامريكية الرسمية اشارت صراحة الى ان رجال الفضاء اثناء طيران الاقمار الاصطناعية طراز « جيميناي » قاموا بالاعمال الموجهة لدراسة امكانيات اجراء الاستطلاع من قبل الانسان من الفضاء . وتعلق في الولايات المتحدة الامريكية آمال خاصة على المخبر الفضائي ذي الطاقم المؤلف من شخصين والذي يجري اعداد مشروعه في الوقت الحاضر . يربط الاخصائيون الاجانب آفاق استخدام اقمار الارض الاصطناعية بزيادة قابليتها للمناورة في الفضاء . ويعد بشكل خاص مشروع انشاء طائرة جوية ــ فضائية ، او طائرة طيران فضائي ومع ان مدارها ، كما تكتب الصحافة البورجوازية ، سوف يكون غير عال نسبيا ، الا انها قريبة من السرعة الفضائية ، وقادرة على تنفيذ المناورات ، التي لم تحققها الاقمار الاصطناعية . ويحاول الاخصائيون ان يجعلوا من الطيران الفضائي طيرانا فعــالا جــدا .

يربط الاخصائيون اتجاهــا واحــدا من اتجاهات تطور التكنيك الحربي باستخدام منجزات نظرية الكم في الالكترونيات اللاسلكية . وهم يحسبون ان « تكنيك التركيز الاشعاعي » سوف يفتح من حيث المبدأ امكانيات جديدة لتطور الاسلحة . على هذا الاساس ينوي الاخصائيون البورجوازيون ان ينشئوا اسلحة اشعاعية ، تحمل الدمار مباشرة الى القوة الحية وعتاد العدو بواسطة

اشعة ذات كثافة عالية . وفي هذه الاسلحة سوف تلتقي سوية وسائط التدمير ووسائط ايصاله .

ان الاجهزة الكمية ، كما يقترح الاخصائيون ، يمكن ان تستخدم بنجاح من قبل كافة انواع القوات المسلحة وسوف تنفتح الافاق الواسعة امامها خصوصا في الفضاء ، وقبل كل شيء من اجل الصراع ضد صواريخ الارض . ومع ان مثل هذه الاعمال لما تنطلق بعد خارج نطاق الابحاث العلمية ، الا انها تلقى الاهتمام الكبير . وقد نشر في الصحافة الامريكية ان في اساس جهاز « ديفندر » الموجود قيد الاعداد ، تقررت « الاسلحة الاشعاعية » . وفي عام ١٩٦٤ تابع الكونغرس في الولايات المتحدة الامريكية تمويل الاعمال وفقا لهذا المشروع .

ان انشاء الاسلحة ذات التركيز الاشعاعي لا يتطلب فقط تحسين الاجهزة الكمية ، بل تحسين اجهزة القيادة الاوتوماتيكية ذات الدقة العالية . ولا يحسب الاخصائيون الا على طرق التطور المقبل لوسائط الاتمتة وامكانية تأمين التوجيه لشعاع ضيق من مولد كمي بصري ، والمحافظة عليه في الاتجاه المعين .

ان ظهور عتاد قتالي جديد يمكن ان يعتبر مبدئيا بمثابة رفض العتاد القتالي القديم والتقليدي . الا ان هذا الرفض ليس رفضا مطلقا ، بل هو رفض ديالكتيكي (جدلي) . ومع ان الصواريخ ذات الرؤوس النووية القتالية اصبحت في أيامنا أساس القوة النارية للقوات المسلحة الا ان هذا لا يعني ان الاسلحة العادية فقدت اهميتها . فبدون المدفعية والدبابات والطائرات والوسائط العادية الاخرى ، لا يمكن حل كافة مهام الكفاح المسلح وفي بعض انواع القتال تستطيع انواع الاسلحة التقليدية في شروط محددة ان تلعب دورا حاسما . وليس من قبيل الصدفة ان الاخصائي البورجوازي « بارمسون » الاصفر لاحظ ما يلي : « يتوجب علينا الاهتمام كي لا يحمل القائد العسكري ، (وهو يعني الصواريخ النووية فوق الصوتية) اخطار الموت من جهة اي كان ... من جهة جندي مشاة العدو ، المسلح بالحربة غير الموجهة وغير النووية »(١) .

(١) بارسون ن. ـ الثورة في الحرب النارية ـ كمبردج ـ عام ١٩٦٢ ص ١٤١ .

ان مضمون الثورة في العمل العسكري يتضمن التدابير الموجهة لدعم استمرار الجاهزية القتالية للقوات ويتضمن كذلك الطرق والاساليب الجديدة لتدريب وتربية افراد الجيش والاسطول .

بعد الاطلاع على مصادر وجوهر ومضمون الثورة الحديثة في العمل العسكري ، اصبح من الممكن الآن توضيح خصائصها وملامحها المميزة .

٣ ـ خصائص الثورة في العمل العسكري :

لقد قدمنا مسبقا ان الثورة الحديثة لا يمكن مقارنتها مع أي انقلاب من الانقلابات الجذرية في العمل العسكري ، سبق ان تحقق فيما مضى . فما هي اذن خصائص هذه الثورة .

قبل كل شيء ، ان من خصائص هذه الثورة سعة التحويلات وعمقها الذي لا نظير له . ان الثورة الحديثة في العمل العسكري تعتبر وحدة ديالكتيكية لكثير من الوثبات . فقد تعرضت كل التقنية الحربية (التكنيك) مع ظهور اسلحة التدمير الشامل لتغييرات نوعية بدءا من الاسلحة الفردية ووسائط الوقاية ، وانتهاء بأجهزة التسليح القوية جدا .

ضمن هذه التحويلات تحتل الوثبات التالية مكانا بارزا : الوثبة من الاسلحة الاوتوماتيكية الى انواع الاسلحة المؤتمتة ، ومن آلية القتال الموجهة من قبل طاقمها الى الوسائط العاملة بدون طيارين : ومن طائرة المحرك المروحي ذات المدفع الرشاش الى الطائرة النفاثة فوق الصوتية ذات الاسلحة الصاروخية، ومن الطيران قاذف القنابل الى الطيران حامل الصواريخ ؛ ومن محرك الاحتراق الداخلي الى المحرك النووي ، ومن تجهيز القوات بالسيارات الى « مكننة » القوات(١) ان الاسلحة العادية ، وهي تتعرض لتغييرات جدية ، تتلاقى من حيث المبدأ بصورة محدودة مع انواع العتاد الحربي الجديدة .

تناولت الثورة الحالية كل مضمون فن الحرب ، من تكتيك الوحدات الى الاعمال القتالية ذات المستوى الاستراتيجي . وهنا يبدو ان اكثر الوثبات جوهرية هي الوثبات من الطابع القاري للاعمال القتالية الى طابع الاعمال القتالية عبر القارات . ان التغييرات النوعية تجري في ادارة الاعمال القتالية ؛ وفي

---

(١) المكننة : استخدام الالة (تعميم استخدام الالة) .

اساليب قيادة القوات ، وفي التأمين القتالي للقوات . ولقد اكتسب دفاع المؤخرة مضمونا آخر . كما تبدلت بصورة جذرية المذاهب العسكرية[1] وعلم الحرب .

ان اعادة تنظيم القوات تمت بصورة جوهرية في مختلف جيوش العالم . وتم الانتقال من قطعات وتشكيلات المشاة الى قطعات وتشكيلات المشاة الآلية والميكانيكية . كما تغير دور وارتباط صنوف القوات وانواع القوات المسلحة وتتعرض اساليب واشكال تدريب وتربية المقاتلين لتغييرات نوعية . وتدل بوضوح على عمق التحويلات في مجرى الثورة الحالية في العمل العسكري ، تلك الحقيقة ، وهي ان قوانين جديدة للكفاح المسلح في طريقها الى الظهور . ويمكن ان ننسب الى هذه القوانين الجديدة ، على سبيل المثال ، نقل مركز ثقل الكفاح المسلح من الجبهة الى عمق اراضي الطرفين المتحاربين . وينبغي ان نعتبر ارتباط مجرى ومصير الحرب بدرجة الاستعداد القتالي للجيش حتى قبل بدء الاعمال القتالية بمثابة قانون جديد . واذا كان من الممكن في الماضي القريب تعبئة الجيش منذ بدء الحرب ومن ثم توجيهه الى الجبهة ، فانه في ظروف استخدام وسائط التدمير الشامل لا تتوفر تقريبا مثل هذه الامكانية . ويعترف بهذا حتى علماء الامبريالية النظريون والعسكريون ، الذين يشيرون الى ضرورة استعداد الجيش الكامل للحرب منذ وقت السلم وقد كتب العالم النظري الامريكي سميث « ان السياسة العسكرية التقليدية لتعبئة القوى والوسائط بعد بدء الحرب فات أوانها مثلما فات أوان النقل على الاحصنة ... »[2] .

يمكن ان لا يوجد في أعلى حالات الاستعداد القتالي في الشروط الحديثة الا الجيش النظامي المحنك وينبغي الاعتراف بهذا الصدد ببطلان الافكار القائلة بامكانية انعاش نظام الميليشيا الاقليمية لبناء القوات المسلحة السوفياتية في الوقت الحاضر .

وهناك خاصية اخرى من خصائص الثورة في العمل العسكري ، هي الايقاعات العالية للتحويلات . من المعلوم ان الانتقال في الماضي من طراز الى

(1) يستعمل ايضا تعبير « العقيدة العسكرية » للدلالة على المذهب العسكري ص ١٤١ .

(2) د.و. سميث ــ المذهب العسكري للولايات المتحدة الامريكية ــ دار الطباعة والنشر للاداب الاجنبية ــ عام ١٩٥٦ ــ ص ١٤٧ .

آخر قد تم خلال العديد من العشرات وحتى المئات من السنين . وفي الوقت الحاضر ، تتم اعادة تزويد الجيش والاسطول بالعتاد الجديد والاسلحة في فترات قصيرة جدا . وفضلا عن هذا ، هناك مجموعة من أنواع العتاد والاسلحة يفوت اوانها بسرعة كبيرة لدرجة انها تستبدل بغيرها قبل دفعها الى الانتاج المتسلسل .

كذلك يتغير البناء التنظيمي للقوات بايقاعات عالية . ففي الاعوام العشرة الاخيرة (١٩٥٦ — ١٩٦٥) اجريت في الولايات المتحدة الامريكية اربعة اعادات كبيرة لتنظيم القطعات والتشكيلات ، بصرف النظر عن اعادات التنظيم الصغيرة . ان القيادة الامريكية العسكرية الجديدة بغرض زيادة قابلية المناورة تواصل البحوث عن الاشكال التنظيمية والقوة الضاربة والنارية القوات ، وتحسين اجهزة الادارة والتأمين القتالي . ومما يدل على الايقاعات العالية للتحويلات الثورية الحديثة في العمل العسكري ، خلال فواصل زمنية قصيرة نسبيا ، هو ذلك التجديد الذي يتناول الانظمة والكتب الدراسية العسكرية والوثائق الاخرى ، التي تنظم حياة القوات ونشاطها القتالي .

ان الايقاعات العالية للتحويلات في العمل العسكري تبرز المتطلبات الكبيرة لملاك القيادة . وفي الوقت الحاضر ، ان خمول الفكر العسكري مشحون بالنتائج الوخيمة . ولا ينبغي على الضابط حاليا ان يحسن معرفته للعتاد الجديد فحسب ، بل وان يبحث باستمرار عن اكثر الطرق فعالية لاستخدامه ، وان يكون قادرا على رؤية كل ما هو جديد وتقدمي ، وان يضعه قيد التطبيق في التدريب والتربية .

في الماضي ، بدات التغييرات في العمل العسكري ، كقاعدة ، بصورة هادئة ، انطلاقا من أجنحة التكتيك الصغرى الى اعالي الاستراتيجية ، ثم استقرت في المذاهب العسكرية . ان التحويلات الحالية في الشؤون العسكرية بدات في مجال الاستراتيجية ومن ثم امتدت الى مجال فن العمليات والتكتيك .

أن واقع الثورة الحديثة في العمل العسكري بدأ من الاعلى ، مشروطا في ان السلاح الصاروخي — النووي بحكم قوته التدميرية الهائلة اعطى امكانية حل المهام الاستراتيجية فورا ، واصبح الواسطة الرئيسية لخوض الحرب . وبطبيعة الحال ، فقد تناول قبل كل شيء مجال الاستراتيجية المتصل كليا مع السياسة . وهناك ايضا خاصية هامة من خصائص الثورة الحديثة في العمل

العسكري تتلخص في أن هذه الثورة تجري في ظروف السلم . وفي التاريخ لم تكن توجد بعد امثلة تدل على ان التحويلات الجذرية في كافة مجالات العمل العسكري قد تحققت وقت السلم بدون تجربة ومراقبة كل ما هو جديد في الحرب . ان حقيقة ان الاسلحة الجديدة وطرق الكفاح الجديدة ، والاشكال الجديدة لتنظيم القوات ، التي تعد وتنشر حتى قبل بدء الحرب ، تزيد بما لا يقاس من اهمية نظرية الحرب في تأمين القدرة على الدفاع عن البلاد .

عندما كان يتحقق تطور العمل العسكري سابقا بصورة بطيئة ، لم تكن التغييرات بهذا العمق وتم بناء نظرية الحرب في الاساس على تعميم خبرة الحروب السابقة . اما في الوقت الحاضر ، فلا يجوز ، ونحن نعد طرق الكفاح المسلح ، أن نرضى بتجربة الحروب الماضية فقط ، لان السلاح الحديث والعتاد القتالي لم يستخدما فيها بكمية كثيفة . ان الفكر العسكري العلمي ينبغي ان يستند بصورة رئيسية الى شروط الموقف القتالي ، وعلى الدراسة النظرية لاتجاهات تطور الظروف الاجتماعية ــ السياسية ، والقاعدة المادية ــ الفنية للحرب في وقتنا هــذا .

اذا اخذنا بعين الاعتبار هذه الخاصية من خصائص الثورة الحديثة في العمل العسكري ، ينبغي ان نلاحظ ان الطغمة العسكرية الامريكية ، متجاهلة قوانين الحق الدولي والمفاهيم الاولية للرفق الانساني ، تسعى الى اكمال نقص التطبيق العسكري وقت السلم باستخدام تجربة الحروب الصغيرة الحديثة ، التي يشعلها الامبرياليون من اجل احباط الحركة التحررية الشعوب، وتعزيز سيادتها السياسية والاقتصادية . وهذا واضح بصورة خاصة في مثال الحرب العدوانية للامبريالية الامريكية ضد الشعب الفيتنامي . ان القيادة العسكرية الامريكية تعتبر « فيتنام » بصراحة وقحة كميدان رمي من اجل تجربة الاسلحة الجديدة والاساليب والطرق الجديدة للاعمال القتالية . من الضروري ، ونحن نخوض الصراع ضد النزعات العدوانية للامبريالية الامريكية ، ان ندرس بانتباه واستمرار كافة وسائطها الحديثة واساليب صراعها .

واخيرا ، ان خاصية من خصائص الثورة الحديثة في العمل العسكري

تتلخص في ان مستقبل نتيجة الاقتصاد والسياسة سوف يتأثر بها تأثيرا كبيرا . ان اي انقلاب عسكري ـ فني في السابق لم يترك مثل هذا الاثر الذي لا يمحى على حياة المجتمع بأسره ، وقبل كل شيء على الاقتصاد .

وفي الحقيقة ، لقد تعمق وتوسع الارتباط المتبادل التحويلات في المجال الحربي بصورة خارقة للعادة في الوقت الحاضر مع تطور القوى الانتاجية . ولقد نما الوزن النوعي للانتاج الحربي بصورة ممتازة بالنسبة الى الحجم العام للانتاج الصناعي . تشكل الطلبات العسكرية في الولايات المتحدة الامريكية في الوقت الحاضر ٢١٪ من انتاج الصناعة الكهربائية ، و ٣٨٪ من الاجهزة اللاسلكية ، و ٦١٪ من بناء السفن ، و ٩٤٪ من انتاج صناعة الطائرات . ان ثلثي العلماء الامريكيين مشغولون في المجال الحربي ، أما المصاريف على البحوث العلمية للاغراض الحربية فقد تضاعفت « ٣٣٠ » مرة من عام ١٩٤٠ الى عام ١٩٦٣ .

ان القوات المسلحة تتطلب من الاقتصاد حتى في وقت السلم موارد مادية ضخمة . وان العمل المعقد يتركز بصورة خاصة في المحافظة على مستوى عال من القدرة القتالية للجيش والطيران والاسطول . ان التبديل المستمر للاسلحة القديمة بأسلحة جديدة ، والاسلحة الجديدة بأسلحة احدث ؛ مقرون بنفقات هائلة لانه يستدعي حتما اعادة بناء فروع الانتاج ، ويتطلب معدات وموارد جديدة . ويكفي القول انه في عام ١٩٦٠ ، وفي القوات المسلحة للولايات المتحدة الامريكية المرابطة في اليابان ، سحب من التسليح ومن العتاد الحربي القديم والذخائر ما يساوي ربع الدخل القومي السنوي لليابان .

ان مجرى الحرب النووية سوف يتعلق مصيرها بدرجة كبيرة باحتياطات الوسائط المادية ـ الفنية المنشأة وقت السلم .

هذه هي من وجهة نظرنا خصائص الثورة الحديثة في العمل العسكري ، وهي نفس الخصائص في بقية البلدان ، التي تجري فيها الثورة الحديثة بدرجة اكبر او اقل . الا انه توجد ايضا خصائص مشروطة بالنظام الاجتماعي ـ السياسي للدول .

ان التحويلات الجذرية للعمل العسكري في الولايات المتحدة الامريكية تخدم المصالح الطبقية للبورجوازية الاحتكارية ، كما تخدم فكرة التحضير للحرب النووية العدوانية بغرض تدمير الاشتراكية واحراز السيادة العالمية . يرى الامبرياليون الامريكيون في الاسلحة النووية الواسطة الرئيسية لتحقيق اغراضهم السياسية . وهم يعدون العدة بواسطة الاسلحة النووية للتنكيل بالاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى .

ان وزير دفاع الولايات المتحدة الامريكية « مكنمارا » أعلن في كانون الثاني عام ١٩٦٦ أن خطط « البنتاغون » التي سبق وضعها تأخذ بعين الاعتبار القوة العظيمة التي لا غنى عنها من اجل انشاء المقدرة المضمونة لتدمير الاتحاد السوفياتي والصين الشيوعة(١) .

ان تنفيذ التحويلات الجذرية في العمل العسكري من قبل الامبريالية العسكرية ، وتوسيع الانتاج الحربي استنادا لهذا ، هما لدرجة ما واسطة من وسائط التغلب على ظواهر الازمات في الاقتصاد ، ويفتح للاحتكاريين سوقا اضافية ، ومصدرا للاثراء . ومن ناحية اخرى ، ان تحقيق المخططات الحربية للامبريالية الامريكية يؤدي لا محالة الى نهب الجماهير الشعبية بواسطة زيادة اعباء الضرائب المباشرة وغير المباشرة ، وتدهور الوضع المادي للكادحين ، واختصار اعتمادات التعليم ، والعلم ، والصحة العامة ، وبناء المساكن .

في عام ١٩٦٥ حصل احتكاريو الولايات المتحدة الامريكية على « ٤٥ » مليار دولار كمتوسط عام واحد في فترة الحرب العالمية الثانية ، بينما يعيش «٣٢» مليونا من الامريكيين في الفقر حسب اعتراف حكومة الولايات المتحدة الامريكية نفسها .

ومن المعلوم ان مبلغ الضرائب في الوقت الحاضر في الولايات المتحدة الامريكية اكبر بمقدار مرتين عنه في فترة الحرب العالمية الثانية واكبر بمقدار ٤٠ مرة من مبلغ الضرائب قبل الحرب المذكورة . ان سباق التسلح يبتلع جزءا كبيرا من الدخل القومي . ولقد ازدادت النفقات الحربية للولايات المتحدة

(١) جريدة « الاخبار » ــ ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٦ .

الامريكية خلال الاعوام العشرين الاخيرة ٤٨ مرة عن النفقات الحربية خلال الاعوام العشر ما قبل الحرب العالمية الثانية . وفي الوقت الحاضر ، ان اكثر من ثلاثة ارباع كافة نفقات الميزانية الاتحادية للولايات المتحدة الامريكية تذهب بصورة مباشرة او غير مباشرة الى الاغراض الحربية .

في المؤلف ــ ضد دهرنغ ــ لفت (ف. انجلس) الانتباه الى ان السلاح الجديد يؤثر ليس فقط على حالة العمل العسكري ، بل وعلى سياسة الدولة . ولقد بين ان التحسين والتوزيع الكثيف للسلاح الناري ــ سبب نشر روح الثورة ليس فقط في خوض الحرب نفسها ، بل وفي موقف السياسة من السيطرة والاستعباد(١) . ان الواقع الحديث يؤكد صحة هذه الكلمات .

في الولايات المتحدة الامريكية ، تتحدد الحياة الاقتصادية ، واتجاه تطور الاقتصاد والمسائل السياسية الداخلية اكثر فاكثر من قبل المجموعة الصناعية الحربية المنذرة بالشؤم . ان نمو تاثير الاحتكاريين والطغمة العسكرية يؤدي الى تعزيز الرجعية تعزيزا شديدا ، وكبت بقايا الحريات الديمقراطية ــ البورجوازية والى طرق القيادة البيروقراطية ــ العسكرية .

ان الثورة في العمل العسكري اظهرت تاثيرا عميقا على السياسة الخارجية للامبريالية الامريكية ، معززة بصورة كبيرة طابعها العدواني ، ان التحويلات الجذرية في العمل العسكري في الولايات المتحدة الامريكية تستخدم كواسطة لاخضاع الدول الاخرى للتحكم الامريكي .

ان الثورة في العمل العسكري في الولايات المتحدة الامريكية تحمل بشكل مفضوح طابعا ــ رجعيا لا انسانيا ، لانها من حيث الجوهر تشكل الحلقة الهامة في اعداد تلك الجريمة الرهيبة ضد الانسانية ــ الحرب النووية الحرارية العالمية .

لا توجد في الاتحاد السوفياتي ، خلافا للعالم الراسمالي ، طبقات متناقضة ولا مجموعات اجتماعية ذات مصلحة في الحرب . ان الثورة في العمل العسكري مفروضة علينا لاسباب خارجية ، وهي تنفذ باسم تأمين حماية مكتسبات الاشتراكية من العدوان الامبريالي .

---

(١) ك. ماركس و ف. انجلس ــ المؤلفات ــ المجلد ٢٠ ، ص ١٧١ .

ان الاقتصاد الاشتراكي يسمح لدولتنا بتحقيق تحويلات جذرية في العمل العسكري بصورة اقتصادية اكثر ، مع الاقلال من المصاريف في الموارد المادية والبشرية والمالية والمواد الخام ، مع اقل الخسائر في تطوير القوى الانتاجية .

ان خاصية اخرى من خصائص الثورة في العمل العسكري في الاتحاد السوفياتي تتلخص في انها اساس من اجل التحولات الجذرية للعمل العسكري في البلدان الاشتراكية الشقيقة . ان نمو القدرة الدفاعية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية يستهدف تعزيز امن كل المعسكر الاشتراكي .

ان نجاحات بلادنا في مجال انشاء العتاد الحربي القوي تسهل وتعجل رفع مستوى التجهيز الفني لجيوش البلدان الاشتراكية .

ان المزية الخاصة للتحويلات الجذرية في العمل العسكري في بلادنا هي طابعها التقدمي سواء من ناحية الاهداف او من ناحية طرق تحقيقها . في ظروف الاشتراكية تستخدم الثورة في العمل العسكري لاغراض حماية النظام الاجتماعي الاكثر تقدما ، ومساعدة الشعوب السائرة على طريق انشاء الحياة الجديدة ، ومنع تصدير الثورة المضادة ، وتعزيز السلام .

لو كان الاتحاد السوفياتي غير قوي ، لاوقع الامبرياليون الانسانية في حرب عالمية جديدة . ولكانت المكاسب الثورية لشعبنا والشعوب الاخرى تعرضت للتهديد لولا وقاية القوة الحربية لبلدان الاسرة الاشتراكية المباشرة ، وفي الدرجة الاولى قوة الاتحاد السوفياتي .

استنادا على قدرة قواتنا المسلحة ، تقود الحكومة السوفياتية الصراع بصورة حاسمة من اجل السلام ، والتقدم الاشتراكي . ان المنجزات الفنية ـ الحربية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، والاسلحة السوفياتية ، النووية ، هي عامل هام من اجل السلام .

ان بحث مصادر وجوهر ومضمون وخصائص الثورة الحديثة في العمل العسكري يظهر انها وثبت من المرحلة الآلية الحرب ـ حرب المحركات ـ الى الحرب النووية ـ الصاروخية ، الحرب ذات الطابع العلمي ـ التكنيكي .

المذهب العسكري وعــلم الحــرب

١ ـ المبادىء الاساسية للمذهب العسكري السوفييتي :

ان لمفهوم « المذهب العسكري » اهمية علمية كبيرة ، بالنسبة لنظريــة الحرب وتطبيقاتها . لذلك ، من الضروري ان نشدد الاشارة ، ولو بصــورة مختصرة ، الى المبادىء الاساسية للمذهب العسكري السوفييتي ، واختلافه عن المذاهب العسكرية للامبريالية .

يبحث المذهب العسكري للدولة السوفييتية ، مجموعة الآراء المعللة بالبراهين بصورة علمية ، عن طبيعــة وخصائص الحــرب المقبلة ، واساليب خوضها ، وطرق البناء العسكري التي يجري اعداد البلاد والقوات المسلحــة لصد العدوان الامبريالي طبقاً لهــا .

يوضــع المذهب العسكري من قبل القيادة السياسية والعسكرية للدولة . انه يفصح عن الخصائص الاجتماعية ـ الاقتصادية ، والسياسية ، والتاريخية ، والجغرافية ، وغيرهــا من خصائص البلاد ، وعن طابع سياستها الداخليــة والخارجية . .

ليس المذهب العسكري عقيدة جامدة ، ولا مفهوما أزليا لا يقبل التغيير . انه يتبدل مع تطور الدولة وقواتها المسلحة . ان محتوى المذهب ، المتوقف عن الاستجابة للاهداف السياسية وامكانات الدولة المادية ـ الفنية ، يجدد أو يبدل بمحتوى جديد . ومن المفهوم ان تتابع مبادىء المذهب الاساسية يظــل اثناء ذلك قائما ، ويثبت كل ما هو قيم وايجابي .

ان المسالة المتعلقة بطابع المذهب العسكري السوفييتي ، نوقشت بشكل

واسع في جيشنا حتى في عامي ١٩٢١ ــ ١٩٢٢ . وبنتيجة المناقشة على اساس العلم المادي ــ الديالكتيكي لمناهج الابحاث العلمية ، والمبادىء اللينينية للبناء الحكومي والعسكري ، صيغ المذهب الذي تجسمت مبادئه الاساسية في انظمة الخدمة العسكرية السوفييتية ، وكتب التدريب ، والوثائق الاخرى . كانت الحرب الوطنية العظمى تجربة قاسية للمذهب العسكري السوفييتي . فقد اظهرت الحرب أن مبادئه الاساسية كانت صحيحة . ان القوات المسلحة السوفييتية ، بعد تغلبها على مصاعب فترة الحرب الاولية ، غيرت مجرى الصراع المسلح لصالحها ، ودمرت العدو الماكر القوي ، واحرزت بكل الوسائل نصرا تاريخيا .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، جرت تبدلات جذرية ، وتكون النظام الاشتراكي العالمي . ان قوة الاشتراكية نمت لبس من الناحية السياسية والاقتصادية فحسب ، بل ومن الناحية العسكرية .

في هذه الايام ، يتحكم الاتحاد السوفياتي في السلاح الصاروخي ــ النووي ، وفي غيره من احدث العتاد الحربي . ان كل هذا حمل على اعادة النظر في كثير من مبادىء مذهبنا العسكري . ان مذهب دولتنا العسكري الحديث . يحدد وسائط واساليب الوقاية المضمونة للوطن السوفييتي ، ولكل المعسكر الاشتراكي ، من العدوان الامبريالي ، ويحدد مبادىء البناء والاعداد السياسي والعسكري للقوات المسلحة في ظروف التبدلات الجارية ، نتيجة الثورة في فن الحرب .

ان للمذهب العسكري ، لاية دولة ناحيتين : ناحية سياسية ــ اجتماعية ، وناحية فنية ــ عسكرية . كلا الناحيتين مرتبطتان ارتباطا وثيقا فيما بينهما ، وتؤثران على بعضهما البعض ، ويبدو اثناء ذلك ان الناحية الرئيسية المتقدمة هي الناحية الاولى .

تحدد الناحية السياسية ــ الاجتماعية لمذهبنا العسكري طبيعة مهام الدولة السوفييتية العسكرية ، والاتجاه الرئيسي لبناء القوات المسلحة السوفييتية . ولقد ارسى أساسه « ف.ا. لينين » . ان مذهبنا العسكري ،

معتمدا على تحليل « لينين » لطابع الراسمالية الجشع ، وعلى الفكرة اللينينية في الدفاع عن الوطن السوفييتي ، يشجب الحروب العدوانية الرجعية ، غير العادلة ، ويوافق على الحروب العادلة ، التحريرية ، الثورية .

يعتبر المذهب العسكري السوفييتي ، ان حربا عالمية جديدة ، اذا اشعلها الامبرياليون سوف تكون بطابعها الاجتماعي الطبقي عبارة عن صدام مسلح لنظامين اجتماعيين متناقضين : الراسمالية والاشتراكية ، فمن ناحية الدول الامبريالية سوف يكون هذا الصدام حربا عدوانية اجرامية غير عادلة . ومن ناحية المعسكر الاشتراكي سوف تكون الحرب تحريرية عادلة . وسوف تتناول هذه الحرب ، حتما ، مجالا عبر القارات ، وسوف تشرك في مدارها معظم بلدان الكرة الارضية . وسوف تحمل الحرب طابع الابادة والتدمير والعنف .

وبناء على قوام قوات الاطراف المتعارضة ، سوف تكون الحرب العالمية حرب احلاف . وفي الواقع فقد اصبحت توجد مثل هذه الاحلاف . فمن اجل خوض الحرب ضد البلدان الاشتراكية انشأ الامبرياليون حلف شمال الاطلسي ، وحلف جنوب شرق اسيا ، والحلف المركزي ، والتكتلات العدوانية الاخرى . وللرد على هذا فقد اضطرت البلدان الاشتراكية لاتخاذ التدابير من اجل توحيد جهودها الدفاعية في حالة العدوان . فأنشأت منظمة « حلف وارسو » الذي يبدو ترسا امينا لمنجزات الاشتراكية .

تناضل بلدان المعسكر الاشتراكي من اجل السلام ، ضد العدوان الامبريالي، وتعزز قوتها الدفاعية . وفي هذا النضال ، يؤدي كل بلد اشتراكي قسطه في قضية الضمان العامة لسلامة المعسكر الاشتراكي . ويقع الدور الحاسم على الاتحاد السوفياتي . ان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، المتحكم في القوة الاقتصادية والعسكرية الضخمة ، وفي السلاح الصاروخي النووي ، يبدو قوة تغطية جبارة امام العدوان الامبريالي .

ان مذهبنا العسكري ، معيرا اهمية خاصة الى اعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب العالمية التي تعدها الدوائر الاحتكارية ، يأخذ بعين الاعتبار امكانية اشعال الحروب الاقليمية المحدودة من قبل المعتدين الامبرياليين .

يرى المذهب العسكري السوفييتي **أن الحروب الحديثة سوف تخاض من قبل الشعوب وسوف يتعلق مجرى ومصير الحرب الحديثة في نهاية الامر بموقف الجماهير الشعبية منها . ان النصر في حرب كهذه سوف يتحقق بالقوة الجبارة لجهود الجبهة والمؤخرة والقوات المسلحة وكل الشعب . تركز الناحية العسكرية ــ الفنية لمذهبنا ، انتباهها على خصائص الحرب الصاروخية النووية ،** وطرق خوضها . يعتبر مذهبنا **ان الدور الحاسم في حرب كهذه سوف تلعبه القوات الصاروخية ذات الاختصاص الاستراتيجي** وسوف تنزل الضربات النووية على اكثر اهداف واغراض العدو اهمية في اراضيه . ويمكن ان تعين الضربات النووية الكثيفة مسبقا ، ولحد كبير كل مجرى ومصير الحرب . وسوف تطور الانواع الاخرى للقوات المسلحة ، وصنوف القوات اعمالها في البر والبحر والجو ، في آن واحد مع الضربات الصاروخية ــ النووية او في اثرها .

وبالتالي ، فان مذهبنا العسكري يستنتج من هذا ان النجاح في الحرب الحديثة لا يتحقق باية واسطة ، او اي نوع واحد من انواع القوات المسلحة ، بل بالجهود الموحدة لكل انواع القوات المسلحة وصنوف القوات ، بالرغم من الدور الحاسم للقوات الصاروخية ذات الاختصاص الاستراتيجي .

ان مذهبنا العسكري ، آخذا بعين الاعتبار ان السلاح الصاروخي ــ النووي يمتلك قوة ضخمة يمكنها ان تزيل مدنا برمتها من على وجه الارض في ايام معدودة وحتى في ساعات ، يتطلع الى الحرب النووية كحرب سريعة الزوال . وفي نفس الوقت ، يسلم بأن الحرب في ظروف معينة يمكن ان تتخذ طابع الاستمرار .

وفيما يتعلق بطرق اشعال الحرب من قبل الامبرياليين ، يعتبر المذهب العسكري السوفييتي **ان العدوان المفاجيء المعتدي بدون اعلان الحرب هو الاكثر احتمالا .** وعلى هذا الاساس بالذات ، يراهن الامبرياليون . وليس من المستبعد ان الحرب يمكن ان تبدأ حتى بطريق الانتقال التدريجي للصدام المحدود في النطاق العالمي . الا انه كيفما ابتدات الحرب فان الضربات الصاروخية ــ النووية الاولية يمكن ان تكون حاسمة . ومن هنا تنبثق **المهمة الرئيسية للقوات المسلحة السوفييتية ــ ان تكون في استعداد قتالي دائم .**

يعلم مذهبنا العسكري انه في الحرب النووية ، سوف تكون طرق الاعمال القتالية غيرها في الحروب الماضية . ان السلاح الصاروخي ــ النووي غير ترابط الاعمال التكتيكية والعملياتية والاستراتيجية للصراع المسلح ، فاذا تكونت في الماضي حصيلة الاستراتيجية من مجموع النجاحات التكتيكية والعملياتية واذا استطاعت الاستراتيجية بمعونة فن العمليات والتكتيك ان تحقق افكارها ، **فان الاستراتيجية في الوقت الحاضر تستطيع ان تتوصل الى اهدافها بصورة مباشرة** . لقد تغير دور فن العمليات والتكتيك . ففي مجرى العمليـــة (المعركة) سوف تنجز القوات ، بالاجمال ، التدمير النهائي للعدو بضربات الوسائط الصاروخية ــ النووية ذات الاختصاص الاستراتيجي .

ان المذهب العسكري السوفييتي ، اعتبر الهجوم ، على الدوام ، الواسطة الاساسية لتدمير العدو الكامل ، واحراز النصر ، اما الدفاع فقد تطلع اليه كشكل اضطراري للصراع ، يستخدم في ذلك الوقت عندما يكون الهجوم غير ممكن او غير مفيد . **وفي ظروف الحرب النووية ينمو دور الاعمال الهجوميـــة النشطة اكثر فاكثر ، ويضيق مجال استخدام الدفاع** . وكما يبدو سوف يلجأ الى استخدام الدفاع في الظروف الاستثنائية فحسب ، زد على ذلك ، انه سوف يلجأ اليه لعى المستوى التكتيكي او العملياتي المحدود لا غير . . . .

في الحرب النووية تنمحي الحـــدود بين الجبهـــة والمؤخرة اكثر فاكثر ، وتستطيع الاعمال القتالية ان تنتشر في آن واحد على الجبهة وفي اعمـــاق المؤخرة . ويمكن انزال الضربات الصاروخية النووية على اغراض المؤخرة ، ويمكن انزال قوة مسلحة جوية في المؤخرة . ان كل هذا يقدم المتطلبـــات الخاصة للدفاع المدني المدعو لتأمين وقاية الاهالي من ضربات العدو الصاروخية النووية ، وازالة آثار الاعتداء النووي ، والمساعدة على استمرار عمل عناصر الادارة والتموين .

المـــذهب العسكري السوفييتي ، معـــيرا اهميـــة عظيمـــة الـــى الســـلاح الصاروخي ــ النووي والى احدث العتاد الحربي لا يسمح بتحكمه المستبد ، انه يتطلع الى الانسان والعتاد في ارتباط ديالكتيكي متبادل ويخصص المكان الاول

في احراز النصر للانسان . ان قدرة قواتنا المسلحة هي في العتاد الحربي الممتاز وفي اخلاصها المتفاني في الحروب البارزة ، لشعبها وللوطن الاشتراكي ، وللقضية الاشتراكية .

ان المذهب العسكري السوفييتي — هو مذهب الدولة الاشتراكية . انه يختلف جوهريا عن المذاهب العسكرية للدول الامبريالية .

ان المادية التاريخية الديالكتيكية ، وخاصة النظرية الماركسية — اللينينية عن الحرب والجيش تكونان الاساس العلمي — الفلسفي لمذهبنا العسكري . وان الاساس العلمي للمذاهب العسكرية البورجوازية هو الفلسفة المثاليــة والميتافيزيك(١) .

يقوم المذهب العسكري السوفييتي بدور تقدمي للغاية ، انه يخدم قضية حماية النظام الاجتماعي التقدمي نفسه — الاشتراكية . اما المذاهب العسكرية للدول الراسمالية فانها تحمل طابعا رجعيا للغاية ، وتخدم مصالح المعتدين الامبرياليين ، وحماية النظام الاستغلالي .

ان مذهبنا العسكري مشبع بروح الانسانية . انه يرفض وسائط وطرق الصراع المسلح غير الانسانية اما المذاهب الامبريالية ، فانها على العكس تسوغ أية طرق ووسائط للحصول على الاهداف العدوانية وان اثبات هذا واضح في مذهب (الاستجابة المرنة) للامبريالية الامريكية ، زراعة الغدر والقرصنة في العلاقات الدولية . ان مظهرها ، كآكلة لحم البشر . يظهر بوضوح على الاخص في اعمال القوات الامريكية واعوانها في فييتنام . ان الطغمة العسكرية الامريكية مستبيحة القواعد الاساسية للحقوق الدولية ، تستخدم اكثر الوسائط قسوة ووحشية ، وهي لا تقل عن الهتلريين في شيء .

ان المذهب العسكري السوفييتي يقدر العدو المحتمل تقديرا سليمــا وموضوعيا ، ويتطلع الى عوامل الصراع المسلح في ارتباطها المتبادل . ان المذاهب

---

(١) الميتافيزيك : ما وراء الطبيعــة .

العسكرية للدول البورجوازية كثيرا ما تعاني من روح المخاطرة ، والسلطة المستبدة لاي نوع من انواع القوات المسلحة او صنوف القوات ، ولاي شكل من اشكال الصراع .

يسبغ مذهبنا العسكري على نشاط قوات الجيش النظامي طابع التوجه الى غرض معين ويؤمن وحدة الآراء والجهود العملية ، لزيادة القدرة العسكرية للدولة السوفييتية وقواتها المسلحة .

٢ ـ الارتباط المتبادل بين المذهب العسكري وعلم الحرب :

ان ايضاح الارتباط المتبادل بين المذهب العسكري وعلم الحرب يمثل مسألة علمية نظرية تمتلك اهمية علمية وتطبيقية كبيرة . ان المفهوم الخاطىء لمثل هذا الارتباط المتبادل يمكن ان يؤثر تأثيرا سلبيا على تطور فن الحرب .

ان علم الحرب السوفييتي يكشف سنن الصراع المسلح وكل فن الحرب . وعلى اساس ادراك هذه السنن يسدي النصائح في مسائل البناء العسكري ، ووضع اكثر السبل اتقانا لخوض الحرب .

ان للمذهب العسكري السوفييتي وعلم الحرب السوفييتي اساسا ماديا وحيداً هو اسلوب الانتاج الاشتراكي ، وقاعدة سياسية ــ اجتماعية واحدة هي النظام الحكومي الاجتماعي السوفييتي ، ولهما كذلك اساس فلسفي ــ علمي هو المادية التاريخية ــ الديالكتيكية ، ومهام واهداف عامة هي تأمين القدرة على الدفاع عن البلد السوفييتي وكل المعسكر الاشتراكي ، وزيادة الاستعداد القتالي الدائم للقوات المسلحة في اتحاد الجمهوريات السوفييتية وبلدان الاشتراكية الاخرى .

ان للدول البورجوازية فكرة تافهة مبتذلة فيما بين المذهب العسكري وعلم الحرب الا انه فيما بين المذاهب العسكرية وعلوم الحرب لمختلف الانظمة الاجتماعية توجد اختلافات جذرية متعلقة بالاسس الاقتصادية العقائدية المتناقضة تماما .

يبدو الارتباط المتبادل فيما بين المذهب العسكري وعلم الحرب في تعاونهما الوثيق . ان المذهب العسكري يصاغ بمساعدة علم الحرب ، ويتأسس على

استنتاجاته . وليس من قبيل الصدفة ان اشار « م . ف . فرونزي » في حينه الى ضرورة تطبيق المذهب العسكري السوفييتي على مبادىء علم الحرب الاساسية(١) . وكلما كثر اعتماد المذهب العسكري على الاستنتاجات التي يقدمها علم الحرب ، يستجيب لمتطلبات الواقع . وبالعكس ، كلما قل تفهم المذهب العسكري لاستنتاجات علم الحرب ، كلما تكثر فيه عناصر الذاتية ، والانحراف عن الظروف الواقعية . ان مثل هذا المذهب لا يعكس الاتجاهات الحقيقية في تطوير فن الحرب .

من المعلوم ان مذاهب الدول الامبريالية ، قبيل الحرب العالمية الاولى ، خلافا لعلم الحرب وتجارب الحروب الماضية ، استخفت بقوة السلاح الناري ، وكذلك تخلفت بصورة جدية عن الواقع الحقيقي . ولم تستطع تأمين اعـداد الوسائط الضرورية للهجوم بالرغم من تصريحها بان الهجوم هو الطريقة الرئيسية للاعمال القتاليـة .

ان اهمال المذهب لاستنتاجات علم الحرب يمكن ان يؤدي الى نتائج سلبية الغاية وان يضع الدولة في موقف خطر . وعلى سبيل المثال ، وجدت فرنسا نفسها في مثل هذا الموقف في الحرب العالمية الثانية . ان مذهبها العسكري كان يعاني من الضيق والسلبية والميل الى سياسة الدفاع ، ولم يأخذ بعين الاعتبار طبيعة وخصائص الحرب المتحركة .

ولقد كان هذا قبل كل شيء نتيجة السياسة الخائنة لدوائر البورجوازية الفرنسية الحاكمة التي اهملت مصالح بلدها الوطنية ، وعنيت سوية مع امبرياليي الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا والبلدان الاخرى بتهدئة المعتدي الفاشستي ، وشجعوه ودفعوه الى الحرب ضد الاتحاد السوفياتي . وفي النتيجة فان الدولة الفرنسية ، وكانت لديها امكانات اقتصادية وعسكرية كافية ، ظهرت غير مستعدة لصد العدوان الهتلري وتكبدت الهزيمة بسرعة .

وكما تدل التجربة التاريخية ، فان ما يؤدي الى النتائج المدمرة هو

---

(١) م . ف . فرونزي ، المختارات ، المجلد ٢ ، دار النشر والاصدار العسكرية ، ١٩٥٧ ، ص ١٣

مبالغة المذاهب العسكرية للدول الامبريالية في تقدير امكانات البلاد الاقتصادية والعسكرية ، دافعة الشخصيات السياسية والعسكرية الى المغامرات .

ان سياسة الطبقات الحاكمة ، ومذهبها العسكري في المانيا الامبريالية ارشداها مرتين الى نفس الطريق ، وفي المرتين ساقا البلاد الى الكارثة . وفي هذه الايام يمضي على هذا الطريق الخطر الالمان الغربيون الانتقاميون . وبتشجيع من الامريكيين الامبرياليين يهملون دروس التاريخ ، ويغمضون العيون عن تناسب القوى الحقيقي في العالم ، ويندفعون الى السلاح النووي وينشئون في اوروبا بؤرة خطرة للحرب .

خلافا لمذاهب الدول الامبريالية العسكرية ، تكون المذهب العسكري السوفييتي ويتطور على اساس علمي متين . ان مذهبنا العسكري ، واجدا نفسه في توافق تام مع علم الحرب المتطور ، استنتج الاستنتاجات الضرورية خلال الاعوام الاولى للحكم السوفييتي على اساس تعميم التجربة القتالية الماضية ، والكشف عن العوامل الموضوعية التي تعلق بها نجاح الصراع المسلح خاصة وانه قد حدد بصورة صحيحة دور العتاد الجديد ، بالنسبة لذلك الوقت ــ كالطيران والدبابات .

الا انه في تلك الفترة ، لم يستطع المذهب العسكري السوفييتي ان يوجه تطور قواتنا المسلحة في تجاوب تام مع الاستنتاجات العلمية ، لان امكانات الدولة العسكرية والاقتصادية الحقيقية لم تكن تسمح بعمل هذا . فكان مجبرا ان ينصح ، مثلا ، بالنظام الاقليمي المختلط لملاك الجيش بالرغم من ان مستوى تطوير فن الحرب الحاصل حتى ذلك الوقت كان يتجاوب اكثر مع الجيش النظامي . وعلى مقدار انشاء القاعدة المادية ــ الفنية للدفاع عن البلاد كان مذهبنا العسكري يرشد لاستخدام منجزات العلم والتكنيك من جميع النواحي لمصلحة اعداد البلاد والقوات المسلحة لصد العدوان الامبريالي .

وعلى هذه الصورة ، يبدي علم الحرب تأثيرا فعالا على المذهب العسكري . وان المذهب العسكري بدوره لا يظل سلبيا فيما يتعلق بعلم الحرب ، بل يبدي تأثيره عليه . ولكن المذهب العسكري المتبع يضع امام علم الحرب مهمات

محددة ، ممثلة في صيغة مطالب حكومية ويركز جهوده لحل قضايا البنـاء العسكري الرئيسية نظريا ، وتعليل هذا الحل ، ولتحقيق المواضيع والمبادىء المذهبية الجوهرية في الحياة .

ان استنتاجات علم الحرب لا تستخدم في عملية البناء العسكري بصورة مباشرة ، وانما بصورة غير مباشرة ، بواسطة المذهب العسكري . ان العوامل الموضوعية ذاتها ، مكشوفة ومعممة بواسطة علم الحرب ، تقيم بمختلف الاشكال بواسطة المذاهب العسكرية للدول المختلفة ، حتى الدول ذات الطراز الواحد من حيث نظامها الاجتماعي . لذلك ، ذابت ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، المذاهب العسكرية الوطنية لالمانيا وفرنسـا وانكلترا في مجموعة المبادىء الاساسية .

يدرس علم الحرب نطاقا واسعا من المسائل اكبر بكثير مما ينبغي من اجل المهمات العلمية لبناء قوات الدولة المسلحة في الفترة المذكورة . انه يتطلع الى كافة الوسائط المحتملة وظروف وخوض الصراع المسلح ، ومن بينها تلك التي ليست منتشرة في هذا البلد ، ولا تتطابق تماما مع امكاناته . غير ان استنتاجات علم الحرب تستخدم من قبل المذهب استنادا الى الظروف الواقعية وامكانات البلـد .

ان اي علم حرب حديث لا يستطيع ان ينكر الثورة الحاصلة في فن الحرب، وظهور السلاح الصاروخي ـ النووي ، وتأثيره المحدد على طرق واشكال الصراع المسلح . الا انه بالنسبة للدول التي لا تتحكم في سلاح صاروخي ـ نووي خاص ، فان المذهب العسكري مجبر ان يدل على سبل البناء العسكري ، المتميزة عن تلك السبل التي تستطيع ان تمضي عليها البلدان المالكة لكافة وسائط الصراع المسلح الحديثة . ويهتم علم الحرب باعداد هذه السبل . ثم ان علم الحرب يدرس تطور فن الحرب في بلدان عديدة ، ويقدر حالة القوات المسلحة وامكانات الدول العسكرية والاحلاف ، وظروف خوض الصراع المسلح في مختلف مسارح الاعمال القتالية . اما المذهب فانه يأخذ بعين الاعتبار تلك العوامل التي تبدي تاثيرا على انشاء القوات المسلحة في بلده فحسب . وبعبارة اخرى ، من كل تعدد انواع الظواهر والاتجاهات المدروسة من قبل علم الحرب ، ومن كل تعاميمه

وتوصياته ، يتناول المذهب تلك التي تتجاوب والخطة السياسية للدولـة ، وامكاناتها العسكرية والاقتصادية فحسب .

وكما نرى ، فان بين المذهب العسكري وعلم الحرب أشياء مشتركة كثيرة . وانهما يؤثران على بعضهما البعض بصفة متبادلة . الا انه توجد اختلافات فيما بينهما .

ان المذهب العسكري اكثر استقرارا بالنسبة الى علم الحرب . ان المذهب مقيد بصورة اكثر او اقل بالمهمات الطويلة الامد ، التي تتحقق وفقا لمتطلباتها في الصناعة وفي تركيب القوات المسلحة ، وفي تكديس الاحتياطات المتنوعـة . ان العدول عن الآراء المذهبية المتكونة يستدعي تحطيما جديا في كل البنـاء العسكري . ان علم الحرب اكثر ديناميكية ونشاطا من المذهب وفوق ذلك ، فان علم الحرب الاصيل يسبق المذهب دوما في استنتاجاته وتوصياته . ان علم الحرب المحافظ على القديم فحسب ، والمتأخر عن تطور فن الحرب ، يمكن ان يبدو خلف المذهب العسكري .

ثم ان الاختلاف بين المذهب العسكري وعلم الحرب ينحصر في ان المذهب كنظام وحيد للمقاصد والآراء ، حر من الاعتقادات والتقديرات الشخصية . **لا يمكن ان يوجد في الدولة مذهبان عسكريان . اما في علم الحرب فيمكن ان توجد وجهات نظر مختلفـة ، بل ومتناقضة الواحـدة عن الاخرى ، وافكار وفرضيات متنوعة** يمكن بالطبـع ضمن المذهب ابـراز اهدافه الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية ، التي لا تدعي ولا تستطيع ان تدعي الاستقلال الذاتي لانها تعبير عن هذه الفكرة او تلك في نطاق مناسب .

اذا كانت الفكرة عن الحرب ، التي سوف تجري على الاغلب بالوسائط الصاروخية ــ النووية تشكل اساس المذهب ، ففي الفن العملياتي يعتبر السلاح النووي الواسطـة الرئيسية للتدمير . **ينبغي على الفن العملياتي ان ياخـذ باستمرار بعين الاعتبار الاهمية الحاسمة لخوض عمليات ضربات نوويـة ــ استراتيجية ، اما بالنسبة للمعارك التي سوف تجري في مجموعة من العمليات ــ فينبغي ان ياخذ بعين الاعتبار الاهمية الحاسمة للوسائط النووية العملياتية .**

لذلك في حدود المذهب الواحد ، والاستراتيجية الواحدة المحددة من قبل المذهب ، لا يمكن ان توجد اية آراء مستقلة او مختلفة عن نظرية خوض الصراع المسلح في البر ، او في البحر ، او في الجو . تنفذ كل الاعمال القتالية ، لو امر بها في اي مجال ، على اساس الافكار الموحدة ، والمنسقة بصورة متبادلة والخاضعة للمذهب العام .

ينبغي ان نلاحظ ان التماسك خاص بمذهب الدولة الاشتراكية فحسب ، وهي تمارس السياسة لمصلحة الشعب . ان مذهب اية دولة راسمالية يقاسي من التاثير الدائم لمجموعات الشخصيات المختلفة من الطبقة الحاكمة . من المعلوم ، مثلا ، ان وزارة دفاع الولايات المتحدة الامريكية تخوض اي صراع ضد وزارة الطيران المرؤوسة لها ، بسبب اعتمادات الوسائط لتصاميم الطائرات الجديدة ، وضد وزارة الاسطول البحري ايضا فيما يتعلق بالسفن ذات الآلات الذرية القوية وتقف وراء هذا الصراع مجموعات الاحتكارات الجبارة ، المهتمة باستلام الطلبات الحكومية لصناعة هذه او تلك الانواع من المنتجات الحربية . لذلك فان مذهب الولايات المتحدة الامريكية معرض للتاثير القوي لهذه المجموعات الاحتكارية او غيرها ، مما يعزز طبيعتها العدوانية اكثر من ذلك .

يوجد بين المذهب العسكري وعلم الحرب اختلاف ظاهر في درجة ارتباطهما بالماضي . **ان علم الحرب يدرس باهتمام تجربة الماضي ، مستخلصا منها ما هو ذو اهمية للحاضر والمستقبل** . اما المذهب فانه موجه بالكامل نحو المستقبل . من المهم بالنسبة اليه ان نتنبأ مع اي عدو حقيقي سوف نتعامل ، واية ظروف صراع مسلح يمكن ان تنشأ حسب المهمات والاهداف المحددة وحسب الوسائط والقوى ، والطرق والاشكال . ان المذهب ، استنادا الى امكانات الدولة وقدرتها الاقتصادية ، ومستوى تطور الصناعة ، والقدرة العلمية ، والموارد ، بما فيها الموارد البشرية يدل على اي الوسائط ينبغي تطويرها من اجل التدمير الاكثر ضمانا وكمالا للعدو .

ان المذهب العسكري السوفييتي ، مقررا هذه المهمة ، يسترشد (وكذلك علم الحروب السوفييتي) بتوجيهات « ف.ا. لينين » المشهورة في ان الاستخفاف

بالعدو غير مسموح به ، وكذلك لا يسمح بالمغالاة في تقديره ، اذ من المستحيل ان نستخف بتلك الوسائط او طرق الاعمال التي توجد او يمكن ان توجد لدى العدو . وهذا لا يعني بالطبع انه ينبغي ان نقلد بلا تفكير ، كل ما يوجد لدى العدو المحتمل . ان الشيء الرئيسي هو تحقيق التفوق ، الذي يضمن التدمير الكامل والاكيد للعدو المحتمل ، في حالة الحرب .

ان المذهب العسكري السوفييتي وعلم الحرب ، مستندين الى العلم الماركسي ــ اللينيني لمناهج الابحاث العلمية ، مدعوان للكشف عن الجديد في فن الحرب ، وتوفيقه مع متطلبات التطبيق ، وتوضيح السبيل للتطبيق واغناء النظرية بمنجزات التطبيق تلك هي المسألة الموضوعية العلمية الاولية للمذهب العسكري السوفييتي وعلم الحرب .

ان الدفاع عن الجديد ، واعداده من قبل المذهب وعلم الحرب لا يمكن الا ان يكون مصحوبا بالصراع الحاسم ضد الآراء البالية ، وبتحطيم الافكار الموضوعة التي لا تتجاوب مع الواقع . لذلك فان **المسالة الموضوعية العلمية الثانية** للمذهب العسكري السوفييتي وعلم الحرب المرتبطة ارتباطا وثيقا مع الاولى ، **هي الصراع ضد الروح العقائدية الجامدة ، والتغلب على الجمود والرقابة في فن الحرب .**

واخيرا ، **ان المسالة الموضوعية العلمية الثالثة للمذهب**العسكري السوفييتي وعلم الحرب **هي الصراع ضد التطرف ، وضد اي نوع من انواع المغالاة وضد الاوهام الباطلة ، وتخطيط الخطط الفارغة ، والانعزال عن الواقع .**

بني المذهب العسكري وعلم الحرب ، في كل الاوقات ، على جمع تجربة الماضي المعممة مع عملية التنبؤ عن المستقبل . وعلى مقدار تطور المجتمع ، وتحسين التكنيك ، ونفاذ العلم في كل مجالات النشاط الانساني تقل اهمية التجربة الماضية ، ويزداد الثقل النوعي لعملية التنبؤ العلمي . ان هذا خاص بصفة مميزة بالعصر الحديث ، بمناسبة ظهور السلاح الصاروخي النووي ، والوسائط الاحدث الاخرى للصراع المسلح .

لا بد من دراسة حروب الماضي ، من اجل البحث عن الخطوط العامة الخاصة بها ، والكشف عن شرعة الصراع المسلح . ومن البديهي انه ينبغي دراسة التجربة الاكثر بعدا دراسة عامة . اما التجربة الاكثر قربا فينبغي دراستها دراسة موضوعية ملموسة . ومن المهم للغاية ان نتابع دراسة الحرب الوطنية العظمى من جميع النواحي ، لان الكثير من تجربة هذه الحرب لما يفقد اهميته في مجال فن الحرب .

يتطلع مذهبنا العسكري وعلم الحرب الى تطور العتاد الحربي . والعمل الحربي ، لهذا او ذاك النوع من انواع القوات المسلحة وصنوف القوات ، من الناحية التاريخية الموضوعية الملموسة ، مستخلصين الحلقة الرئيسية في المرحلة المعلومة ، وآخذين بعين الاعتبار ضرورة اتاحة متسع لكل ما هو جديد وتقدمي وامامه آفاق واسعة . ان العتاد الحربي لم يتطور ابدا بهذه الدرجة من السرعة والتطور بوثبات مثل الآن . ان هذا يظهر المتطلبات الزائدة للابداع في فن الحرب . ان التوقف في فن الحرب ـ يعني حتما ان نتأخر وان نكون محطما . **لذلك من المهم ان لا نكون عبدا للقديم ، وان نرى حداثة الموقف ، وان نملك الشجاعة والقدرة للابداع الاصيل .**

ان الحزب يعلم قوات الجيش النظامية ان ترى آفاق تطور فن الحرب ، وان تحطم ، بجراة الافكار البالية عن طرق خوض الاعمال القتالية ، ومبادىء بناء القوات المسلحة . ان الحزب يدعو الضباط ، مسترشدا بالعلم الماركسي ـ اللينيني لمناهج الابحاث العلمية ان يدرسوا باستمرار وبعمق مسائل نظرية الحرب وتطبيقاتها على ضوء متطلبات الحرب الحديثة .

قوانين الكفاح المسلح ومبادىء فن الحرب

١ ـ موضوعة قوانين الكفاح المسلح :

تدرس الحرب ، كظاهرة اجتماعية ـ تاريخية ، من قبل مختلف انواع العلوم : علم التاريخ ، وعلم الاقتصاد السياسي ، وعلم تكتيك الحرب . ولايتناول كل علم من هذه العلوم في موضوعة الحرب بالاجمال ، بل يتناول القسم الذي تحدد وجهة نظره . لان الحرب ظاهرة اجتماعية معقدة .

ان موضوع معارف الحرب هي الكفاح المسلح . وان علم الحرب ، اذ يدرس هذا الكفاح لا ينكر بطبيعة الحال علاقات القوة المسلحة بالاقتصاد والسياسة والدبلوماسية والايديولوجية ، الا انه لا يعنى بهذه العلاقات الا بقدر ما هي ضرورية لمعرفة تطورات الكفاح المسلح بشكل افضل . وينبغي ان نميز بين موضوع العلم وبين مادته . فاذا كان موضوع اي علم يخدم مجال حقيقة محددة ، فان مادته هي ما يستقصى في هذا الموضوع . **وليس من مهمة العلم ان يشرح مختلف انواع الظواهر ، بل يوضح اسباب ونتائج العلاقات والارتباطات الجوهرية ، وقوانين ، التطورات المدروسة . كتب ف.أ. لينين : « ينبغي ان تعطى المعرفة النظرية هدفا لضرورتها ومواقفها الشاملة ، وحركة تناقضاتها ... »(١) .**

يقوم العلم ، وهو يبحث العديد من الظواهر بالاستنتاج العام . ويستبعد كل ما هو سطحي وعرضي وخارجي ، ويوضح القوانين التي تخضع هذه الظواهر لها . ان مادة العلم ، على هذه الصورة ، هي قوانين ذاك المجال من العالم

---

(١) ف.ا. لينين : « المختارات الكاملة » ـ الجزء ٢٩ ، الصفحة ١٩٣ .

الموضوعي ، الذي يبحثه هذا العلم . **وان مادة علم الحرب** هي قوانين الكفاح المسلح .

ما هو اذن القانون من وجهة نظر الماركسية ــ اللينينية ؟

كتب ف.ا. لينين في « الدفاتر الفلسفية » : القانون هو علاقة ... علاقة الحقائق او العلاقة بين الحقائق . ينتج من هذا المبدأ اللينيني انه : اولا ، لا يسمح بالبحث في القوانين بطريقة مثالية . ويطرحها على صورة تصاميم ارادية منعزلة عن ظواهر الطبيعة او المجتمع . ان للقوانين طابعا موضوعيا ، وهي توجد وتؤثر في الظواهر نفسها بصرف النظر عن الارادة والشعور . ولا يجوز ، ثانيا ، خلط القوانين مع ظواهر الطبيعة نفسها او مع ظواهر الحياة الاجتماعية مهما كانت اهمية الظواهر الاخيرة **وان القوانين ليست مستقلة عن المادة والظواهر وتطورات الواقع وكذلك ليست مشابهة لها وليست القوانين** عبارة عن الحوادث والظواهر والوقائع بل هي عبارة عن الارتباطات والعلاقات فيما بينها . ثالثا : ليست اية علاقة او صلة في تطورات العالم الموضوعي هي قانونا . ففي الطبيعة والحياة الاجتماعية يوجد عدد كبير غير محدد من الارتباطات **والعلاقات** . ان القانون هو العلاقة الجوهرية .

تعمل قوانين الطبيعة والمجتمع بقوة الضرورة الموضوعية . وهذا يعني انه عند توفر شروط معينة ، لا مفر من عمل محتم ، يسبب نتيجة معينة ، بصرف النظر عن ارادة ورغبة الناس . ان القوانين تتصف بصفات العمومية في ذلك المجال من العالم الموضوعي ، الذي تؤثر فيه . ان القوانين طابعا تاريخيا ، فهي تغير مضمون واشكال ظهورها وفقا لتغير الشروط التاريخية الموضوعية المعينة . ان قوانين التطورات الدقيقة للطبيعة والمجتمع والتفكير تحدث او تبطل مفعولها سوية مع حدوث او زوال تلك التطورات نفسها .

تعلم المادية الديالكتيكية انه في الظواهر المعقدة للطبيعة والحياة الاجتماعية يوجد عدد كبير من الارتباطات والعلاقات الجوهرية ، وعدد كبير من القوانين . وان الحرب ظاهرة من اعقد الظواهر في حياة المجتمع . وان هذا يقدم لنا

اساسا للكلام عن وجود مجموعة كاملة من قوانين الحرب . ويمكن ان نختار من هذه المجموعة زمرة من القوانين .

ان القوانين التي تعبر عن ارتباط المجرى العام للحرب ومصيرها بنسبة الامكانات الاقتصادية ، والمعنوية ـ السياسية ، والعسكرية ، للاطراف المتحاربة ، تؤلف زمرة واحدة وهذه الزمرة هي أكثر قوانين الحرب شمولا . وهي في نفس الوقت قوانين الكفاح المسلح بهذا القدر او ذاك ، لانها لا تحدد مجرى ومصير الحرب بصورة عامة فحسب ، بل وتبدي تأثير مركزا على تطور الاعمال الحربية في النطاق الاستراتيجي ، والعملياتي ، والتكتيكي(١) .

والى الزمرة الثانية تنتسب القوانين التي تعبر عن الارتباط بين طبيعة وطرق واشكال الكفاح ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فانها تعبر عن الارتباط بين الاقتصاد ومستوى تطور القوى الانتاجية ، وسياسة البلدان المتحاربة . وان هذه القوانين على درجة متساوية سواء قوانين الحرب بصورة عامة ، او قوانين الكفاح المسلح .

وتوجد ، في النهاية ، مثل تلك الارتباطات والعلاقات الجوهرية التي لاتؤثر الا في ميادين القتال . **هذا وتوجد قوانين للكفاح المسلح بالذات . الا انها تنتسب ايضا الى قوانين الحرب لان الكفاح المسلح يضم خواص الحرب وهو اهم سماتها .**

من اجل ايضاح ترابط القوانين والمبادىء ، لا موجب للوقوف بالتفصيل على قوانين الحرب بالاجمال اذ من الممكن ايضا بحث اكبر عدد من قوانين الكفاح المسلح . ويكفي الرجوع الى بعضها فحسب ؛ وقبل كل شيء الى تلك القوانين التي تحدد الطابع العام ، واشكال وطرق الاعمال القتالية للقوات ، والتي تقع على الاغلب في اساس مبادىء فن الحرب .

ان تاريخ الحروب يشهد ان الكفاح المسلح في عصور تاريخية متنوعة

---

(١) للاطلاع بشكل اكثر تفصيلا على هذه القوانين : انظر كتاب : ب. ا. تروفرنتكوف ، في القوانين الاساسية لمجرى ومصير الحرب الحديثة ، دار النشر العسكرية ، عام ١٩٦٢ .

جرى بصورة مختلفة . وهذا يتوقف على اسباب وقرائن عديدة . وقد لعب التسليح دورا عظيما في تغير طرق الكفاح المسلح . **قديما ، في عهد القرون الوسطى وحتى القرن الثامن عشر ، كانت الجيوش مزودة بصورة رئيسية بالسلاح الابيض** . زد على ذلك انه كانت لاسلحة الرمي : — الاقواس ، والرماح والحراب والاقواس ذات المساند ، والعربات اهمية ثانوية ، وكانت التروس والدروع واسطة حماية للمقاتل ، مضمونة لدرجة ما من الاصابة عن بعد . ومع ان المعارك كانت تبتدىء باستخدام السلاح الابيض ، الا انه فيما بعد اتخذت طابع الاشتباك المتلاحم جسما لجسم وكان هذا يتوقف على الخصائص الحربية للسلاح الابيض ، الذي لم يكن بامكانه ان يوقع الهزيمة في العدو الا في القتال القريب . وكان القتال المتلاحم جسما لجسم على امتداد العصور ، الظاهرة الاكثر مميزا للكفاح المسلح .

ولقد أدى اختراع اسلحة الرمي النارية ، وتحسينها ، وانتشارها بالجملة الى ثورة حقيقية في فن الحرب ، استدعت طرقا واشكالا جديدة للكفاح المسلح . ولقد ظهرت امكانية تدمير العدو على مسافة كبيرة . واصبح القتال بالسلاح الابيض ظاهرة عرضية ، وفقد اهميته السابقة **واكتسبت دورا حاسما المعركة النارية التي استحالت ايضا الى قانون من القوانين الجديدة للكفاح المسلح .**

في عملية تطوير اسلحة الرمي النارية ، جرى تنافس عنيف فيما بين الوسائط الهجومية والدفاعية . ومن آن لآخر كانت تحرز الوسائط الهجومية التفوق تارة ، وتارة اخرى كانت تحرز الوسائط الدفاعية . ووفقا لهذا تغيرت طرق الكفاح المسلح . **ولقد احدث تحسين وسائط الهجوم طرق المناورة للكفاح . وادى اختراع الاسلحة الدفاعية الجديدة الى سيادة انظمة الخنادق في الاعمال الحربية للقوات .**

من المعلوم ، ان الحرب العالمية الاولى اكتسبت في مرحلتها الختامية طابع الخنادق . وان واحدا من اسباب هذا — هو تزويد القوات بالرشيشات . وبالطبع كان من الممكن خرق دفاع العدو بالاستخدام الكثيف للمدفعية ، غير ان توسيع الخرق ، وتطوير النجاح كان صعبا . ولم تعد الخيالة تصلح لهذا ،

أما صنوف القوات الاخرى ، القادرة على اعمال المناورة في عمق دفاع العدو ، فلم تكن قد وجدت بعد .

وفي نهاية الحرب العالمية الاولى ، ظهرت الدبابات والطيران . ان التطور العاصف لهذه الصنوف من القوات في الفترة ما بين الحرب العالمية الاولى والثانية، الى جانب اسباب اخرى ، ادى الى ان الحرب العالمية الثانية قد اكتسبت طابع المناورة الظاهرة بشكل واضح .

ولقد احدث اختراع الاسلحة الصاروخية – النووية ، والتحسين المضطرد للاسلحة العادية ، ثورة في فن الحرب . ومن حيث المبدأ لا مجال لاي شك ان الاشكال والطرق الجديدة للكفاح المسلح في الحرب النووية ، سوف تلقى انتشارا واسعا ، وسوف تظهر قوانين جديدة ، يؤلف التنبؤ عنها مهمة من مهام علم الحرب السوفياتي .

وينبغي الاخذ بعين الاعتبار ، ان اسبابا اخرى كذلك سوف تبدي تأثيرا على مجرى الكفاح المسلح . وسوف تلعب دورا كبيرا طبيعة التناقضات السياسية المعالجة في الحرب ، والخصائص الاجتماعية – الاقتصادية والجغرافية لمسرح الاعمال الحربية . غير ان كل هذا ، لن ينفي الحقيقة التي لا جدال فيها ، وهي **ان طرق واشكال الكفاح المسلح تتعلق بدرجة حاسمة بخصائص الاسلحة . وتوجد فيما بين خصائص الاسلحة والعتاد القتالي ، وبين طرق واشكال الكفاح المسلح نفس الصلة الوثيقة والعلاقة الجوهرية . وان تغيير الاسلحة ، مع حتميته ، كثيرا ما احدث ، على الرغم من ارادة ورغبات الناس ، تغييرات في طرق واشكال الاعمال القتالية للقوات . وفي هذا يعبر عن تأثير قانون من اهم قوانين الكفاح المسلح .**

وقديما لاحظ الناس ، في بداية الامر وبصورة اكثر عفوية ، ظهور هذا القانون واعتمدوا عليه . وفيما بعد لكون هذا القانون مؤثرا في وعي القادة ، ومصاغا في مبدأ محدد ، اصبح في ذمة نظرية الحرب – قانونا من قوانين علم الحرب . ويتلخص المضمون الاساسي لهذا القانون في ان طرق واشكال الكفاح المسلح تتحدد قبل كل شيء بخصائص الاسلحة والعتاد القتالي .

تلعب طرق الاعمال القتالية ، بلا ريب دورا عظيما في مجرى القتال . الا انها ليست العلة الاولى للنصر او الهزيمة في القتال ، اذ على مجرى الكفاح المسلح تؤثر مجموعة من القوانين والعوامل الموضوعية .

وينبغي ان نشير الى انه لا يوجد اي « قانون للنصر » والا لكان قد تحدد تماما مصير المعركة او العملية . غير ان هذا لا يستبعد كذلك ان توجد ، مختلف انواع الارتباطات والعلاقات في الكفاح المسلح ، تلك الارتباطات والعلاقات التي تؤثر على تطور اي قتال .

تثبت تجربة الحروب ، في العصور التاريخية المختلفة ، بصورة دامغة **ان المجرى الاساسي العميق للقتال ، ونتيجته النهائية ، هما دوما نسبة القوى المادية والمعنوية لقوى الطرفين المتحاربين** وبالطبع تتفاوت القوى المادية والمعنوية للقوات فيما بينها . **ان القوى المادية هي ـ الاسلحة والعتاد القتالي والذخائر وغيرها . وان القوى المعنوية للقوات هي ـ الحالة السياسية ـ المعنوية للافراد ، والصفات المعنوية ـ القتالية للجنود والضباط .**

ويجري التقدير في القتال سواء بالنسبة للقوى المادية ، او بالنسبة للقوى الروحية . المذلك لا يجوز الاستخفاف لا بالاولى ولا بالثانية . **ولقد اشار ف.ا. لينين اكثر من مرة الى الاهمية العظيمة سواء بالنسبة لتسليح الجيش او بالنسبة لروح مقاتليه المعنوية العالية من اجل تحقيق النصر على العدو** ، ولقد اشار الى أن احسن جيش سوف يكون مسحوقا بسرعة من قبل العدو ، اذا لم يكن على درجة كافية من التسليح ، واذا لم يكن مجهزا ومدربا . وفي نفس الوقت وجه (ف.ا.) الانتباه الى انه من اجل النصر في الحرب ، فان لروح المقاتلين المعنوية العالية اهمية عظيمة . **وان التفوق المعنوي للقوات يخلق الشروط الاولية الحقيقية من اجل تحقيق النصر ، لانه يؤمن الاستخدام الاكثر فعالية للاسلحة والعتاد القتالي ، كما ان الاقتناع بعدالة القضية يثير شجاعة وثبات ومبادأة الجنود والضباط . ويتحول التفوق المعنوي من خلال اعمال المقاتلين الى تفوق مادي والى تفوق في القدرة القتالية .**

واذا كانت القوة الكامنة التي تمتلكها هذه او تلك الوحدة ، او القطعة ،

او التشكيل تحدد بمفهوم « **القدرة القتالية للقوات** » فمن الممكن القول أنه يوجد في الكفاح المسلح ارتباط بسيط ، **لكنه جوهري للغاية لتطور المعركة والعملية بنسبة القدرة القتالية لقوات الطرفين المتصارعين** ، ويبدو هذا الارتباط في ان مجرى المعركة يسير حسب نسبة قوى تلك القوات ، التي تساهم مباشرة فيها . وليس من الصعب اظهار هذا القانون في كل معركة وفي اية عملية . وسوف لا نظهره الا في مثال واحد من فترة الحرب الوطنية العظمى .

في الساعة ٥٫٣٠ من يوم ٥ تموز عام ١٩٤٣ ، انتقلت القوات الالمانية ـ الفاشستية الى الهجوم **على الجناح الايمن للجبهة المركزية ضد جيشنا (١٣ و ٧٠) ولقد وجهت الضربة الرئيسية في اتجاه « مالوأرخانكلس »** وبفضل التفوق الهائل في القوى تيسر للعدو ان يتغلغل في دفاعنا ، ولقد ابدى المقاتلون السوفياتيون مقاومة عنيدة ، ودمروا مقدارا عظيما من القوة البشرية وعتاد العدو . وبنتيجة هذا ، تعادلت نسبة القوى ، ومن جديد تباطأ هجوم العدو ، وفي النهاية توقف . ولقد اعيدت الوضعية الاولية الى ما كانت عليه بالضربات المضادة لقواتنا .

قام الهتلريون باعادة التجميع وبداوا الهجوم بقوى حتى خمس فرق مشاة ، وثلاثة فرق مدرعة ، وفي الساعة ٧٫٣٠ اصبح التفوق في قدرة القوات القتالية من جديد الى جانب العدو ، بدعم من طيرانه في اتجاه « اولخوفاتسكي » وراحت قطعات فرقتي المشاة (٨١ و ١٥) من الجيش (١٣) تحت ضغط القوات المتفوقة ، تنسحب ببطء وهي تصد الهجمات الضاربة للدبابات المعادية . وفي الوقت نفسه ، وجه العدو ضربة قوية الى فرقتي المشاة (١٣٢ و ٢٨٠) ، على الجناح الايمن للجيش (٧٠) . ولقد اتخذ مجرى القتال من جديد ، نتيجة لنسبة القوى الحاصلة ، تطورا غير مجد لقواتنا . حينئذ قذف قائد الجبهة في اتجاه « اولخوفاتسكي » اكثر من ٢٠٠ طائرة مقاتلة ، وحوالي ١٥٠ طائرة قاذفة ، ولوائين مقاتلين م/د ، ولواء مدفعية قذافة ، ولواء هاونات . وتقدمت من النسق الثاني للجيش (١٣) فرقة المشاة (٧٤) . وفي النتيجة تغيرت نسبة القوى بصورة عظيمة لصالحنا . وكذلك تغير ايضا مجرى الكفاح المسلح .

هذا هو الارتباط العادي لتطور المعركة او العملية بنسبة قوى الطرفين المتحاربين ، وهو واحد من قوانين الكفاح المسلح . تتلخص حقيقته في ان **أية معركة او عملية في كل مرحلة خاصة من تطورها تسير لصالح ذلك الطرف من الطرفين المتصارعين، الذي تمتلك قواته قدرة قتالية كبيرة بالنسبة الى العدو .**

وان نفوذ هذا القانون يوجد في اساس ظواهر عديدة من ظواهر الكفاح المسلح . وتتوضح لدرجة كبيرة اعادة تجميع القوات، وتحشدها او انتشارها، والمفاجأة في بدء الاعمال القتالية والاستخدام الكثيف لهذا النوع من الاسلحة او غيره ، بسعي القادة الى تأمين تفوق القدرة القتالية للقوات على قوات العدو . ويشمل كذلك نفس هذا السعي الانعكاس العفوي او الواعي لقانون الكفاح المسلح المبحوث آنفا والاعتراف به .

أن القانون هو قانون موضوعي . وان اعادة تجميع القوات تتعلق ، بطبيعة الحال ، بالقادة فهم قادرون على اظهار المهارة في مواجهة العدو بتفوق ساحق في القوى حيث لا يتوقعه . ولا تستبعد مثل هذه الامكانية ، عندما يستطيع القائد ، بالرغم من ان النسبة العامة للقوى لصالح العدو ، ان يحقق النصر في القتال ، بالمناورة بالقوات ، وبمواجهة العدو بقدرة قواته القتالية المتفوقة في قطاعات مستقلة الا ان كل هذا اصبح يتناوله موضوع واستخدام تأثير هذا القانون في مجرى الكفاح المسلح .

يحتفظ هذا القانون بأهميته حتى في الحرب مع استخدام الاسلحة الصاروخية النووية لان الصواريخ ذات الرؤوس النووية تزيد القدرة القتالية للقوات بصورة خارقة للعادة ، اما المناورة بمحارك الصواريخ فانها تعطي قواتنا ، في حالات كثيرة ، امكانية مواجهة العدو بالقدرة القتالية المتفوقة بدون اعادة تجميع مسبق وبالرغم من هذا ، فانه لا يجوز بطبيعة الحال ان ننسى الدور المتزايد للعامل المعنوي في الاستخدام الفعال لاحدث عتاد قتالي .

في الكفاح المسلح لايعمل ولا قانون واحد بشكل مستقل عن القوانين الاخرى. وفي الحقيقة كثيرا ما يكتسب نفوذ اي قانون تأثيرا غالبا . وفي هذا الصدد ، تستوجب معالجة خاصة مشكلة القانون الاساسي للحرب ، والذي هو ايضا قانون اساسي للكفاح المسلح .

ان مفهوم القانون الاساسي يختلف بعض الشيء عن المفهوم العادي للقانون . وان كلاسيكيي الماركسية اللينينية يستخدمون هذا المفهوم . فقد اعتبر ، مثلا ، كارل ماركس انتاج القيمة الزائدة بواسطة استقلال العمال **(قانونا مطلقا)** الطريقة الراسمالية للانتاج . وكما نرى فانه يفهم هنا بصفته قانونا مطلقا اساسيا بالنسبة الى القوانين الاخرى ، ذلك القانون الذي يرتبط بصورة مباشرة تماما بجوهر التكوين الاجتماعي ـ الاقتصادي للبورجوازية .

ساغ ف.أ. لينين في كتاب « مرض الطفولة اليساري في الشيوعية » القانون الاساسي للثورة الاجتماعية : « **... ان الثورة مستحيلة بدون ازمة قومية شاملة تتناول المستغلين والمستغلين**(١) وتفصح هذه الازمة عن انه ليست الطبقة الدنيا فحسب لا تريد القديم ، بل وليس في وسع الاوساط الحاكمة ان تحكم بالاساليب السابقة كما كان في الماضي . **ان الازمة القومية الشاملة تنشىء امكانية حقيقية للثورة الاجتماعية ، التي هي بصورة رئيسية قضية السلطة ، وانتقالها من أيدي طبقة الى أيدي طبقة اخرى .**

يمكن القول ، ونحن ننتهج مناهج الابحاث العلمية الكلاسيكي الماركسية ـ اللينينية ان القانون الاساسي هو ، ذلك القانون الذي يقوم بشكل اوثق على جوهر هذه او تلك الظاهرة من ظواهر الطبيعة والمجتمع ، ويعبر عنها تماما ، وبشكل مباشر . **ان القانون الاساسي هو العلاقة الاكثر عمقا في حقيقة الامر نفسها ، او فيما بين نواحيها المتناقضة . لذلك فان القوانين الاخرى لهذا التطور تخضع بهذا أو ذلك المقدار الى القانون الاساسي وتبرزه بالنسبة اليه ، بصفة قوانين متفرعة عنه** ومن هنا ، لا يترتب ، بطبيعة الحال ، ان لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة والحياة الاجتماعية قانونها الاساسي حتما ، الا ان معظم المجالات للطبيعة والمجتمع ، والمتمتعة باستقلال محدد ، تخضع لمثل هذه القوانين التي تقوم بدور القوانين الرئيسية .

والحق كذلك ان طرق الاستقرار تفترض وجود قانون اساسي الحرب

---

(١) ف.ا. لينين : المختارات الكاملة ، الجزء ٤١ ، الصفحة ٧٠ .

يعبر عن ارتباطات وعلاقات مثل النواحي التي تشكل جوهر الحرب . ان هذه النواحي هي مضمونها السياسي والقوة المسلحة ، وفي الحقيقة ، يثبت تاريخ الحروب بصورة لا تقبل جدالا **انه توجد في اية حرب بين المضمون السياسي وبين القوة المسلحة علاقة جوهرية عميقة .**

وفي ترتيب مثل هذه العلاقة بالنسبة لما هو اولي ومحدد ، فان المضمون السياسي يبرز كمجموعة من المصالح السياسية لكل طرف من الطرفين المتصارعين .

ان اداة السياسة التي تتفرع عن المضمون السياسي وتخضع له في ظروف الحرب ، هي القوة المسلحة ، والكفاح المسلح بصفته مجموعة من الاعمال القتالية لقوات الطرفين المتعارضين . **ان هذا الارتباط المتبادل الجوهري للمضمون السياسي والقوة المسلحة هو بالضبط القانون الاساسي للحرب** ويتلخص جوهره في ان المضمون السياسي للحرب يبدي تاثيرا حاسما على الطابع العام للكفاح المسلح وعلى استخدام انواع الاسلحة المختلفة ، وعلى طرق واشكال الاعمال القتالية للقوات . وبعبارة اخرى **ان المضمون السياسي للحرب يحدد طابع القوة المسلحة فيها .**

ويثبت التاريخ العسكري كله وجود تاثير هذا القانون . ان الحروب الماضية مضمونا سياسيا مختلفا . وطبقا لهذا ، فان طابع الكفاح المسلح تكون باشكال مختلفة في تلك الحروب ، التي نشبت من جراء التناقضات السياسية الثانوية وغير الجوهرية . ان الكفاح المسلح كان يجري عادة بفتور دون اية معارك كبيرة . ويمكن أن يضرب ، مثالا على مثل هذه الحروب ، العديد من الحروب الاقطاعية للحكام الوراثيين في عصر القرون الوسطى .

وفي الحروب التي جرت في سبيل اهداف سياسية ، اكتسب الكفاح المسلح طابعا ضاريا للغاية وتنتسب الى مثل هذه الحروب في الدرجة الاولى الحروب الاهلية ، والحروب فيما بين الدول ذات النواحي الاجتماعية ـ السياسية المختلفة ، وكذلك الحروب فيما بين الدول الاستغلالية التي تحدثها التناقضات الحادة .

كتب ف.أ. لينين ، مشيرا الى ارتباط طابع الكفاح المسلح بحدة التناقضات السياسية المسموح بها في الحرب : « تبدو الحرب عسكرية أكثر كلما كانت من الناحية السياسية أعمق ، وسياسية أكثر كلما كانت من الناحية السياسية اقل عمقا » .

ان العلاقة فيما بين المضمون السياسي والقوة المسلحة في الحرب توجد في اساس كافة الارتباطات والعلاقات الاخرى ، سواء بالنسبة للحرب بصورة عامة ، او بالنسبة للكفاح المسلح . لذلك فان القانون السياسي للحرب ينفذ الى عمل كافة القوانين الاخرى . وكما يبدو ، فانه سيوجد حتى في ظروف الحرب العالمية الجديدة ، اذا اشعلها الامبرياليون .

ولسوف يبقى الدور الحاسم عائدا ، قبل بدء الاعمال الحربية ، الى السياسة في قضية استخدام الاسلحة الصاروخية ــ النووية .

هل تتخذ الحرب طابع الحرب النووية غير المحدودة ، أم انها لا تشمل سوى بضع مناطق مع استخدام الاسلحة ذات القوى المحدودة ؟ ــ ان هذا سوف يتوقف لدرجة عظيمة على وضع القوى الطبقية والسياسية في المضمار الدولي . فاذا كانت الاسلحة الصاروخية ــ النووية سوف تستخدم بصورة غير محدودة ، فان قانون ارتباط مجرى الكفاح المسلح بنسبة القدرة القتالية لقوات الطرفين المتعارضين ، وقانون ارتباط طرق واشكال الاعمال القتالية للقوات بخصائص الاسلحة سوف يظهران تأثيرهما بصورة رئيسية في آن ظهور اشكال وطرق الكفاح المسلح مرتبط بشكل مباشر باستخدام الاسلحة النووية . وسوف يكون استخدام وسائط الصراع العادية خاضعا بكامله ، وخاصة في المرحلة الاولية من الحرب ، لاستخدام نتائج الضربات النووية .

واذا اقتضى الامر ان يكون استخدام الاسلحة النووية محدودا « من حيث الكمية وطاقة الضربات النووية ، وكذلك بالنسبة الى المناطق المعينة من الكرة الارضية » فان عمل قوانين الكفاح المسلح المشار اليها ، سوف يتخذ اتجاها آخر لدرجة ما . وسوف تلعب دورا كبيرا صنوف القوات وانواع القوات المسلحة العادية الملائمة بالضبط لطرق واشكال الكفاح المسلح .

على هذا الشكل ، فان مضمون وطابع أعمال القوانين الاخرى للكفاح المسلح يمكن ان يكونا غير مفهومين بصورة صحيحة ، وان يكونا غير مدروسين بصورة موثوق بها الا في تلك الظروف التي سيعتمد في بحثهما واستخدامهما العملي على القانون الاساسي للحرب . الا ان القانون الاساسي لا يستخف بدور القوانين الاخرى للحرب . وفوق ذلك فان عمل اي قانون في المعارك والعمليات المستقلة ، بحكم هذه او تلك الظروف ، يمكن ان يكون اهمية حاسمة ، بصرف النظر عن انه يتطور على ضوء القانون الاساسي الحرب .

ان القوانين الموضوعية للكفاح المسلح تجد دوما صورتها المنعكسة ، بهذا القدر أو ذاك ، في وعي الناس . وان مراحلها المختلفة ، ونواحي عملها وظهورها تدرك من قبل القادة ، وتجد تعبيرها في علم الحرب بصورة افكار عن اسباب وجوب مجرى ومصير الاعمال القتالية وقانونها المحدد .

ان ممثلي علم الحرب البورجوازي يبحثون لدرجة ما عمل قوانين الكفاح المسلح ، اما الضباط والضباط القادة والامراء للجيوش الراسمالية في وقت الحرب ، فقد كانوا يعتمدون بصورة عفوية ، وبدرجة ما من الادراك ، على هذه القوانين ويستخدمونها . الا ان علم الحرب البورجوازي لا يستطيع ان يقدم الحل النظري لمسائل قوانين تطورات الكفاح المسلح ، بحكم قصوره الطبقي ، ونقص اسس طرق استقرائه . ونظرا لمعاناة علم الحرب البورجوازي من المذهب التجريبي في وضع مجموعة المبادىء والقواعد المتعلقة بفن الحرب فانه لا يتطور . ولم تفصح النظريات البورجوازية الحربية المستقلة الا عن التخمينات حول وجود قوانين موضوعية للكفاح المسلح .

وبالمقابل ، فان قضية قانون التطورات للكفاح المسلح محاولة من حيث المبدأ في علم الحرب السوفياتي وان علمنا الحربي يتابع بحثه المضطرد لقوانين الكفاح المسلح الموضوعية . وفي الاعوام الاخيرة نوقش مضمونها الموضوعي الملموس بنشاط على صفحات الصحافة الحربية .

تمثل قوانين علم الحرب انعكاسا دقيقا لقوانين الكفاح المسلح سواء قل هذا الانعكاس او كثر . وكلما كان هذا الانعكاس اكثر دقة وكمالا ، كلما ازداد

دور العلم في حل المهام العملية وان الاختلاف ، بالتأكيد فيما بين قوانين الكفاح المسلح الموضوعية وقوانين علم الحرب ، سوف يبقى على الدوام كالاختلاف بين العاكس والمنعكس . **كتب ف.أ. لينين : ((ان النظام والهدف ، والقانون ، ليست اكثر من كلمات يترجم بها الانسان قضايا الطبيعة الى لغته ، كي يفهمها ، وان هذه الكلمات ليست معدومة المغزى ، ولا مجردة المضمون الموضوعي . الا انه لا بد من ذلك من تمييز الاصل عن النقل)) .**

ان صيغة واحدة من صيغ قانون علم الحرب لا تستطيع ان تعكس كل المضمون الموضوعي لقانون الكفاح المسلح من جوهره العميق الى مختلف اشكال ظهوره . ان جوهر قانون علم الحرب ينعكس فيه . غير انه لا يفهم من ذلك ابدا ان معرفة قوانين الكفاح المسلح لا يمكن ان تقود الا الى تحديد جوهرها والى صياغتها **ان مهمة علم الحرب تتلخص في أنه لكي يوضح مضمون قوانين الكفاح المسلح ، وطبيعة اعمالها ، واشكال ظهورها في الظروف التاريخية الموضوعية المعينة لهذه أو تلك الحرب ، فانه يحدد الطرق والوسائل الممكنة ، الاكثر فعالية لاستخدام القوانين في النشاط العملي للرؤساء والقادة .**

بادراك قوانين الكفاح المسلح ، ينبغي ان نكون خبيرين في استقصاء الاعمال الحربية بصفتها تطورا قانونيا موجبا لصراع قوات الطرفين المتحاربين المسلحة . وان نتائج هذا الادراك تجد تعبيرها ليس في صياغة قوانين علم الحرب فحسب ، بل وفي تحديد قوانين وعوامل الحرب ، وفي وضع مبادىء فن الحرب .

٢ ــ مبادىء فن الحرب وعلاقتها مع قوانين الكفاح المسلح :

مثلما ان لمفهوم القانون اهمية عظيمة من أجل ادراك قوانين الكفاح المسلح ، فان مفهوم المبدأ يؤدي دوره منطلقا بقوة في ايضاح طبيعة مبادىء فن الحرب[1] .

ان اصطلاح « مبدأ » (من اللاتينية ــ Principwim) يعني نقطة الانطلاق

---

(١) في آدابنا تسمى احيانا مبادىء فن الحرب بمبادىء علم الحرب . وهذا مسموح به ما دامت نظرية فن الحرب هي جزء من الاجزاء المكونة لعلم الحرب . الا ان اصطلاح « مبادىء فن الحرب » يعبر عن اختصاصها بشكل ادق .

الاولية لادراك اية تطورات للطبيعة ، ويعني زيادة على ذلك القاعدة المعتبرة اساسا لنشاط الناس ، وفي الوقت الحاضر فان المبدا يستخدم أكثر من الكل ، بحكم الحياة الاجتماعية والنشاط الواعي للناس . وان ما يقصد بالمبادىء هو نفس الافكار الاساسية ، التي تمتلك اهمية حاسمة ، والتي يسترشد بها النـاس .

ولقد كانت تتصارع دوما ، اثناء تأويل اصل وجوهر المبادىء ، وجهتا نظر متناقضتان ـ مادية ومثالية . فالمثاليون يعتبرون المبادىء اما كاشكال أولية (منعزلة عن التجربة) للعقل الانساني ولنشاط الناس الملائم لهـا ، واما أفكار ذات منشأ فذ خارق للطبيعة . وفي هذه الحالة ، وكذلك في الحالة الاخرى تم رفض الاساس المادي الموضوعي للمبادىء .

غير أن الماديين ، على العكس ، يعتبرون ان المبادىء ، لكونها افكارا ، تمتلك اساسا موضوعيا هو عبارة عن نتيجة انعكاس تلك الظروف الواقعية في وعي الناس ، الذين يعيشون ويعملون فيها . كتب ف. انجلس : ((ليست **المبادىء نقطة انطلاق للبحث ، بل هي نتيجته الختامية ولا تستخدم الطبيعة والتاريخ الانساني ، بل هي تنخلص منهما ، ولا تنخلص الطبيعة الانسانية من المبادىء بل على العكس ، ليست المبادىء صحيحة بهذا المقدار الا لانها تتوافق مع الطبيعة والتاريخ))**(١) .

ان مبادىء فن الحرب ، من وجهة النظر المادية الديالكتيكية هي ـ اهـم التوصيات والافكار الرئيسية المعتبرة اساسا لطرق واشكال الاعمال القتاليـة للقوات ، بهدف تحقيق النصر على العدو . وليس هذا تصاميم ارادية لعقول العلماء العسكريين ، بل هو الانعكاس المنظم بوعيهم لظروف وامكانات الكفـاح المسلح الموضوعية ، وعمل قوانينه .

كيف نشات اذن مبادىء فن الحرب ؟

لا حظ الناس ، حتى في أعماق الماضي ، انه كثيرا ما كانت تتكون في شتى

---

(١) ك. ماركس و ف. انجلس : المؤلفات ، الجزء ٢٠ ، الصفحة ٣٤ .

الحروب ظروف متشابهة وكان اذا ما اتخذ القائد في هذه الظروف القرار ، الذي ادى في الحروب السابقة الى النجاح ، فانه كان يحرز النصر . والعكس بالعكس ، كانت اذا ما تكررت مثل هذه القرارات والاعمال في الظروف المتشابهة ، التي سبق ان ادت فيما مضى الى الفشل ، فان القوات كانت تتكبد الهزيمة . **ان الخبرة القتالية أكدت أكثر من مرة حتمية النتائج المتشابهة،** وعلى هذا الاساس تكونت لدى القادة عفويا افكار عن ارتباط قراراتهم واعمال القوات القتاليـة بظروف الكفاح المسلح الظاهرة لهم ، وبامكانية وضرورة التمسك بالنماذج الايجابية من قراراتهم واعمالهم القتالية السابقة . وكانت هذه هي النظرات الاولى ، وما زال الاعتراف بوجوبها الموضوعي لتطورات الكفاح المسلح غامضا للغاية . ومع ذلك فقد اوجدت الاقتناع بامكانية استنتاج بعض القواعد العامة والتوصيات فيما يتعلق بطرق واشكال الاعمال القتالية للقوات .

في عام ٣٧١ قبل الميلاد ، حقق قائد مدينة ((فيف ابامينوند)) للمرة الاولى في موقعة ((ليفكترا)) التوزيع اللامتساوي للقوات في الجبهة وفي العمق بهدف حشد القوى في الاتجاه الرئيسي . وهكذا نشأ ((مبدأ ابامينوند)) المشهور ، والمحافظ حتى الآن على اهميته .

على سبيل المثال ، ظهرت في الحروب النابوليونية مثل هذه المبادىء من مبادىء فن الحرب مثل « حافظ على حشد قواتك » و « جيش واحد لمسرح اعمال قتالية واحد » و « اعمل على خطوط المواصلات الداخلة » .

وفي الحرب النمساوية ـ البروسية عام ١٨٦٦ ، استخدمت طرق واشكال جديدة للكفاح المسلح ، وصيغ مبدأ جديد من مبادىء فن الحرب : « امضوا منفردين وحاربوا سوية » .

وان المبادىء الموضوعة وقواعد النشاط القتالي للقوات ، معروفة الآن بصفتها مبادىء فن استنتجها قادة الماضي من مقتضيات الممارسة المباشرة نفسها ، بالرغم من انهم لم يدرسوا الاعمال القتالية دراسة علمية عميقة . وفي الحقيقة انهم مروا بقوانين الكفاح المسلح الموضوعية دون توقف .

على كل حال ، ان تعقد التطبيق القتالي للقوات استدعى فيما بعد ضرورة

معرفة الظروف التي تنتج مبادىء فن الحرب . وكان ينبغي ايضاح طبيعة هذه المبادىء ، وحل مسألة ما اذا كان لها اساس موضوعي ، واذا كان لها اساس موضوعي ففي اي شيء ينحصر ؟ ولقد انتهت نظرية الحرب ، خطوة بعد خطوة ، الى فكرة **ان الاساس الموضوعي لمبادىء فن الحرب هو عمل قوانين الكفاح المسلح المحددة** ويعترف علم الحرب السوفياتي بهذه الفكرة الصادقة ، ويدرس بصورة متوالية ديالكتيك العلاقة المتبادلة للمبادىء والقوانين .

وبالفعل ، لدى النظرة الاولى لجوهر مبادىء عصر الحروب النابوليونية والحرب النمساوية ـ البروسية ، التي سبق أن نوهنا عنها انفا ، يبدو أن لهذه المبادىء أساسها الموضوعي ، هو عمل قانون ارتباط مجرى ومصير المعركة الموقعة والعملية بنسبة القدرة القتالية لقوات الطرفين المتحاربين . وكما نرى . تنبع هنا من قانون واحد من قوانين الكفاح المسلح عدة مبادىء من مبادىء فن الحرب .

وبالعكس ، فان لبعض المبادىء اساسا موضوعيا هو عمل مجموعة قوانين من قوانين الكفاح المسلح ومن هذا النوع مثلا مبادىء التعاون . فالتعاون كثيرا ما يقدم ، وفقا لموضوعه ، توصية عامة لكافة القادة والاركانات لتنظيم وتنفيذ الاعمال المنسقة في المكان والزمان والهدف ، للوحدات والقطعات والتشكيلات ومختلف صنوف القوات ، وانواع القوات المسلحة . ويمكن ان لا تكون مثل هذه التوصية مقدمة الا استنادا الى التاثيرات الاجمالية لمجموعة من قوانين الكفاح المسلح : قانون ارتباط مجرى ومصير القتال بنسبة القدرة القتالية للقوات المسلحة لكلا الطرفين المتحاربين ، وقانون ارتباط طبيعة الكفاح المسلح وطرف خوضه بخصائص الاسلحة والعتاد القتالي ، وقوانين الاعمال القتالية لمختلف صنوف القوات وانواع القوات المسلحة ويؤلف التعاون كذلك أساسا موضوعيا لهذا المبـدأ .

واحيانا ، يستنتج مباشرة من نفوذ اي قانون من قوانين الكفاح المسلح مبدأ موضوعي معين من مبادىء فن الحرب . ففي هذه الحالة ، يكون المضمون الموضوعي للمبدأ ، وصيغته اكثر قربا من جوهر هذا القانون .

وان تاريخ فن الحرب يعرف امثلة عديدة ، كاحراز القادة الانتصارات بقوى متساوية أو حتى أقل وهم لا يمتلكون الا تفوقا ضئيلا . ولقد حققوا هذا بحشد قواتهم المتفوقة لا على كل جبهة الصراع ، بل على قطاع ضيق في اتجاه الضربة الرئيسية . واستنتجوا من هذا الامر الواقعي أن القدرة القتالية لاية وحدة او قطعة او تشكيل ، تتعلق بصورة جوهرية بوحدة الترتيب القتالي او العملياتي لبنية القوات .

ان الترتيب القتالي والبنية العملياتية للقوات هما ـ الصيغة لتنظيم الوحدات والقطعات والتشكيلات من اجل خوض الكفاح المسلح . وان تحطيم هذه الصيغة والاخلال بوحدتها يؤثران فورا على القدرة القتالية للقوات : فتنقلب الهيئة القتالية المنظمة الى كتلة من الناس غير منتظمة . ولكي نخل بترتيب العدو القتالي او بنيته العملياتية ، ليس من الضروري ان نملك حتما قوات متفوقة في كل مكان ، بل يكفي ان ننشيء تفوقا ساحقا في مكان واحد .

ان خبرة الكفاح المسلح ، العريقة في القدم تؤكد بآلاف المعارك وجود هذه العلاقة الجوهرية وان هذا القانون هو عبارة عن الاساس الموضوعي للتوزيع اللامتساوي للقوات في الجبهة وفي العمق من اجل حشد القوات المتفوقة في اتجاه الضربة الرئيسية .

ان جوهر قانون ارتباط مجرى ومصير المعركة والموقعة والعملية بحشد الجهود في الاتجاه الحاسم والمضمون الموضوعي لمبدأ حشد القوات في اتجاه الضربة الرئيسية ، هما متقاربان جدا .

يتراءى القانون والمبدأ متجانسين تقريبا في شكلهما المنطقي ، وفي صيغهما . وهذا واحد من الاسباب في أن هذا القانون والمبدأ الملائم له كثيرا ما يتطابقان . واكثر من هذا ، فا مبادىء فن الحرب بوجه عام ، قياسا على هذا الحادث الفريد تختلط مع قوانين الكفاح المسلح الموضوعية الامر الذي يصبح غلطا فاحشا مع كل الآثار الناتجة عنه .

يوجد اختلاف فيما بين قوانين الكفاح المسلح ومبادىء فن الحرب . واذا القوانين هي عبارة عن اهم الارتباطات والعلاقات الموجودة بصورة مستقلة عن

ارادة ووعي الناس ، في ظواهر وتطورات الكفاح المسلح نفسها ، فان المبــادىء هي الافكار الباقية على الدوام في مجال الوعي . وان جوهر المبادىء هو في ان القادة يسترشدون بها ، وهم يقودون الاعمال القتالية للقوات ويتخذون القرارات، وهم يعطون الاوامر والتعليمات . وان المبادىء لا تصبح مجسمة حتى في ذلك الوقت عندما تنفذ القوات ، وفقا لقرار القائد ، الانتشار او التحشد ، تحتل الدفاع أو تنتقل الى الهجوم ، تتقدم بترتيب المسير او تفتح في تراتيب القتال ان هذا من حيث الاساس تطورات موضوعية للكفاح المسلح ، وليس مبادىء مجسمة لفن الحرب .

وفي الحرب يعتمد النـــاس في نشاطهم على مبادىء فن الحــرب . ولكن المبادىء لا تتخلى ابدا عن مجال وعيها . ان مبادىء فن الحرب ، المستحوذة على عقول الجنود والضباط والضباط القادة والامراء لا تصبح قوة مادية الا بمعنى انها تقوم بدور العوامل الدافعة للكفاح المسلح .

ان قوانين علم الحرب — هي المفاهيم التي تعكس الواقــع والارتباطات والعلاقات الجوهرية في ظواهر الكفاح المسلح . اما مبادىء فن الحرب فهي الافكار التي تمثل ، أكثر من المفاهيم ، أعلى درجة من انعكاس البيئة المحيطة في وعي الانسان . ولقد لاحظ ف.أ. لينين أن الفكرة بالنسبة الى المفهوم هي اعلى منه درجة ما دامت تعتبر عن وحدة المفهوم والواقع(١) .

واذا كانت قوانين علم الحرب لا تثبت الا وجــود الارتباطات الجوهرية في ظواهر الكفاح المسلح فان مبادىء فن الحرب تنطوي ليس فحسب عــلى انعكاس التأثير الموضوعي لقوانين الكفاح المسلح ، ولكن أيضا على نتيجة النشاط المبدع للعقل الانساني ، وعلى الاستنتاج كيف ينبغي ان نعمل كي نتوصل الى النجاح لذلك فان للعديد من القواعد الخاصة بأعمال القوات القتالية ، المعروضة في الانظمة وكتب التدريب اهمية عملية عظيمة .

يتجاهل الكثيرون من العلماء البورجوازيين العسكريين ديالكتيك الارتباط

---

(١) انظر : ف .أ. لينين ، المختارات الكاملة ، الجزء ٢٩ ، الصفحة ١٥١ .

المتبادل فيما بين قوات الكفاح المسلح ومبادىء فن الحر ب، ولا يدركون ارتباط المبادىء بالتطور التاريخي لشروط خوض الحرب لذلك فانهم يعتبرون مبادىء فن الحرب من دائرة العقل المجرد (المحض) ، ويعتبرونها نتاجا مبدعا لعبقرية القـادة .

ان المذاهب العسكرية الرسمية للدول الراسمالية الكبرى ، تتمسك كذلك فعلا بمفاهيم ثبات مبادىء فن الحرب . ان المذهب العسكري الامريكي يعترف مثلا بالمبادىء التسعة الثابتة التالية لفن الحرب : الاهداف والمهام ، والهجوم ، والحشد ، والاقتصاد بالقوى ، والمناورة ، ووحدة القيادة ، والتأمين القتالي للقوات ، والمفاجأة ، والخطط .

حتى تزويد القوات المسلحة بالاسلحة الصاروخية ـ النووية ، حسب راي بعض العلماء البورجوازيين لا يؤثر مطلقا على مبادىء فن الحرب . وعلى هذا النحو يكتب العالم الانكليزي العسكري « أ. هيمونت » : « على امتداد كل التاريخ تعرضت الاسلحة وطرق استخدامها الى التغيرات ، الا أن المبادىء الاساسية لخوض الحرب ظلت كالسابق . حتى ظهور السلاح النووي والوسائط اللاسلكية والوسائط اللاسلكية التكنيكية لم يؤثر على مبادىء فن الحرب المحققة مع الزمن . وما تغيرت الا الاهمية النسبية لكل منها »(١) .

تدل الآراء المماثلة على ضيق افـق العلمـاء البورجوازيين العسكريين ، وطريقتهم الميتافيزيكية للاقبال على مبادىء فن الحرب . ولكن في السنوات الاخيرة ، كثيرا ما أصبحت تدوي الاصوات في الصحافة العسكرية البورجوازية عن افلاس الآراء نسبيا فيما يتعلق بخلود وثبات مبادىء فن الحرب وعن الحاجة الى طريقة اخرى للاقبال على هذه المسألة .

ويقال عن قصور علم الحرب البورجوازي ان قوانين الكفاح المسلح ومبادىء فن الحرب لا تختلف دائما بالنسبة اليه . ان مسألة الاختلاف والارتباط المتبادل

---

(١) ارفينغ هيمونت : الاستطلاع التكتيكي في الحرب الحديثة ، الترجمة من اللغة الانكليزية ، دار النشر العسكرية ، عام ١٩٦٣ ، الصفحة ١٢ .

لقوانين الكفاح المسلح ومبادىء فن الحرب ليست مطروحة كما يلزم في علم الحرب البورجوازي .

يعتبر علم الحرب السوفياتي ان مبادىء فن الحرب تتغير مع تغير شروط الاعمال القتالية للقوات ، وظهور قوانين الكفاح المسلح . ولا يمكن فهم هذه المبادىء ، وادراكها بمضمونها القديم والجديد الا في حالة ما اذا تطلعنا الى المبادىء في ارتباطها الوثيق مع الشروط التي أوجدتها ، ومع قوانين الكفاح المسلح .

وبالفعل ، يشهد تاريخ الحروب انه بمقدار تطور وتفاقم الصراع الطبقي المتحول مرارا الى انتفاضات مسلحة وحروب أهلية ، وبمقدار اتساع وتعقد العلاقات السياسية فيما بين الدول ، كانت تتغير اثناء عملية تحسين الاسلحة والعتاد القتالي ، الشروط الموضوعية وقوانين الكفاح المسلح ، وعلى اساس هذا كان يتغير المضمون الموضوعي لمبادىء فن الحرب .

وتمثل اهتماما خاصا مسألة ما اذا كانت مبادىء فن الحرب المتعارف عليها ستبقى في الحرب مع استخدام الاسلحة الصاروخية ـ النووية .

وكما لوحظ سابقا ، يظل في الحرب النووية تأثير مجموعة قوانين الكفاح المسلح فعالا . ومع ذلك فان ظهور هذه القوانين سوف تكون له مزايا كبيرة . وهذا يستدعي احياء مبادىء فن حرب جديدة ، او تغيير مضمون المبادىء السابقة بصورة جوهرية .

على سبيل المثال ، يحتفظ بتأثيره قانون ارتباط مجرى ومصير المعارك والعمليات بنسبة القدرة القتالية لقوات الطرفين المتعارضين . ان تأثير هذا القانون بالتعاون مع قوانين الكفاح المسلح الاخرى يتجلى خاصة في ان مجرى ومصير المعارك سوف يتقرران بضربات الاسلحة النووية . ولكن ما دامت ستكون للضربات النووية اهمية حاسمة من أجل مصير أية معركة أو عملية ، فان كل طرف من الطرفين المتحاربين مضطر قبل كل شيء من أجل تحقيق النصر ، ان يستطلع ويدمر وسائط العدوان النووي للعدو . ومن هذا ينبع مبدأ جديد من مبادىء فن الحرب ـ **هو مبدأ تدمير وسائط العدو النووية في الدرجة الاولى .**

وما دامت الاسلحة النووية سوف تلعب دورا عظيما في الصراع المسلح ، فان كل طرف من الطرفين المتحاربين سوف يسعى للوم الآخر على استخدامها . وبالتالي يمكن القول عن مثل هذا المبدأ الجديد ، **انه مثل مبدأ السبق في توجيه الضربات النووية على العدو في مجرى الحرب .**

وبعد ، ينشأ في الحرب النووية تناقض فيما بين ضرورة حشد القوات في الاتجاه الحاسم وبين خطر تدمير القوات المحتشدة بضربات العدو النووية . ان المخرج من هذا التناقض ربما سيكون شيئا شبيها بـ « الحشد المنتشر » ، وهذا يعني العمل على جبهة واسعة بوحدات صغيرة متنقلة متماسكة ، وينبغي القول **ان حشد القوات سوف يتأثر بقانون نسبة القدرة القتالية لقوات الطرفين المتعارضين المسلحة ، اما انتشارها فسوف يتأثر بقانون ارتباط اشكال وطرق الكفاح المسلحة بخصائص الاسلحة والعتاد القتالي .** واكبر الظن ان نتيجة ترابط الانواع المتشابهة في ظهور قوانين الكفاح المسلح سوف تكون التغيير الجوهري لمبدأ الحشد الكلاسيكي ، وطرده **بالمبدأ الجديد للحشد المنتشر .**

او لنأخذ على سبيل المثال **مبدأ التعاون** . ان مختلف صنوف وانــواع القوات تعاونت في حروب العصور التاريخية المختلفة : المشاة والخيالة ، القوات البرية والبحرية الحربية ، المشاة والمدفعية ، الدبابات والطيران . ووفقا لهذا ، غيّر التعاون مضمونه الموضوعي الملموس . الا أن التغييرات الهامة سوف تجرى بوجه خاص في مضمونه في الحرب النووية . ففي مثل هذه الحرب سوف يتلخص المغزى الرئيسي لهذا المبدأ في تحقيق تنظيم وتنفيذ تعاون مختلف صنوف القوات وانواع القوات المسلحة لصالح الاستخدام الاكثر فعالية للاسلحــة النوويــة .

ان النوع الخاص لمبدا التعاون هو مبدا توجيه الضربات المنسقة في آن واحد على العدو في الحرب النووية ، وان القاعدة الخاصة « امضوا منفردين وحاربوا سوية » سوف تنبعث على أساس موضوعي جديد .

ماذا سيكون الامر فيما يتعلق بمبدأ التوزيع اللامتساوي للقوات في الجبهة وفي العمق ، بهدف حشدها في الاتجاه الرئيسي ؟ سبق ان ظهرت في أعوام

الحرب العالمية الثانية امكانية جديدة من أجل استخدام هذا المبدأ هي ـ المناورة بالقوى الجوية ومحارك مجموعات المدفعية . الا انه كان محدودا ، على كل حال ، مدى المدفعية ومدى عمل الطيران ، وقوة الضربات النارية الموجهة من قبلهما . وعندما ظهرت الصواريخ ذات الرؤوس النووية المدمرة نشأ مبدأ آخر ، على أساس انها تستطيع عمليا بدون تبديل مواضع انطلاقها ان توجه الضربات النووية ذات الطاقة الهائلة على اية مناطق من الكرة الارضية . وفي هـذه الشروط يكف حشد القوات المتفوقة ، وكذلك ترتيب القتال الكثيف ، عن كونه ضروريا ، وأكثر من هذا فانه يصبح خطرا . ويحل محل مبدأ فن الحرب السابق لحد كبير **مبدأ جديد هو مبدأ حشد الجهود النارية في الاتجاه الرئيسي بواسطة المناورة بمحارك الصواريخ .**

هل هذا يعني ان « مبدأ أبامينوند » غاص في أعماق الماضي بصـورة نهائية ؟ . كلا . . لا يعني هذا . فسوف لا تستعمل في الكفاح المسلح الصواريخ ذات الشحنات النووية فحسب ، ولكن سوف تستعمل حتى الاسلحة العادية . لذلك فان مبدأ فن الحرب السابق يحتفظ بأهميته . والارجح انه سوف يستعمل في الحرب النووية ، حسب الموقف الاستراتيجي أو العملياتي أو التكتيكي الناشيء ، كـلا المبدأين من مبادىء فن الحـرب بصفتهما مكملين لبعضهما البعض .

ان طرح مسألة قوانين الكفاح المسلح ومبادىء فن الحرب يسمح بالاستنتاج انه أولا : لا يجوز تجاهل تجربة الماضي القتالية وانعكاسها في مبادىء وقواعد فن الحرب ، ثانيا : لا يجـوز الاكتفاء باستيعاب بعض المبادىء والقواعد من مبادىء وقواعد فن الحرب ، وقوانين نشاط القوات القتالي ، التي تشكل المضمون الاساسي لانظمة القتال وكتب التدريب فحسب . بل ينبغي المضي ابعد ــ الى ادراك تلك القوانين والشروط الموضوعية ، التي أوجدت هذه المبادىء، واستيعاب مجموع المعارف كلها من الناحيتين ، الموضوعية والذاتية ، لتطورات الكفاح المسـلح .

ديالكتيك تطور طرق وأشكال الصراع المسلح

اكتسبت مسألة طرق الصراع المسلح واشكاله ، في الظروف الحديثة ، اهمية نظرية وعملية كبيرة . وذلك لسببين : اولا ، من أجل الانتصار في الحرب ، لا يكفي ان نمتلك قوى مسلحة جبارة ، بل لا بد أيضا من القدرة على استخدامها. وفي التاريخ امثلة عديدة عن جيوش قوية ومسلحة تسليحا جيدا ، هزمت لانها لم تكن تمتلك طرق صراع متطورة . ثانيا ، اذا كان ممكنا تلافي الاخطاء المرتكبة اثناء السلم في الماضي والنواقص في اعداد القوى المسلحة أثناء الحرب ، فان مثل هذه الامكانية في الحرب الصاروخية ــ النووية سوف تكون ، على ما يبدو ، محدودة او مستبعدة . لذلك من الضروري ان نقدر تقديرا صحيحا الطــرق الممكنة لخوض هذه الحرب ، حتى قبل احتمال نشوبها . ولا يمكن حل هذه المهمة الصعبة الا باستخدام كافة اساليب البحث العلمي ــ العسكري الحديثة ، والاعتماد على العلم الماركسي ــ اللينيني لمناهج الابحاث العلمية .

١ ــ عوامل تحديد طرق الصراع المسلح واشكاله :

المقصورة عادة « في مؤلفاتنا العسكرية » من طرق الصراع المسلح ، اساليب الاستخدام المختلفة للجحافل والتشكيلات والقطعات العسكرية من أجل تنفيذ المهام الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية **ان طرق الصراع المسلح هي الهجوم والدفاع والانسحاب ، اما اشكال الصراع المسلح فهي المعركة والعملية والموقعة والضربة النوويــة .**

وتدل التجربة التاريخية على ان طرق الصراع المسلح وأشكاله لا تظــل ثابتة ، بل تتغير . ولايضاح أسباب هذه التغيرات واتجاهاتها الاساسية أهمية كبيرة ، لان ذلك يساعد على التنبؤ عن كيفية تطور الصراع في الحرب المقبلة .

يرى بعض العلماء البورجوازيين النظريين العسكريين أن « ابداع العقل الحر » للقادة البارزين له دور حاسم في ايجاد طرق صراع مسلح جديدة . وهكذا فقد كتب المؤرخ الالماني « هانز دلبروك » يقول : « اذ خطر لبعضهم أن يستنتجوا بأن الاستراتيجية الجديدة تنشأ على أساس العلاقات الجديدة ، باعتبارها نتاجا طبيعيا لها وبحد ذاتها ، فان هذا الاستنتاج خاطىء . اذ ان عبقرية القائد العظيم المبدعة ، هي وحدها التي كانت تصنع من المادة المتوفرة لديها ظاهرة جديدة فعلا . واستنادا الى مثل هذه الظواهر بالذات ، ذات الوضوح الخاص ، يمكن الاقتناع بأن تاريخ العالم ليس عبارة عن تطور طبيعي ــ تاريخي كما يرى الماديون » . ويؤكد مارشال الجو الانكليزي « أ.ج. كينجستون ــ ماكلوري » في كتابه « ادارة الحرب » أنه : « بصرف النظر عن طبيعة الحرب أو انواع الاسلحة المستخدمة فيها ، فان للقادة دورا حاسما مهما كان الامر ، على الرغم من النواقص الخاصة بهم » .

هذه الآراء خيالية وغير علمية . ومن البديهي ، أن لا تظهر طرق الصراع المسلح واشكاله الجديدة بصورة آلية من تلقاء نفسها . ان كل ما يحصل في حياة المجتمع هو من عمل عقل الإنسان ويديه . وهكذا فان طرق الاعمال القتالية يبرزها البشر الى حيز الوجود ، لا القادة منهم فحسب ، بل والجنود العاديون أيضـــا .

لا ينشىء البشر طرق الصراع المسلح واشكاله ، بالسليقة (أو الحدس) ولا من جراء النشاط « المحض » الذي يبديه العقل والخيال ، بل ينشئونها على أساس معرفة الشروط الموضوعية . وبقدر ما تكون هذه الشروط معروفة بعمق وشمول ، تزداد فعالية طرق الصراع الجديدة الناشئة على أساسها . واذا كان الناس لا يأخذون بعين الاعتبار الشروط الموضوعية ، ولا يعملون الا على أساس « قراراتهم الارادية » ، فانهم يقعون في « الذاتية » ، ويرتكبون اخطاء جسيمة ، لا يمكن اصلاحها .

تبرهن الديالكتيكية المادية على ان مضمون التطور يحدد الشكل والطرق التي يجري فيها . تطبيقا للعمل العسكري ، فان هذا يعني انه اذا تغير مضمون

الصراع المسلح ، تتغير كذلك طرقه وأشكاله . وما دامت عناصر مضمون الصراع المسلح الاساسية هي الاسلحة والبشر ، في تعاونهما وارتباطهما المتبادل ، فيمكن القول **ان التغيرات في الاسلحة والقوام البشري للجيش هي السبب المباشر للتغيرات في طرق الصراع المسلح وأشكاله ..** وتتحدد نوعية الاسلحة والقوام البشري بدورها في آخر الامر بحالة الانتاج الاجتماعي — سواء القوى الانتاجية او العلاقات الانتاجية ، التي تشكل باتحادها طريقة انتاج الخبرات المادية .

ان ارتباط طرق الصراع المسلح واشكاله بالاسلحة والعتاد والقوام البشري هو القانون الموضوعي ، الذي اكتشفه مؤسسو الماركسية .

وتقوم الاسلحة والاعتدة الحربية بدور رئيسي ، في بعض الظروف التاريخية ، في ايجاد طرق وأشكال جديدة للصراع ، ويقوم القوام البشري في الجيش بهذا الدور الرئيسي في الظروف الاخرى . وهكذا ، فان التحويلات الثورية التي طرات على العمل العسكري في فرنسا ، في فترة الثورة البورجوازية خلال اعوام ١٧٨٩ — ١٧٩٣ ، كانت قبل كل شيء نتيجة لانشاء الجيش الجماهيري وكان يضم الافراد الذين يمثلون الطبقات ذات الارادة الثورية في المجتمع الفرنسي ، على الرغم من الدور الهام الذي ادى الى القيام به اختراع الاسلحة المتطورة (البنادق ذات الاخمص المقوس والمدافع ذات العربات الخفيفة) . وفي الوقت الحاضر ، ان العامل الحاسم في التحولات الجذرية في الشؤون العسكرية هو التقدم العلمي التكنيكي ، الذي تم بنتيجته انشاء الاسلحة الصاروخية — النووية ، وهي أسلحة جديدة من حيث المبدأ .

لا تؤثر الاسلحة الجديدة تأثيرا جوهريا في تغير طرق الصراع المسلح واشكاله الا عندما تتوفر بكمية كبيرة . وعلى سبيل المثال ، لم تتحقق التحولات الجذرية في قواتنا المسلحة الا بعد ان تحقق امكان تزويدها بالاسلحة الصاروخية — النووية .

ليس من الصعب فهم ارتباط طرق الصراع المسلح وأشكاله ، بتطور « المادة الجندية » . ولقد اكتسب هذا المبدأ في الوقت الحاضر اهمية خاصة . فمن اجل خوض حرب مظفرة ، تبدو الحاجة ماسة في هذه الايام ، اكثر من اي

وقت مضى ، الى العناصر الانسانية الجيدة ، أي الاشخاص الذين يملكون تدريبا فنيا جيدا ، وصفات معنوية وبدنية عالية .

تتعلق كذلك طرق الاعمال القتالية واشكالها ، لدى استخدامها في حرب ما ، **بالاهداف السياسية التي تسعى اليها الاطراف المتحاربة** . وهنا ننوه أن اهداف الحرب السياسية تحدد مدى حدة الصراع المسلح ومستواه . وكلما كانت الاهداف السياسية للحرب اكثر حسمية كلما كانت الاعمال القتالية اكثر حسمية أيضا . فاذا كان الهدف هو سحق العدو سحقا تاما ، فان الاعمال الحربية سوف تخاض بحدة قصوى . واذا كانت الاهداف السياسية محدودة ، فان الاعمال الحربية سوف تخاض باضرار اقل ، وحسمية اقل .

لم تتخذ الحرب العالمية الاولى ، خلال الاعوام ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، أشكال الخنادق (الاشكال الموضعية) بحكم تفوق وسائط الدفاع على وسائط الهجوم فحسب ، بل لان الاهداف السياسية التي تتوخاها الدول المتحاربة كانت محدودة ايضا ، اما طابع الحرب غير العادل بالنسبة للطرفين ، فقد خفض من الفعالية القتالية لدى أفراد الجيش تخفيضا حادا .

جرت الحرب الاهلية خلال الاعوام ١٩١٨ ــ ١٩٢٠ في بلادنا باستخدام الوسائط الفنية ذاتها ، التي استخدمت في الحرب العالمية الاولى . الا انه ، خلافا للحرب العالمية الاولى ، اكتسبت الحرب الاهلية طابع المناورة الواضحة بصورة تامة ، والعنف والاضرار ، لان الطبقات ذات المصالح الاقتصادية والاهداف السياسية المتناقضة قد صارع بعضها بعضا . ولقد كانت أيضا حرب الاتحاد السوفياتي ضد المانيا الفاشستية أكثر مناورة واضرارا وعنفا .

سوف تكون الحرب العالمية المقبلة بمضمونها السياسي ، اذا اشعلها الامبرياليون ، حربا طبقية بين نظامين اجتماعيين متناقضين . وهذا يحدد ايضا طرق الاعمال القتالية في أمور كثيرة .

يبدو تأثير السياسة على طرق الصراع المسلح بدرجة كبرى وبصورة مباشرة في النطاق الاستراتيجي ، وبدرجة أقل (ومن خلال الاستراتيجية) في النطاقين

العملياتي والتكتيكي . وتحدد السياسة الاغراض السياسية للضربات الحاسمة ، واختيار اتجاه الاعمال الاستراتيجية ، ونشر القوات المسلحة الخ ...

من السهل ان نرى درجة تأثير السياسة في طرق الاعمال القتالية اذا ما نظرنا الى الحرب القذرة ، التي يخوضها الامبرياليون الامريكيون ضد الشعب الفيتنامي . ويرتكب غزاة ما وراء المحيط جريمة هائلة من اجل دوافعهم المفرضة ، وهم ينفذون تكتيك « الارض المحرقة » ، منتهكين كافة قواعد الحق الدولي ويستخدمون المواد السامة ، ويعرضون اراضي جمهورية فيتنام الديمقراطية للقصف الجوي الجائر .

وطالما ان الحرب هي صراع بين طرفين ، فان طرق خوضها تتعلق كذلك بنسبة قوى المتخاصمين ، وبالوسائط التي سوف يملكونها ، وباستراتيجيتهم وفن عملياتهم وتكتيكهم . وبدون الحساب الشامل لقوى اعدائنا المحتملين واعمالهم ، يكون اعداد طرق الصراع المسلح واشكاله غير معقول مثل بناء عمارة بدون معرفة الامر الذي سوف تخصص له .

يتعلق ايضا استخدام طرق الصراع المسلح واشكاله ، أيا كانت ، بالوسط الجغرافي ، الذي سوف تنتشر فيه الاعمال الحربية ، اي بتلك العوامل مثل المناخ (الاقليم) والطقس وتكوين الارض والنباتات والاحواض المائية وغيرها .

يتم ديالكتيك تفاعل الوسط الجغرافي مع العمل العسكري على الشكل التالي : على قدرة تطور العلم والتكنيك (التقنية) ، يقل ارتباط العمل العسكري بالشروط الجغرافية في بعض المواقف ، وعلى العكس يزداد في المواقف الاخرى .

من المعلوم ان الاجهزة الحديثة لا تتيح للقوات اجراء الرمي السديد نهارا فحسب ، بل وليلا ، كما تتيح الرادارات للطائرات وسفن السطح ان تعمل بنجاح في شروط الرؤية السيئة . وان الدبابات قادرة في الوقت الحاضر على اجتياز الموانع المائية الهامة بصورة مستقلة . وتستطيع الغواصات الذرية ان تعمل في كل المحيطات ، وكذلك تحت جليد القطب الشمالي . وفي الماضي استخدمت البحار والمحيطات والجبال كمساتر طبيعية لاينالها عدوان العدو . الا أن الاسلحة

الصاروخية ـ النووية خفضت لدرجة كبيرة من هذا الدور . وفي الوقت الحاضر ، لا تستطيع أية جبال أو محيطات أن تحول دون الضربة النووية وأن تقي البلاد منها .

وعلى هذه الصورة ، نرى التقنية الحربية الحديثة تجعل القوات اكثر « حرية » حيال الشروط الطبيعية . وزيادة على ذلك ، ينبغي الاهتمام بعدد العوامل الطبيعية باستمرار عند تخطيط المعركة (العملية) . وعلى سبيل المثال لم تستطع الريح أن تؤثر الا على نتائج رمي المدفعية بطريقة ما ، ولدرجة ما على اعمال الطيران والاسطول . وفي الوقت الحاضر ، يستطيع الريح ان يحمل السحابة الذرية ، التي تؤدي الى تدمير القوات وتلويث الارض بالمواد الاشعاعية الى مسافة كبيرة من مركز الانفجار . لذلك ينبغي ان تؤخذ الريح ، في الوقت الحاضر ، بعين الاعتبار في الاعمال القتالية التي تقوم بها جميع انواع القوى المسلحة وصنوف القوات .

ولقد اثرت مقاييس أرض الدولة حتى في السابق في مجرى الحرب ومصيرها . وسوف يكتسب هذا العامل ، في الحرب الصاروخية ـ النووية ، اهمية اكبر ايضا . وتستطيع الدولة ، التي تمتلك ارضا واسعة ، توزيع قواها الانتاجية ، ووسائطها الصاروخية ـ النووية ، وتستطيع في آن واحد ان تسترها بأكثر سهولة من الدولة التي تملك ارضا اصغر .

ان الاراضي الجبلية والاراضي ذات الغابات والمستنقعات الكثيرة ، وما يشابه هذا النوع من الاراضي ، هي من طائفة الشروط « الخاصة » . ويمكن في الحرب النووية ان تصبح هذه الشروط الخاصة عادية جدا . ومن الواضح ان القوات ينبغي ان تأخذ سلفا بعين الاعتبار أساليب الاعمال في مثل هذه الشروط .

وخلافا للحروب الماضية ، تستطيع الحرب النووية أن تؤدي الى تغيرات جوهرية في الشروط الطبيعية (تدمير النبات والحيوان والتلويث الاشعاعي ... الخ) .

وما دام الوسط الجغرافي يؤثر في الاعمال الحربية ، فلا يجوز تجاهله . وفي التاريخ أمثلة كثيرة عن جيوش متحاربة وجدت نفسها في وضع حرج ، لانها لم تكن مستعدة للاعمال في الشروط الطبيعية الجديدة . وليس من قبيل الصدفة ان يعار انتباه كبير الى دراسة العامل الجغرافي في الجيوش الامبريالية . وفي الولايات المتحدة الامريكية ، على سبيل المثال ، يعمل ١٧٪ من مجموع اعضاء جمعية الجغرافيين في « البنتاغون » ويهتم بعضهم ببحث امكان خوض الحرب الاقليمية والمتيولورجية (الجوية) **مع الاشارة الى ضرورة أخذ العامل الجغرافي بعين الاعتبار ، لا يجوز أن نغالي في أهميته ، كما يفعل بعض العلماء النظريين البورجوازيين العسكريين . يؤثر العامل الجغرافي على طرق الصراع المسلح وأشكاله ، الا أنه لا يستطيع أن يقوم بدور محدد في تطورها . وعند اكتشاف أسباب تغيرات طرق الصراع المسلح ، لا يجوز ارجاعها الى أي عامل وحيد . وهنا ينبغي ايضا اللجوء الى طريقة الحل الشاملة ، كما هو المتبع أثناء حل مسائل العالم العسكري كافة .**

يتم تطور طرق الصراع المسلح واشكاله ، وكذلك جميع ظواهر العالم الموضوعي ، بطريقة «صراع» الاضداد ، من خلال تذليل التناقضات الديالكتيكية. فما هو التناقض ؟

٢ ــ التناقض في تطور طرق الصراع المسلح وأشكاله

ان التناقض هو العلاقة بين نواحي المواد (المواضيع) والظواهر (الحوادث) المتعارضة (الاضداد) التي تستبعد بعضها بعضا ، وتتطلب وجود بعضها بعضا . ان « صراعها » تفاعلها ، هو مصدر تطور كل ما هو موجود . ومادامت التناقضات تبدو مصدرا للتطور ، فان الشرط الضروري لمعرفة كافة المواد (المواضيع) والتطورات بشكل صحيح هو معرفتها بصفتها وحدة للتناقضات .

وعند بحث اي موضوع (مادة) او ظاهرة ، من المهم ان نكشف عن تفاعل المتناقضات ، وان نعرف مما تتألف وحدتها وتطابقها بصورة موضوعية ملموسة ، ومما يتكون استثناؤها او (استبعادها) المتبادل ، و « صراعها » . ولا يجوز

ان نستبدل التناقضات الديالكتيكية بالتناقضات المنطقية الشكلية ، التي هي نتيجة للاخلال بقواعد علم المنطق .

ان الحرب تتخللها التناقضات تماما . وهي تنشأ من التناقضات الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية بين الطبقات والدول والامم (الشعوب) ، وهي تمثل اكثر الاشكال حدة او عنفا في حل هذه التناقضات . من الضروري اذن ، عند بحث الطرق والاشكال الممكنة لخوض الحرب ، ان نأخذ بعين الاعتبار طبيعة التناقضات التي توجب نشوبها .

وكما هو معلوم ، **ان التناقض الاساسي في العصر الحديث هو التناقض بين الامبريالية والاشتراكية** . تتبع البلدان الاشتراكية سياسة محبة للسلام . اما القوى الامبريالية العدوانية فانها تتجه الى تحضير الحرب الصاروخية ـ النووية ، التي تأمل بواسطتها ان تحسم التناقض الاساسي في هذا العصر لصالحها . فاذا ما نشبت مثل هذه الحرب ، فانها سوف تصبح حتما حربا عالمية وتحالفية ، وسوف تتميز بعنف خارق للعادة ، وبحسمية الاعمال الحربية ، واستخدام احدث وسائط التدمير الشامل . وهذا كله يحدد العديد من سمات الاستراتيجية وفن العمليات والتكتيك في الحرب النووية .

يضاف الى ذلك ان التناقض الاساسي ، يطبع العصر الحديث بالتناقضات بين الحكومات الامبريالية ، وبين العمل وراس المال ، وبين الامبريالية وحركات التحرير الوطني وغيرها . وتستطيع هذه التناقضات ايضا ان تؤدي الى الحروب ، التي سوف تتميز كل واحدة منها ، في حال نشوبها ، بخواصها بما فيها خواصها في طرق الصراع المسلح ايضا . ويؤدي التحليل التاريخي الموضوعي الملموس للتناقضات في العصر الحديث الى استنتاج ضرورة الاستعداد لخوض الحروب المختلفة : العالمية والمحلية ، القصيرة الامد والطويلة الامد ، ومع استخدام الاسلحة النووية وبدون استخدامها .

ان العلم العسكري السوفياتي يهتم بالتناقضات الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية ، التي تثير الحروب وتحدد طبيعتها . الا انه يوجه اهتمامه الرئيسي

الى بحث التناقضات في الصراع المسلح ، وتأثيرها في تطور طرق هذا الصراع واشكاله .

ولقد ذكرنا ان السبب المباشر لتطور طرق الصراع المسلح واشكاله هو تغير الاسلحة وتغير قوام الجيوش البشري . ولكن ما هي آلية تأثير هـذا العـامل ؟

من المعلوم ان وسائط الصراع المسلح تتحسن باستمرار ، سواء اثناء الحرب او اثناء السلم . وهي تتطور اسرع بكثير من طرق الصراع واشكاله . ومع مرور الزمن تتوصل الى التناقض مع هذه الطرق والاشكال . وعاجلا او آجلا يكتشف البشر هذا التناقض ، ويحاونه اما بتحسين الطرق القديمة ، وملاءمتها مع الوسائط الجديدة وشروط ادارة الحرب ، او بتبديل الطرق القديمة بطرق جديدة .

ان التناقض بين الوسائط الجديدة وطرق الصراع القديمة هو التناقض الاساسي في تطور العمل العسكري برمته . ولقد ادى حل هذا التناقض في كل مرة الى تغيرات نوعية في الاستراتيجية وفن العمليات والتكتيك وتنظيم القـوات .

وقد ظهر التناقض بين وسائط وطرق الصراع المسلح بكل عنفه مع ظهور الاسلحة الصاروخية ــ النووية . ولقد دفعت هذه الاسلحة الى البحث عن اشكال جديدة لتنظيم القوات ، وطرق جديدة لخوض الصراع المسلح . الا ان الاسلحة الصاروخية ــ النووية تتحسن باستمرار ، وتتغير كذلك انواع الاسلحة الاخرى والاعتدة الحربيـة . وقـد تظهر أنواع اسلحة جديدة في جوهرها . وكل هذا يتطلب بحثا مستمرا عن طرق واساليب اكثر فعاليـة في الصراع المسلح .

وعلى هذا المنوال ، تتطور الاسلحة والاعتدة الحربية ، كما ان ظهور وسائط صراع جديدة يستدعي في كل مرة ايجاد الوسائط الملائمة المضادة . ان « صراع » الدبابات والوسائط المضادة للدبابات ، وصراع الغواصات والوسائط المضادة للغواصات ، وصراع الطائرات والوسائط المضادة للطائرات ، وصراع الوسائط

اللاسلكية ووسائط انشاء التشويشات اللاسلكية والاصطناعية ، وصراع الصواريخ والصواريخ المضادة ـ ، بهذا كله يتحدد تطور الاسلحة والاعتدة الحربية ، وبالتالي طرق الاعمال القتالية ايضا .

ومنذ ان جرت الحروب ، كان على الجيوش دوما اما أن تهاجم واما ان تدافع . والهجوم والدفاع نوعان متناقضان من انواع الاعمال القتالية . الا ان هذين المتناقضين المرتبط كل منهما بالآخر ارتباطا عضويا ، يتطلب كل منهما وجود الآخر . لذلك لا يمكن فهم تطور كل منهما الا ببحث الهجوم والدفاع في ارتباط متبادل وثيق .

تتعلق طريقة الهجوم دوما بكيفية تنظيم العدو لدفاعه . بالمقابل ينشأ الدفاع مع الاعتبار الحتمي لطبيعة اعمال الطرف المهاجم . والتاريخ لم يعرف حروبا تحقق فيها النصر بالدفاع فحسب . الا انه لم توجد في التاريخ ايضا حروبا تحقق فيها النصر بالدفاع فحسب . الا انه لم توجد في التاريخ ايضا واذا ما وجدت مثل هذه الحروب فانها تشكل استثناء نادرا .

يدل التاريخ على ان النصر احرزته تلك الجيوش ، التي كانت تستطيع الهجوم والدفاع جيدا ، على حد سواء . وعلى العكس ، فان الهزائم لحقت بتلك الجيوش ، التي اعتمدت كليا اما على الدفاع وحده واما على الهجوم وحده . وتتلخص مغامرات ((هتلر)) الاستراتيجية ، في الحرب العالمية الثانية ، في انه كان يامر قواته بالهجوم حتى عندما كان الموقف يتطلب الدفاع .

وفي الحرب التي تستخدم فيها احدث وسائط التدمير ، كما في السابق ايضا ، لا يمكن ان يؤدي الى تدمير العدو تدميرا كاملا والانتصار عليه الا بالهجوم . الا انه حتى في مثل هذه الحرب ، سوف يكون الدفاع ضروريا على الاتجاهات المستقلة ، حيث يبدو الهجوم غير ذي جدوى ، او عندما يلجأ اليه على حساب الاقتصاد بالقوى على اتجاه ما ، وتأمين الهجوم على اتجاه آخر . وفي الوقت الحاضر ، ان الاعمال الهجومية غير ممكنة بدون الدفاع المضاد للصواريخ ، والدفاع المضاد للاسلحة النووية ، والدفاع م/ط والدفاع المضاد للدبابات ،

والدفاع المضاد للاسلحة الكيميائية . ومن جهة اخرى ، يتضمن الدفاع الحديث حتما الاعمال النشيطة والهجومية .

استدعى ظهور الاسلحة الصاروخية ـ النووية كذلك تناقضا آخر في الاعمال القتالية للقوات . ويتلخص جوهر هذا التناقض في ضرورة **الحشد** الآني للقوى على الاتجاه الحاسم ، **ونشر** القوات تفاديا لخطر الاصابة بالضربات النووية . وبعبارة اخرى ، ينبغي على التشكيلات والقطعات ان تنتشر في حدود لا تجعلها دريئة ملائمة لاسلحة العدو النووية ، وينبغي في الوقت ذاته ان تبقى باستمرار قوية وقادرة على انزال التدمير الكامل في العدو . ان الواسطة الاساسية لحل هذا التناقض هو تحقيق زيادة حركية القوات بجميع الوسائل .

ويقوم **التناقض بين النار والحركة** بدور كبير في تطور طرق الصراع المسلح. ولقد نشأ هذا التناقض من جراء تزويد الجيوش بالاسلحة النارية المحلزنة . وبمقدار تحسين هذه الاسلحة ، ازدادت امكانات ابطال (شل) دفاع العدو على كل عمقه الكبير . وفي غضون ذلك ، ظلت وتيرة هجوم المشاة ، التي كانت الصنف الاساسي للقوات ، منخفضة . ولقد كان هذا التناقض قائما بين الامكانات النارية التي تتمتع بها القوات ووتيرة حركتها ، كما لوحظ وجود احد اسباب « مأزق الخنادق » الذي وقعت فيه الاعمال الحربية في اعوام الحرب العالمية الاولى . ولقد ادى البحث عن مخرج من هذا المأزق في اول الامر الى ظهور الدبابات والطائرات في ميدان القتال ، ومن ثم الى ظهور التغيرات الجذرية في طرق الصراع المسلح .

وفي الحرب العالمية الثانية اكتشف التناقض بين النار والحركة بشكل آخر . فمن جهة لم تنجح المشاة مرارا كالسابق ايضا ، في استخدام نتائج نيران المدفعية والطيران في حينه ، ومن جهة اخرى ، كثيرا ما عجزت المدفعية والطيران عن تقديم الدعم الناري للقوات المدرعة ، التي كانت تهاجم بسرعة كبيرة . ولقد تم حل هذا التناقض بتزويد المشاة بالآليات ، وتعزيز القدرة النارية للدبابات والمدفعية والطيران . ولقد اظهر هذا سلفا التطور المقبل لطرق الصراع المسلح .

وقد زاد ظهور الاسلحة الصاروخية ـ النووية في حدة التناقض ايضا بين النار والحركة . والواقع ان الاسلحة الصاروخية ـ النووية ، وان كانت تمتلك قدرة هائلة ومدى غير محدود عمليا ، غير قادرة بمفردها على ان تحل مهام الصراع المسلح كلها . ويقع تدمير العدو ، كالسابق ، على عاتق القوات البرية التي ينبغي لها ان تحتل اراضي العدو ، مستخدمة نتائج الضربات النووية . وعند هذا يكون على القوات المهاجمة ان تذلل المسافات الكبيرة ، وان تعمل في شروط تلوث الارض ، الاشعاعي والكيميائي ، وفي شروط السدود (الحواجز) والتخريبات والحرائق . اما الشيء الاهم ، فهو ان تتحمل مقاومة العدو العنيدة . ان احدى طرق زيادة وتيرة الهجوم ، في هذه الشروط ، هي نقل القوات جوا ، وتحسين وسائط النقل البرية والبحرية .

وتؤثر ايضا عملية تطور طرق الصراع المسلح واشكاله في قيادة القوات . **وفي مجال القيادة توجد كذلك تناقضات ديالكتيكية .** وهنا قام نزاع دائم بين اتجاهين متناقضين هما : ضرورة مركزية القيادة والحرص على اللامركزية والمبادهة والاستقلال للقادة وهيئات الاركان في المستوى الادنى . ولقد جرت في الماضي عدة محاولات من اجل مواجهة احد الاتجاهين بالآخر بصورة « ميتافيزيكية » . وتوجد مثل هذه المحاولات حتى في أيامنا هذه .

يتلخص ديالكتيك الاتجاهين نحو المركزية واللامركزية في قيادة القوات في أنهما ، وان كانا نقيضين ، يوجبان ويكملان بعضهما بعضا في الوقت ذاته ، ان الاتجاه الرئيسي هو الاتجاه الاول بلا ريب . تعمل في الحرب جماهير بشرية كبيرة ، ينبغي ان توجه جهودها نحو هدف واحد . لذلك فان المركزية هي ضرورة موضوعية . ولقد كتب ف.أ. لينين قائلا : « لا يجوز ان ننسى اهمية القيادة المتماثلة »(١) .

تبقى الضرورة للمركزية المحكمة في قيادة القوات بصورة تامة حتى في الحرب النووية ، التي سوف تكون مقاييس الاعمال القتالية وحدتها اكبر بكثير

---

(١) ف.أ. لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ١١ ، الصفحة ٣٤ .

مما كانت في الحروب الماضية . وسوف يتعلق تحقيق الاهداف الموضوعة لدرجة كبيرة بفن القيادة العليا في توحيد جهود انواع القوى المسلحة وصنوف القوات . وجميع القطعات والتشكيلات . وان هذا غير ممكن الا بالمركزية المحكمة في قيادة القوات .

ومن جهة اخرى ، تتطلب طبيعة المناورة في الحرب النووية للاعمال القتالية التي سوف تنفذ على جبهة واسعة وبوتيرة عالية ، منح الاستقلال الكبير وبصورة محسوسة الى القطعات والتشكيلات الكبرى . ففي ميدان القتال ، لدى تبدل المواقف تبدلا سريعا وحادا ، يمكن ان لا يتوفر الوقت لدى القائد الاقدم من اجل اعطاء التعليمات التفصيلية للقوات المرؤوسة . وسوف يكون القـادة المرؤوسون مضطرين الى ايجاد افضل طرق للعمل بأنفسهم . ولهذا ينبغي ان يتمتعوا بالاستقلال في اطار الفكرة العامة للرئيس الاقدم . كما ينبغي أن يؤخذ هذا المطلب بعين الاعتبار في التدريب والتربية ، لا سيما اثناء اجراء المشاريع واللعب الحربية .

كذلك ان طبيعة الاعمال القتالية ، في الحرب الصاروخية ــ النووية ، تزيد زيادة خارقة من اهمية عامل الزمن . « الابطاء شبيه الموت » . اكتسبت هذه العبارة القديمة المأثورة معنى جديدا في هذه الايام . ينبغي على القائـد ان يتخذ القرار ، وان يوصله الى المرؤوسين في فترات قصيرة . اذ ان كمية المسائل التي يتعرض لها قرار القائد وتعقد هذه المسائل يزداد كثيرا . ويمكن حل هذا التناقض برفع مستوى تدريب القادة ، وتحسين الثقافة في عمـل هيئات الاركان ، والبحث عن اساليب جديدة للقيادة قائمة على اساس استخدام الآلات الحاسبة ــ الالكترونية والوسائط الفنية الاخرى استخداما واسعا .

غير انه لا يجوز ان ننسى ان الآلة لا يمكن أن تحل محل القائد حلولا كاملا ففي مجرى الاعمال الحربية تؤثر عوامل مختلفة ، بما فيها السياسة ، والروح المعنوية للجيش ومستوى تدريب الجنود القتالي ، وفن القائد . ومن غير الممكن حتى الآن تقدير هذه العوامل والتعبير عنها برموز حسابية . لذلك فان دور القائد لا ينخفض ، بل ويزداد شأنا ايضا . وينبغي ، في الوقت الحاضر

على القائد ان يملك ، كما لم يملك من قبل قط ، المعارف العميقة والشاملة ، والبداهة ، والتفكير المنطقي المتطور ، والصفات المعنوية العالية ، والتجربة الكبيرة وقدرة الاحتمال الجسماني .

يتطور العمل العسكري بصورة سريعة وفيه ينشأ كل ما هو جديد من التناقضات وان ايجاد الطرق الصحيحة لحل هذه التناقضات في الوقت المناسب : هو مهمة العلم العسكري .

٣ ــ الوثبات في تطــور طــرق الصراع المسلح وأشكاله

تتغير وتتطور طرق الصراع المسلح واشكاله على اساس نشوء التناقضات وحلها . ولكن كيف ، وفي اية اشكال يتم هذا التطور ؟ هل يتم بصورة تدريجية ام بوثبات ؟ هل يوجد ارتباط بين طرق الصراع القديمة والجديدة ؟ ما هو الموقف الذي ينبغي ان يتخذ ازاء تجربة الحروب الماضية ؟ ان هذه المسائل جميعا اكتسبت اهمية خاصة بظهور الاسلحة الصاروخية ــ النووية .

لا يمتلك العلم العسكري البورجوازي وجهة نظر واحدة في هذه المسائل . يتصور بعض الاخصائيين العسكريين ان الثورة الحديثة في العمل العسكري هي رفض كامل ومطلق لكل ما وجد في الماضي . وهم يعتبرون ان الحرب المقبلة سوف تكون مبارزة صاروخية ــ نووية بين الخصوم ، اما دور القادة فيقتصر على ((الضغط على الازرار)) . ويرى الاخصائيون العسكريون الآخرون ، على العكس ، ان الاسلحة الصاروخية ــ النووية ليست سوى اسلحة ذات قوة اكبر ومدى اكبر من قوة ومدى الاسلحة العادية ، الا انها لا تتميز بصورة جوهرية عنها ولذلك فهي لا تاتي بشيء جديد من حيث المبدأ في طرق الصراع المسلح . ومن هنا ، يستنتج بان ظهور الاسلحة الصاروخية ــ النووية لا يؤدي الى نشوء سنن او شرائع جديدة ، وطرق جديدة للصراع المسلح ، وان مبادىء ادارة الاعمال الحربية ، المستمدة من تجربة الحروب الماضية ، تبقى ثابتة . ان كانتا وجهتي النظر هاتين ((ميتافيزيكيتان)) .

ان السبيل الى الحل الصحيح لمسالة طبيعة التغيرات في طرق الصراع المسلح يشير اليه « الديالكتيك المادي » . انه يبحث اي تطور كعملية تتضمن

التغير او التحول والثبات او الدوام ، والتغيرات النوعية والكمية ، والتغيرات والوثبات التدريجية ، والوجوب والارتباط المتبادل بين القديم والجديد ، وبصورة عامة يتطور العمل العسكري تطورا ديالكتيكيا (جدليا) كذلك . **وهو يتقدم بالوثبات التي تهيئها التغيرات الكمية التدريجية** . وليست هذه الوثبات متشابهة من حيث المقياس والاهمية والمدة (الدوام) . ان بعض هذه الوثبات عميقة جدا ، وتعتبر ثورة حقيقية . ولقد وجدت في تطور العمل العسكري عدة ثورات كهذه ، وتميزت كل ثورة عن الثورات الاخرى بطبيعتها ومقياسها (نطاقها) ومدتها (دوامها) .

كتب « ف. انجلس » يقول : « اصبح البارود والسلاح الناري في القرن الرابع عشر معروفين في اوربا الغربية ، والوسطى ، ويعرف اي تلميذ في الوقت الحاضر ان هذا التطور الفني البحت نشر روح الثورة في العمل العسكري كله . الا ان هذه الثورة تمت بصورة بطيئة جدا »(١) .

ولقد لاحظ « ف.ا. لينين » : « ان الشعب الثوري لم يغير خلال الثورة البورجوازية الفرنسية نظام العلاقات الاجتماعية فحسب ، بل واظهر ابداعا ثوريا عظيما وهو يعيد انشاء نظام الاستراتيجية كله ، ويخرق كل القوانين والعادات القديمة في الحرب وينشيء بدلا من القوات القديمة قوة جديدة ثورية شعبية ، وادارة جديدة للحرب »(٢) .

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حصلت تغيرات جذرية ونوعية في طرق الصراع المسلح بالارتباط مع انشاء الاسلحة النارية المحلزنة ، والسكك الحديدية ، والاسطول البخاري والتلغراف (البرق) . وفي النصف الاول من القرن العشرين ، سببت التغيرات المماثلة استخداما واسعا للدبابات والطيران . الا ان التغيرات ، التي نجمت عن اختراق الاسلحة الصاروخية ــ النووية لا تشبه ثورة واحدة من هذه الثورات .

---

(١) ك. ماركس و ف. انجلس : المختارات ، المجلد ٢٠ ، الصفحة ٦٥٥ .

(٢) ف.ا. لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٢ ، الصفحة ٨٠ .

سوف يجري الصراع المسلح في الحرب النووية خلافا للحروب السابقة . وفي الماضي ، كانت تتحقق التعبئة والحشد الاستراتيجي للجيش على طول الحدود الدولية في بدء الحرب . وكانت تبتدىء الحرب عادة بأعمال قوات الحدود . وبعد ذلك كانت القوى الجديدة تخوض الصراع : الاحتياطات المقدمة من عمق البلاد . وكان يتقرر مصير الحرب في المواقع الحربية خلال مرحلتها الختاميـــة .

وفي الحرب الصاروخية ـ النووية ، يمكن ان تبدأ ، كما يبدو ، بصورة مفاجئة ، سوف يستحيل القيام بنشر القوى المسلحة المعبأة . لذلك من الضروري ان تحتفظ هذه القوى باستعدادها القتالي الكامل ، التي تستطيع ان تنزل في العدو ضربة مميتة في المرحلة الاولية للحرب .

وسوف تكتسب الاعمال الحربية في الحرب الصاروخية ـ النووية مدى واسعا لا مثيل له لا سيما منذ البداية . وسوف تجري هذه الاعمال في البر ، وفوق الماء ، وتحت الماء ، وفي الجو ، وقد تجري ايضا في الفضاء الكوني . وسوف تكون الاغراض الرئيسية التي تستهدفها الضربات النووية ، الاغراض الواقعة في عمق المؤخرة ، المراكز الاقتصادية والسياسية ، وجهاز الادارة الحكوميـــة والعسكرية ووسائط العـــدو الاستراتيجية للعـــدوان (الهجوم) النووي ، وتجميعات القوات البرية والطيران والاسطول في مسارح الاعمـــال الحربيـــة .

وفي الحروب العالمية الماضية ، اقتصر الصراع المسلح من حيث الاساس على الهجوم والدفاع الاستراتيجيين ، تقوم بهما كل القوى المسلحة . ولقد قامت بالدور الرئيسي انذاك القوات البرية ، المدعومة بالقوى الحربية ـ الجوية والقوى الحربية ـ البحرية ، ولدرجة ما بقوات الدفاع الجوي .

وسوف يكون الشكل الرئيسي للصراع المسلح ، في الحرب الصاروخية ـ النووية ، الضربات الاستراتيجية النوويـــة التي توجهها القـــوات الصاروخية والطيران والغواصات الذرية . تمثل مثل هذه الضربات شكلا جديدا كل الجدة من اشكال الصراع المسلح . وهي تستطيع ان تؤمن حل المهام الرئيسية للحرب،

ومجراها ومصيرها . وسوف تقوم القوات البرية ، وهي تستخدم نتائج الضربات النووية ، بالهجوم على جبهة واسعة وبوتيرات عالية .

ان الدفاع الاستراتيجي ، كما استخدم في الحرب العالمية الثانية ، لا سيما في الحرب العالمية الاولى ، اي الدفاع على كل الجبهة الاستراتيجية ، والذي شكلت اساسه اعمال القوات البرية سوف يفقد اهميته ، على ما يبدو ، في الحرب العالمية النووية . ويستنتج العلم العسكري السوفياتي ان الامبرياليين اذا ما اشعلوا نار مثل هذه الحرب ، فستواجههم الضربات النووية المميتة بالوسائط الاستراتيجية ، وسوف يواجههم كذلك نظام الدفاع الجوي المتين ، والدفاع المضاد للفضاء الكوني . وسوف تكون اعمال قوات الدفاع الجوي تدمير صواريخ وطائرات العدو حتى المنفردة ، والتي تحمل شحنات نووية ، فضلا عن تجميع الطائرات والصواريخ ، طريقة جديدة تماما من طرق الصراع المسلح تتميز جوهريا عن الدفاع الاستراتيجي في الحروب الماضية .

وفي الحرب النووية سوف تتغير تغيرا كبيرا طرق اعمال القوات البرية والطيران والاسطول . وسوف تنهي القوات البرية ، مستخدمة نتائج الضربات النووية الاستراتيجية ، سحق العدو وتدميره والاستيلاء على اراضيه . وعند ذلك سوف يتيسر لها ان تعمل بوتيرة سريعة جدا ، وبتراتيب مجزاة ، وبأسلوب الضربات العميقة العنيفة على اجناب العدو ومؤخراته بغرض تقسيمه الى اجزاء وعلى ما يبدو سوف لا توجد جبهة متراصة . وسوف تتخذ الاعمال الحربية طابعا بؤريا .

وسوف تضطر القوات البرية حتما للجوء الى الدفاع على الاتجاهات المستقلة . الا ان هذا الدفاع سوف يكون على المستويين العملياتي والتكتيكي ، زد على ذلك ، ان اساليبه سوف تتغير تغيرا جوهريا . وسوف تشكل الضربات بالاسلحة الصاروخية ــ النووية اساس هجوم القوات البرية ودفاعها .

اما شكل الاعمال القتالية التكتيكي للقوات البرية فسيكون المعركة ، الا انها سوف تنفذ بطرق جديدة . وسوف يكون مضمونها الاساسي الصراع ضد

وسائط العدو النووية . وغالبا سوف تخوض الفوات المعركة ؛ على ما يبدو ، من الحركة . وسوف تستخدم الانزالات الجوية بصورة واسعة .

لن تؤمن القوى الحربية ـ الجوية اعمال القوات البرية والاسطول الحربي ـ البحري فحسب ، بل وسوف تنفذ المهام المستقلة ، منزلة الضربات النووية في اغراض العدو .

وسوف لا ينزل الاسطول الحربي ـ البحري الضربات في تجميعات قوى العدو الحربية ـ البحرية فحسب بل وفي اغراضه البرية الهامة . وسوف لا يكون الشكل الاساسي لاعمال الاسطول القتالية المعركة البحرية ، وانما الضربات النووية التي توجهها سفينة واحدة او مجموعة سفن . ويمكن ان لا تنشا المعركة البحرية كتاثير ناري متواصل بين طرفين ، على ما يبدو ، الا في حالة استخدام وسائط الصراع العادية .

يستعد المعتدون الامبرياليون استعدادا كبيرا للحرب في الفضاء الكوني . وتستخدم الولايات المتحدة في الوقت الحاضر اجهزة الطيران الكونية من اجل الاستطلاع والتجسس ومن اجل تامين ملاحة الطيران والاسطول ، لا سيما الفواصات ، وهلم جرا . ان الشيء الاساسي في برنامج الولايات المتحدة الامريكية لغزو الفضاء ، بصرف النظر عن الاتفاق على عدم اخراج الاغراض ذات الشحنات النووية الى الفضاء ، هو انشاء الاجهزة الكونية التي تحمل الشحنات النووية : الاقمار الاصطناعية ـ القاذفة وقاذفات القنابل الكونية ، وجهاز قذف القنابل المداري . وتجري في الولايات المتحدة الامريكية ابحاث علمية واسعة حول تحديد المقدرة الحربية للقمر ، ودراسة امكانات استخدامه كقواعد لوسائط العدوان (الهجوم) الكونية . ويحتل برنامج انشاء **الاسلحة الكونية المضادة** مكانا هاما في الاستعدادات الحربية التي تقوم بها الولايات المتحدة الامريكية ، وكذلك استخدام اسلحة « لازير »(١) واستخدام « البلازما » و « مضادات الجاذبية » .

---

(١) لازير : هو المولد الكمي الضوئي . ويمكن في الواقع اعتبار اكتشاف هذا المولد من اعجب اكتشافات هذا القرن ، اذ انه من الصعب تصور مستقبله ، حيث يشمل التحديد ، والاتصالات بعيدة المدى ، والطرق الجديدة للتشغيل الدقيق للمعادن .

وعلى هذه الصورة ، ادت الاسلحة الصاروخية ـ النووية الى تغيرات جوهرية في طرق الصراع المسلح واشكاله الا انه ليس من المنطق الديالكتيكي ان نعتبر الثورة الحديثة في العمل العسكري الغاء كاملا لطرق الصراع المسلح القديمة واشكاله ، وظهورا لطرق واشكال جديدة . وما دامت وسائط الصراع العادية ـ الدبابات والطائرات والسفن وغيرها ـ ستبقى الى جانب وسائط الصراع المسلح الجديدة ، فان الطرق والاشكال القديمة تتطلب الاهتمام الزائد ذاته والدراسة والتطوير ذاتهما .

وبهذه المناسبة ، ماذا ينبغي ان يكون الموقف من فن الحرب الماضي .

لا يستطيع العالم العسكري البورجوازي ، الذي يقوم اساسه المذهبي العلمي على الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) والمثالية ، ان يحل هذه المسألة حلا صحيحا . وليس من قبيل الصدفة ان العديدين من العلماء النظريين العسكريين البورجوازيين ، بمجرد ان ظهرت اسلحة جديدة ، ارتابوا في أهميـة التاريخ العسكري . وعلى سبيل المثال ، فقد كتب الجنرال الايطالي ((د. دووه)) ، لدى نشوء الطيران الحربي قائلا : ((لا يمنح الماضي المستقبل شيئا ، وينبغي ان ينشأ كل شيء من جديد)) . وان مثل هذه الافكار تقال حتى في الوقت الحاضر . وفي كتاب صدر في الولايات المتحدة الامريكية ، يدور موضوعه حول ((الفرقة الجديدة الخاصة)) يؤكد المؤلف ـ حسب زعمه ـ ان التاريخ العسكري ((قد فقد اهميته كقسم يعتمد عليه في العلم العسكري)) .

تقف الديالكتيكية المادية ضد فتيشية[1] او سحرية التجربة التاريخية ، وكذلك ضد الاستخفاف بهذه التجربة . وتتلخص الاهمية العملية للتجربـة الماضية في انها تساعد على فهم الحاضر والمستقبل . ولا ينشأ الجديد الا على تربة مهدت لها شروط سابقة . وتتضمن اكثر الافكار العملية جراة في ذاتها عنصر الافكار السابقة على الدوام .

وتتيح دراسة التاريخ العسكري بالكشف عن سنن (شرعات) تطور

---

(١) فتيشية : عبـادة الرقي .

طرق الصراع المسلح واشكاله والتوجه بشكل افضل في الشروط الحديثة ، وتقدير الجديد بصورة صحيحة ، والتخلي بحزم عما لم يصمد لتجارب الحياة . ولقد قال « ف.ا. لينين » : « لا يجوز ان نتعلم حل مهامنا بأساليب اليوم الجديدة ، اذا لم تفتح تجربة الامس عيوننا على خطأ الاساليب القديمة[1] . توسع دراسة التاريخ العسكري المدارك ، وتقوم بدور تربوي كبير .

ان لتجربة الحرب العالمية الثانية اهمية عظيمة بلا ريب . الا ان النظرية العسكرية لا يمكن ان توضع على اساس تجربة حرب واحدة لا غير ، حتى ولو كانت تجربة حرب كبيرة . وتستطيع التجربة المحدودة لمثل هذه الحرب ، ان توجه الفكر العسكري وممارسة البناء الحربي في سبل ضالة . وهكذا ، فقد اتخذ الامريكيون القرار بانشاء « الفرقة الجديدة الخاصة » على اساس تجربة الحرب في « كوريا » خلال الاعوام ١٩٥٠ – ١٩٥٣ الا انهم قد اضطروا اخيرا الى التخلي عن مثل هذه التشكيلات ، باعتبارها لا تتجاوب ومتطلبات الحرب الحديثــة .

ان ضرورة استخدام التجربة التاريخية – الحربية امر بديهي . غير انه يتعلق بالشروط التاريخية الملموسة المحددة ، ولذلك لا يجوز ان تؤخذ هذه التجربة اخذا مطلقا . اذ ان التاريخ العسكري لا يستطيع ان يقدم اجابات مهياة وحلولا للمسائل التي يطرحها العصر الجاري ، ولا نماذج حاضرة من اجل النشاط العلمي .

استدعى السلاح الصاروخي – النووي وغيره من انواع العتاد الجديد مثل هذه الوثبة الجبارة في تطور العمل العسكري ، والتي لم يعرف التاريخ مثلها حتى الآن . ان العلم العسكري مدعو الى تحليل الظواهر الجديدة تحليلا عميقا . وفي الوقت الحاضر فان البحث الجريء ضروري في العلم العسكري اكثر من اي وقت مضى .

---

(١) ف.ا. لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، الصفحة ٢٠٥ .

فماذا يؤخذ من تجربة الماضي ؟ وماذا ينبذ كل النبذ ؟ ينبغي أن يقدم الجواب عن هذين السؤالين التطبيق العسكري . وان التطبيق العسكري في أثناء السلم هو تلك المناورات والمشاريع والالعاب الحربية وتجارب حقول الرمي ، وكل الحياة اليومية التي تعيشها القوات . ولقد اكتسب تصميم العمليات الحربية بواسطة الآلات الحاسبة الالكترونية اهمية كبيرة . والارتباط الوثيق بالتطبيق ينظر الى العلم العسكري نظرة ذاتية ، ومن القرارات المتسرعة والباطلة، ومن الروح العقائدية الجامدة والنزعة المحافظة .

ان الواسطة الفعالة ضد الذاتية ، والروح العقائدية الجامدة ، والنزعة المحافظة في العلم العسكري هي صراع الآراء ، والنقد والنقد الذاتي . ان الموضوعات التي يبحثها العلم العسكري معقدة للغاية ، ومتعددة الجوانب .

قد يستطيع انسان ما ان يقبل على ظاهرة محددة من جهة واحدة ، اما غيره فيقبل عليها من الجهة الاخرى . وفي نتيجة بحث موضوع واحد ، يمكن ان تنشأ آراء مختلفة . وبمقارنة هذه الآراء وتصارعها ، تتكون الحقيقة التي تدعمها الحجج والبراهين بصورة علمية .

وفي الختام ، من الضروري ان نؤكد مرة اخرى ان طرق الصراع المسلح واشكاله تتطور بصورة ديالكتيكية . وتساعد معرفة ديالكتيك هذا التطور القادة على حل المهام العظيمة والخطيرة ، الموضوعة امام القوى المسلحة السوفياتية ، حلا ناجحا .

التخطيط والتوجيه في الكفاح المسلح

يلعب التخطيط والتوجيه دورا عضيما في نشاط القادة على اختلاف مستوياتهم ، وفي اعمال القوات . ولا يمكن تأمين السيطرة على العدو في مجرى الاعمال القتالية ، ولا تحقيق النصر عليه الا بالتوجيه الهادف ، الذي يتحقق بوضع الخطط الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية ، واخراجها الى حيز الوجـود .

١ ــ وضع خطة الاعمال القتالية للقوات :

ان التخطيط مفهوم ضروري من مفاهيم ادارة الكفاح المسلح . وان اي نشاط انساني واع لا يتحقق بشكل مخطط وموجه الا من اجل بلوغ اهداف محددة . وان هذا ، والحق يقال ، يتوافق مع اي مجال من مجالات التطبيق الانساني ، بما فيها المجال العسكري .

لاحراز النصر على العدو في الاعمال القتالية لا بد من خطة يستند اليها القادة ، لان العمل دون خطة يعني اللعب بالكفاح المسلح ، وتعريض المقاتلين لخطر الهزيمة .

ان اي نشاط منهاجي يبدأ على الدوام بوضع الاهداف واعداد الخطـة الملائمة لها . ان وضع الخطط هو المجال الواسع الخاص من مجالات النشاط المبدع ، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالدراسة النظرية للاحداث الجارية والقوانين التي تتحكم فيها ، وهو يعتمد تماما على هذه الدراسة .

ينبغي ان يسبق الاعمال القتالية دائما وضع خطة محكمة . ليست الخطة الا مجموعة من افكار **شخص او عدة اشخاص ، تسبق النشاط العملي المقبل .**

وان كل فكرة هي نتيجة لانعكاس الواقع الموضوعي ، وسعي الانسان الى تغيير هذا الواقع . تعبر الفكرة عن النية المحددة ، التي يريد الانسان ان يحققها بنشاطه . وتصاغ في الخطة اهداف النشاط ، وتحدد كذلك طرق ووسائط تحقيقها .

ان وضع الخطة هو « العمل التحضيري الواجب القيام به قبل كل عملية . ان معرفة الوضع ، وتحديد المهمات ، وتوزيع القوات ، والتثقيف العسكري والسياسي ، والتموين ، وترتيب العتاد ، والسعي الى تأييد الاهالي ، كل ذلك يشكل عمل القائد ، الذي ينبغي له ان يفكر بكل شيء بعناية ، ويطبق القرارات ، ويراقب تنفيذها »(١) .

ان الهدف هو عنصر الخطة المحدد ، وهو اساس الخطة ونتيجتها النهائية . يشمل الهدف كافة نواحي واقسام الخطة ، وهو يعتبر بمثابة الفكرة الموجهة للنشاط المنهاجي .

ان مفهوم «الهدف» قريب بمعناه المحدد من مفهوم « التنبؤ » و « التوقع » . يعبر الهدف كالتنبؤ عن المستقبل ، الا انه يوجد اختلاف جوهري فيما بين الهدف والتنبؤ . يشير التنبؤ الى ما سوف يكون ، والى ما سوف يحصل في المستقبل . اما الهدف فيشير الى ما ينبغي السعي اليه . يقول نابليون بونابرت « ليست روحا أليفة تلك التي تكشف لي بغتة وسرا عما يجب علي ان اقوله او افعله في حالة لا انتظرها . انما هو تفكيري وامعاني النظر »(٢) .

« ليس من المستطاع التأكد من اختيار المسلك المحتمل اتخاذه لفترة الحرب المقبلة الذي يضمن اكبر أمل في النجاح من بين المسالك المتعددة التي نراها مفتوحة . فهنا تظهر على الاخص موهبة التكهن ، وهي التي نسميها ــ العين الخبيرة ــ والتي يصعب وصفها »(٣) .

---

(١) ماوتسي تونغ ، كتابات عسكرية ، ترجمة دار ابن سينا ببيروت ، الصفحة ٢١١ .
(٢) المارشال فوش ، مبادىء الحرب ، ترجمة النقيب احمد حمودة ، الصفحة ١ .
(٣) لفتنانت جنرال كولمار فرايهر فون درجولتز ، ترجمة العميد حامد نيازي ، الصفحة ١٢ .

يعبر الهدف عن المستقبل ، الذي يتجاوب مع مصالح ورغبات الناس الساعين اليه ، والذي لا يمكن ان يتحقق من تلقاء ذاته ، وانما ينبغي ان يتحقق بالنشاط الفعال . يتناول الهدف التصور عن المستقبل المرجو والسعي النشيط اليه . اذن ، ان الهدف هو الفكرة التي تعبر عن ارادة الانسان في الكفاح من اجل المستقبل .

يوجد فيما بين الهدف وبين اخراجه الى حيز الوجود مسافة ينبغي اجتيازها ، وموانع يجب التغلب عليها ، اما في الموقف القتالي فيوجد فيما بين الهدف وبين تحقيقه **العدو والمقاومة التي ينبغي تحطيمها** . يتحقق الهدف بالكفاح النشيط ، الذي غالبا ما يكون شاقا وعنيفا .

تنقسم الاهداف عادة وعمليا الى اهداف نهائية تعبر عن انجاز مجموعة كاملة من الاعمال ، كما تنقسم الى اهداف قريبة وتالية ومقبلة ، لا يعني كل منها الا انجاز مرحلة معينة على الطريق الى الهدف النهائي .

تحتل الاهداف المكان الرئيسي في خطط الاعمال القتالية للقوات . وان الخطط الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية تحدد الاهداف الاساسية للعمليات (المعارك) المقبلة ، وكذلك مراحل تنفيذها في صورة مهام قريبة وتالية ومقبلة ، يؤمن تنفيذها المتتابع تحقيق الهدف النهائي .

على هذه الصورة ، ان اهداف النشاط المقبل ، ومراحل تحقيقها ، وتحضير القوى والوسائط الضرورية ، واستخدامها وفقا للمهام الموضوعة ، وطرق الكفاح في مرحلة ــ هذه هي اهم عناصر الخطة .

يمثل التوجيه الهادف التعبير الواعي لتلك العلاقة السببية ، التي يقوم فيها الانسان بصورة واعية بدور القوة المؤثرة ، مستخدما الوسائط المحضرة من قبله ، وهو يسعى الى تحقيق النتائج المرجوة .

يلعب التنبؤ العلمي دورا كبيرا في اعداد خطط الاعمال القتالية الفعالة للقوات .

من المعلوم ان التنبؤ بأعمال العدو القتالية تعترضه صعوبات كبيرة ،

وبتذليل هذه الصعوبات يمكن التوصل الى وضع الخطط العملياتية ــ الاستراتيجية الملائمة على اساس علمي ، الامر الذي يؤمن نجاح القوات في اية عملية او معركة مقبلة .

تعود هذه الصعوبات الى سعي العدو على الدوام الى كتمان خططه ونواياه المتعلقة بالاعمال القتالية المقبلة ، الامر الذي يتطلب من الاستطلاع ، على اختلاف انواعه ومستوياته ، تقديم المعلومات الدقيقة والآنية التي لا تسمح بتحديد اتجاهات الضربات المخططة فحسب ، بل وتجميع القوى المخصصة للهجوم ، والاحتياطات التي يمكن اشراكها في الاعمال القتالية المقبلة ، ووقت بداية الاعمال القتالية . تعد القيادة ، استنادا الى هذه المعلومات ، الخطة التي تتلخص فكرتها الاساسية في انهاك العدو واستنزاف دمائه ، وسحق احتياطاته . « ليس للحرب من هدف سوى الحفاظ على القوات وابادة قوات العدو . ابادة قوات العدو هي نزع سلاحها ، حرمانها من كل قدرة على المقاومة ، وليس ابادتها جميعا ابادة جسدية »(١) .

ينبغي ان يستمر نشاط القادة والاركانات بصورة مخططة وواعية على الدوام . ومن الضروري أن تؤخذ بعين الاعتبار ، أثناء وضع خطة الاعمال القتالية ، معلومات الاستطلاع الجديدة ، اما في مجرى الاعمال القتالية ، فينبغي ان تدقق القرارات والخطط ، وان تعدل او تستبدل عند الضرورة بغيرها ، وفقا الموقف الناشيء . « ان وضع الخطط التكتيكية وخطط الحملات والخطط الاستراتيجية وتغييرها ، ضمن النطاق الذي يتعلق بها وحسب الوضع ، يشكلان عاملا رئيسيا في قيادة الحرب »(٢) .

ان اهم شرط من شروط فعالية خطط الاعمال القتالية هو تجاوب الاهداف الموضوعة في هذه الخطط مع القوى والوسائط المتوفرة ، لان الاختلاف او التنافر بين الاهداف الموضوعة في الخطة وبين الوسائط المتوفرة لتحقيقها ، يؤدي الى المجازفات الخطيرة والفشل والهزيمة .

---

(١) ماوتسي تونغ ، كتابات عسكرية ، ترجمة دار ابن سينا ببيروت ، الصفحة ٣٠٠ .
(٢) ماوتسي تونغ ، كتابات عسكرية ، ترجمة دار ابن سينا ببيروت ، الصفحة ٣١٧ .

٢ ـ اهمية التخطيط والتوجيه الهادف في الكفاح المسلح :

ان التخطيط والتوجيه الهادف في اعمال القوات شرطان اساسيان من شروط النجاح الحاسم .

يسبغ التخطيط والتوجيه الهادف على مختلف اشكال الاعمال القتالية للقوات الوحدة الضرورية وبفضل هذين الشرطين الاساسيين ، تجرى اعمال القوات باعتبارها حلقات من عملية واحدة .

من الممكن ان نتصور مجرى اية حرب كتطور الى الامام ، وانتقال من مرحلة من مراحل الكفاح المسلح الى مرحلة اخرى . يفتح التخطيط والتوجيه الهادف للقوات آفاقا واضحة ، ويعطيان اعمالها الحسمية والثقة . وهما يؤمنان التعاون الوثيق والفعال للجيش والتشكيلات والقطعات والوحدات ، وكذلك لصنوف القوات المختلفة وانواع القوات المسلحة . تحقق الخطط والاهداف وحدة الارادة والاعمال ، التي يتوقف عليها تحقيق النصر .

تزداد اهمية التخطيط والتوجيه الهادف مع تطوير وتحسين العتاد القتالي اكثر فاكثر . . . ان تنوع وتعقد العتاد القتالي ، والقوة التدميرية الكبيرة للاسلحة ، وطبيعة مناورة المعارك والعمليات وسرعتها ، والمساحات الكبيرة التي تنتشر فيها ـ كل هذا يعزز دور التخطيط والتوجيه .

كانت الحربان العالميتان ، الاولى والثانية ، حربين طويلتين . جرت خلالهما مجموعة من الحملات الاستراتيجية . وكانت تتكون كل حملة من عدة عمليات كبيرة ، وكل عملية من عدة موقعات ومعارك . ولقد تمت تغطية اهم الاغراض السياسية والاستراتيجية ، التي كانت اهدافا للهجوم ، بالجبهات المتصلة والمحصنة بقوة ، وتم الدفاع عنها بنيران المدفعية الكثيفة . لذلك ، تم ادراك الاهداف الاستراتيجية بواسطة خرق جبهة الدفاع المعادي ، والمناورة بالقوات المتحركة ، التي كانت تزج اثناء الخرق ، والتي كانت تخرج الى المجال العملياتي .

ان استخدام اسلحة التدمير الشامل سوف يغير بصورة جوهرية طرق ادراك الاهداف الاستراتيجية . ان تدمير الاغراض المعادية ، الموجودة على

مسافات كبيرة من خط التماس المباشر لقوات الطرفين المتحاربين سوف يتحقق بالضربات النوويـة .

يؤمن التخطيط والتوجيه التصميم والاندفاع في الكفاح المسلح من اجل تحقيق الاهداف الموضوعة من جهة ، وقابلية المناورة ومرونة الاعمال واستخدام مختلف اشكال الصراع من جهة اخرى .

ان السعي المضطرد لتحقيق الاهداف الحاسمة يتطلب الثبات والصبر لتذليل الصعوبات والعوائق ، ومرونة الاعمال ، وقابلية المناورة ، وسرعة تغيير اساليب وطرق الصراع وفقا لتغير الشروط .

يؤدي غياب الخطة حتما الى تشتيت القوات ، ويستبعد الجهود المنسقة للقوات حسب الزمن والمكان والهدف .

ان تخطيط وتوجيه اعمال القوات ضروريان سواء على الصعيد الاستراتيجي او على الصعيد العملياتي . وان النجاحات التكتيكية والعملياتية لا تأتي بنتائج كبيرة وباهرة الا عند تحقيق الاهداف الاستراتيجية العامة وان أي انفصال بين النجاحات العملياتية ــ التكتيكية والاهداف الاستراتيجية ينشيء موقفا خطيرا للغاية ، غالبا ما ينتهي بكارثة .

ان التخطيط والتوجيه الهادف في ادارة النشاط القتالي للقـوات شرطان ضروريان للاعمال القتالية الحاسمـة ، على اختلاف انواعها ، سواء أكانت هجومية أم دفاعية . ولكن ينبغي ان نأخذ بعين الاعتبار ان سحق قوى العدو واحتلال اراضيه ، بما فيها المراكز الهامة الحيوية من النواحي الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية ، لا يمكن ان يتحققا الا بالاعمال الهجومية . « ان الهجوم ، الذي هو ، اساسا وسيلة تهدف الى ابادة قوات العدو ، يتيح في الوقت ذاته ، الحفاظ على قواتنا . ولهذا السبب أيضا ينبغي للدفاع أن يرافقه الهجوم وينبغي الا يكون مجرد دفاع محض . ان الحفاظ على القوات وابادة قوات العدو ، باعتبارهما هدفين من اهداف الحرب التي اشرنا اليها أساس كل عمل حربي . وهذا الجوهر يطغي على جميع النشاطات ، من الاساليب

التكنيكية حتى الاستراتيجية . واهداف الحرب التي اشرنا اليها تشكل مبدأ الحرب الاساسي ، وكل مفهوم او مبدأ تكنيكي او قتالي او استراتيجي ، لا ينفصل عنه اطلاقا »(١) .

يؤثر تخطيط وتوجيه خوض الكفاح المسلح تأثيرا ممنويا عظيما على القوات ، ويؤديان بالتالي الى النصر في الحرب . « في جميع الامور يضمن التحضير النجاح كما يؤدي عدم التحضير الى الفشل . لا يكون نصر في الحرب دون خطة وتحضير مسبقين »(٢) .

ان للاهداف السياسية اهمية حاسمة في خوض الحرب . ترفع عدالة الاهداف من طاقة المقاتلين وشجاعتهم وروحهم الهجومية ، وتعزز السعي الى سحق العدو وتحقيق النصر عليه .

« اذا كانت الحرب تشن لتحقيق اهداف محددة ــ لا احد يقاتل من اجل القتال ــ فلا بد من ان ترى ضمن نطاق اهدافها وضمن طبيعة القوى التي تشنها . ان رؤية الحرب ضمن هذا الاطار يقسم الحروب الى قسمين رئيسيين : حروب عادلة وحروب غير عادلة . أما معيار العدالة او اللاعدالة في الحرب فينطلق من زاوية عدالة او عدم عدالة الاهداف التي تشن الحروب بقصد تحقيقها »(٣) .

ان الاهداف السياسية للكفاح المسلح العادل ضد الصهيونية والاستعمار ، وطليعتهما اسرائيل ، هي التي تمنح المقاتلين العرب الروح المعنوية العالية ، وتمكن القيادة من وضع الاهداف الاستراتيجية والعملياتية العامة امام القوات .

ان المتطلبات العلمية الاساسية اللازمة للقادة والاركانات من اجل تأمين تخطيط وتوجيه الاعمال القتالية للقوات توجيها هادفا هي :

أولا : دراسة الموقف المتبدل باستمرار ، ودراسة التناقضات الواقعية

---

(١) ماوتسي تونغ ، كتابات عسكرية ، ترجمة دار ابن سينا ببيروت ، الصفحة ٣٠١ .
(٢) ماوتسي تونغ ، كتابات عسكرية ، ترجمة دار ابن سينا ببيروت ، الصفحة ٣١٦ .
(٣) منير شفيق ، علم الحرب ، الصفحة ٧ .

الناشئة فيه ، وقبل كل شيء دراسة قوى وخطط العدو . لا تصلح الخطط اساسا لنشاط القوات القتالي الناجح الا اذا كانت تستند الى موقف حقيقي ، وتتجاوب مع قوانين الكفاح المسلح الموضوعية . ولذلك من الضروري ان ندرس اثناء السلم الاعداء المتوقعين وتسليحهم ، وعتادهم القتالي ، وطرق اعمالهم القتاليـــة .

ثانيا : من الضروري ان نراعي تبعية الخطط التكتيكية للخطط العملياتية ، وتبعية الخطط العملياتية للخطط الاستراتيجية . يؤمن هذا التوجيه الهادف الدقيق في الاعمال القتالية للقوات ، مركزية وثبات الادارة ، وهو شرط هــام لاستخدام القوى والوسائط بشكل صحيح .

ثالثا : من الضروري ان نستند في تخطيط المعركة والعملية والحملــة والحرب الى وحدة الاهداف والوسائط . لذلك ينبغي ان تتجاوب الاهــداف الموضوعة في الخطة مع القوى والوسائط المتوفرة .

رابعا : في شروط الحرب الحديثة ، التي تتميز بخفة الحركة والقــدرة الكبيرة على المناورة ، يعود الدور الهام الى التخطيط المبدع المتحرر من الجمود والقالبية ، والى التوجيه الهادف الذي يتيح للقادة المنفذين ان يظهروا المبادرة السديدة في مجال المهام الملقاة على عاتقهم .

على هذه الصورة ، لا يمكن لاي انسان واع ان ينكر ضرورة التخطيط والتوجيه في الكفاح المسلح وضرورة ادخال التعديلات عليها في الوقت المناسب ، وفقا للتغيرات التي تطرأ على الموقف ، وحسب سير الاعمال القتالية (حركيتها او تطورها) ، والا صرنا كما يقول « ماوتسي تونغ » « ميكانيكيين » .

بعد ان تحدثنا حديثا موجزا عن التخطيط والتوجيه الهادف في الكفاح المسلح ، نستطيع الآن ان نختتم هذا البحث بالكلمات التالية ، وهي ان ايــة اعمال قتالية ، مهما كان نوعها ، سواء أكانت دفاعية ام هجومية ، لا يجوز ان نخوضها الا بعد تحضير متقن ، وتخطيط دقيق ، اي بعبارة اخرى « حسب خطـة » .

نشــاط القــائد الفكــري

١ ـ الموقف القتالي : موضوع تفكير القائد :

ان اساس قيادة القوات في المعركة او العملية هو قرار القائد . وان هذا القرار وخطة الاعمال القتالية ، الموضوعة على اساسه ، هما نتاج عملية التفكير المعقــدة .

ان موضوع نشاط الموقف القتالي ، والتي عناصره الاساسية هي : عدد ونوعية قواتنا وقوات العدو ، وتجميعات واعمال الطرفين المتحاربين ، وخصائص اتساع الاعمال القتالية من حيث الزمان والمكان والخصائص الاقتصادية والجغرافية والجوية لمسرح الاعمال الحربية ، وغيرها . وان كل عنصر من هذه العناصر يمكن ان يغدو ، في شروط محددة ، عاملا فعالا ، قادرا على تغيير مجرى الاحداث ، واتجاه ومصير الاعمال القتالية .

ليست عناصر الموقف ، التي يعتمدها القائد في اتخاذ قراره ، وليــدة الماضي القريب ، فهي تعود الى الماضي المستغرق في القدم ، **وان اقدم بحث عسكري معروف ظهر في الصين ، في القرن السادس قبل الميلاد ، ونقصد بذلك « قواعد الفن العسكري » لمؤلفه « سان تسي » ، قد اوضح ما نسميه في ايامنا الحاضرة « عناصر الموقف »** اي « المهمة ، والعدو ، والوسائل والارض »[1] .

تعني دراسة الموقف ان نحــدد تأثــير كل عنصر من عناصره ، مستقلا ومجتمعا ، على تنفيذ المهمة القتالية ، وان نقر ايضا ما ينبغي عمله لازالة أو

---

(١) تاريخ الفنون العسكرية : تاليف الكولونيل فرناند شنيدر ، ترجمة فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ـ لبنان ، ص ٧ .

اضعاف تأثير العوامل السلبية . وان هذا ، في الحقيقة ، يشكل هدفا رئيسيا لنشاط القائد الفكري في عملية صنع واتخاذ القرار القتالي .

ان الموقف القتالي ، كقاعدة ، متناقض للغاية ، وسريع التغير والتطور ، الا انه ليس فوضى ولا اختلالا ، بل مجموعة من الظواهر والعمليات الواقعية المتفاعلة ، الخاضعة للارتباط الموضوعي بين الاسباب والمسببات ، ولقوانين التطور . لذلك ، نستطيع ، استنادا الى بعض الوقائع او الظواهر ، ان نستخلص النتائج حول الاسباب التي استدعتها . ولا يمكننا ، على هذه الصورة ، ان نعلل الارتباط المتبادل المعقد للعمليات والظواهر فحسب ، بل وان نكتشف اتجاهات تطور الموقف القتالي وكل مجرى الصراع المسلح .

لا يمكن ، ابدا ، ان تتوفر معطيات الموقف للتحليل بشكل كامل . وان تجربة قيادة القوات ، في مجرى الحرب العالمية الثانية ، تؤكد ان القادة على المستوى العملياتي ـ الاستراتيجي لم تكن لديهم اثناء خوض الاعمال القتالية ذات المناورة العالية ، معلومات دقيقة عن قوى ووسائط ونوايا العدو . **كتب « كلاوزفيتز » : « ان كلمة (معلومات) تعني مجموع المعارف المتعلقة بالعدو وبلاده ، فهي بالتالي الاساس ، الذي نبني عليه افكارنا وافعالنا ... وتؤكد جميع الانظمة العسكرية ان علينا الا نثق الا بالمعلومات الاكيدة »(١) .**

وفي الحرب الصاروخية ـ النووية ، كثيرا ما سيضطر القائد ، على ما يبدو ، الى العمل منعزلا عن القوى الاساسية ، والبقاء بعض الوقت دون اية معلومات . الا ان عدم كمال المعلومات لا يعفي القائد من اتخاذ القرار في حينه .

ينبغي ان نأخذ ، ايضا ، بعين الاعتبار ان معطيات الموقف تشيخ بصورة سريعة الغاية : ان المعطيات المتوفرة اليوم ، يمكن ان تكون غير صالحة غدا . لذلك ، سيكون القائد مضطرا الى الاهتمام ، على الدوام ، بالحصول على المعلومات الجديدة ، وهو مجبر ، حتى في حال عدم توفرها ، على العمل بشكل سريع و « حاسم » استنادا الى المعطيات التي يملكها عن الموقف .

---

(١) في الحرب : تاليف كارل فون كلاوزفيتز ، ترجمة اكرم ديري والمقدم الهيثم الايوبي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة ، الجزء الاول ، ص ١٤٠ .

تعرف الحرب العالمية الثانية امثلة كثيرة عن قادة اظهروا مبادرة وفعالية عظيمتين ، في تنظيم الرصد والاستطلاع ، بغية تجديد واكمال المعلومات بصورة منتظمة عن العدو ، كما اظهروا الشجاعة والابداع . وكثيرا ما فرضوا ارادتهم على العدو ، وهم يخاطرون بحياتهم ، وامنوا تنفيذ المهام القتالية بنجاح . ان المثال المميز ، في هذا الصدد ، هو نشاط قائد كتيبة المشاة الاولى من الفرقة ٣٧ ، النقيب « غ.د. تشيبينوغا » ، في عملية « نوفغورودسكو — لوجسكايا » ، في كانون الثاني من عام ١٩٤٤ .

أعطى قائد الفرقة الامر الى قائد الكتيبة بالتسلل ، عبر الحد الامامي ، الى مؤخرة العدو ، وتدميره ، حتى الساعة ٧٫٠٠ من ١٧ كانون الثاني ، في نقطة استناد « الطاحونة القديمة » . لم يكن النقيب « تشيبينوغا » ، حتى لحظة استلام الامر ، يملك المعلومات الصحيحة ، لا سيما الكاملة ، عن نظـام دفاع العدو في نقطة الاستناد . وبالرغم من هذا ، اتخذ كافة التدابير الممكنة لتوضيح الموقف ، الذي كان عليه ان ينفذ المهمة القتالية في شروطه . نظم ، خلال فترة قصيرة نسبيا ، استطلاع الارض ، وحدد طريق المرور الاكثر أمانا الى نقطة الاستناد المعادية . وارسل ، بغية الحصول على معلومات عن حواجز ونظام دفاع العدو في منطقة الحد الامامي ، استطلاعا قوامه فصيلة رمـاة رشاشات خفيفة ، معززة بفصيلة رشاشات ثقيلة . تبين لقائد الكتيبة ان انتباه العدو موجه الى اعمال القطعات الاخرى في الناحية الشمالية — الغربية من « الطاحونة القديمة » .

حتى الساعة الخامسة والدقائق الثلاثين من صباح ١٧ كانون الثـاني ، خرجت الكتيبة الى المنطقة الواقعة في الناحية الجنوبية — الشرقية من بلـدة « الطاحونة القديمة » ، وحصل القائد بواسطة الاستطلاع والدوريات على معطيات جديدة عن العدو ، حللها بدقة وعناية . وبعد تقدير الموقف القتالي من جميع النواحي ، اتخذ القائد قراره : تدمير الوسائط النارية المكتشفة في نقطة استناد العدو برشقة من نيران الهاونات ، ثم مهاجمته بكل القوى من الناحيتين الشرقية والجنوبية — الغربية ، وتدميره والتحصن في بلدة « الطاحونة القديمة » ، متخذا

الدفاع الدائري . نفذت الكتيبة القرار ، وساعد خروجها الى مؤخرة العدو الفرقة ٣٧ على ان تنفذ بنجاح ، بالتعاون مع التشكيلات الاخرى ، مهمة تطويق وتدمير تجميع العدو ، المدافع عن « نوفغورود »(١) .

يدرس القائد ، بعمق كبير ، تلك المعطيات من عناصر الموقف ، التي تؤثر مباشرة ، في شروط محددة ، على سير الاعمال القتالية ، فهي اما انها تساعد على تحقيق الهدف ، واما انها ، على العكس ، تعيق تنفيذ المهمة الموضوعة . تسمح مثل هذه العناصر ان نقدر الوضع العام لقواتنا وقوات العدو بشكل صحيح ، وان نحسب كمية الاسلحة المختلفة وامكانية استخدامها ، وان ننظم التعاون الاكثر ملاءمة لصنوف القوات المختلفة في الهجوم والدفاع . ينتصر في المعركة الحديثة القائد الذي يتفهم تناسب القوى بصورة عميقة وشاملة ، خلال فترة قصيرة للغاية ، آخذا بعين الاعتبار امكانيات الطرفين ، وسبق العدو في توجيه الضربة .

بغية وضع القرار المعلل ، ينبغي ان نعتمد الطرق التجريبية ، التي اثبتتها الممارسة العملية ، في دراسة الموقف القتالي : الرصد ، والاستطلاع ، والمقارنة ، والمشاريع الاختبارية ، وخبرات العمل على الاجهزة السيبرنتيكية ، وغيرها* .

ان الشرط الضروري لدراسة الموقف القتالي ، بعمق ، من قبل القائد ، **هو الاستخدام الواعي للمبادىء المنهجية العلمية في نظرية المعرفة : مبدا الموضوعية ، ومبدأ المعالجة الشاملة ، ومبدأ التطور .**

عند تحليل وتقدير الموقف ، ينبغي على القائد ان يكون موضوعيا تماما ، وان يراه كما هو في الواقع وعلى الطبيعة . لا يستطيع القائد ان يخضع سير الاحداث لارادته ، ولصالح النصر ، الا بالتقدير الموضوعي للموقف . ان مطلب

---

(١) الاعمال القتالية لكتيبة المشاة : تأليف مجموعة من الضباط السوفييت ، دار النشر والطباعة العسكرية ، موسكو ، عام ١٩٥٧ ، ص ٩٢ – ٩٧ .

(*) السيبرنتيكية : من كلمة (السيبرنيتيك) ، وتعني علم التحكم الاوتوماتيكي او علم الحساب الالكتروني .

الموضوعية هو المبدأ المنهجي العلمي الاول في تقدير تناسب قوى ووسائط الطرفين المتحاربين . يقول ((ماوتسي تونغ)) : ((**عندما نعارض الطريقة الذاتية في معالجة المسائل ، انما نريد القول بوجوب محاربة الافكار التي لا تستند الى الواقع الموضوعي ولا تطابقه ... ان جميع الافكار ، التي تستند الى الواقع الموضوعي وتطابقه ، صحيحة ، وصحيحة ايضا كل ممارسة وكل عمل يستندان الى افكار صحيحة وعلينا ان نطور هذه الافكار وهذه الاعمال ، ان نطور هذا النشاط الواعي**))(١) .

تكتسب ، في الحرب الصاروخية ــ النووية ، موضوعية تقدير الموقف اهمية استثنائية ، لان الذاتية في تحديد تناسب القوى ووسائط التدمير الشامل تؤدي حتما الى عواقب مفجعة . في مثل هذه الحرب ، غالبا ما سوف ترتبط موضوعية تقدير الموقف بصفات القائد الارادية وقدرته على رباطة جأشه ، وبتقدير جميع الشروط بتبصر ، ووضع القرارات الصحيحة .

ان مبدأ الموضوعية مرتبط بشكل عضوي بمبدأ المعالجة الشاملة . لايجوز ان نحكم على قوى وامكانيات العدو ، وعلى وضع قطعاتنا ووحداتنا ، وفقــا لبعض الوقائع . ينبغي ان نتناول كافة الوقائع في ارتباطها المتبادل . ان مجموع ظواهر وعمليات الموقف القتالي المعقدة لا تمثل وحدة طبيعية ، متفاعلة في اجزائها وعناصرها ، الا بنتيجة التحليل الشامل ، الذي يمكن من استيضاح اي المعطيات من عناصر الموقف ، تلعب دورا معينا ، وعلى اي مستوى ينبغي ان نتمسك بها ، لكي نسيطر على سير الاحداث كلها . ان التحليل الشامل للموقف ضروري للغاية في المعركة مع استخدام الاسلحة الصاروخية ــ النووية ، وغيرها من وسائط الصراع المسلح الحديثة .

ان مبدأ المعالجة الشاملة مرتبط بشكل وثيق مع مبدأ التطور ، باعتباره مبدأ علميا اساسيا من مبادىء نظرية المعرفة .

طالما ان موقف الاعمال القتالية يتصف بسرعة التطور الكبيرة ، فان قرار

---

(١) كتابات عسكرية : ماوتسي تونغ ، دار ابن سينا ــ بيروت ، عام ١٩٦٧ ، ص ٢٩٤ .

القائد المعلل للمعركة او العملية ، والقيادة المرنة للقوات في مجرى الاعمال القتالية غير ممكنين الا على اساس معرفة اتجاهات تطور الموقف الملموس .

ان الموقف القتالي لا يتكرر ابدا ، وان تغير عناصره ينشيء وضعا تكتيكيا ــ عملياتيا جديدا . وفي كل مرحلة من مراحل تطور الموقف في المعركة ، تنشأ خصائصها الفريدة ، التي تتطلب طرقا ووسائط ملائمة للاعمال القتالية . **أكد ف. فرونزي** : « في كل حالة يبدو فن القائد ، في معرفة انتقاء هذه الوسائط مع تلك التي وضعت تحت تصرفه ، **والتي تعطي افضل النتائج في الموقف الجاري** وفي الوقت المعلوم »(١) .

لا يمكن ان يتخذ القرارات المبتكرة ، وان يضع خطط الاعمال الملائمة لشروط الموقف الناشيء الملموس ، وان يقود القوات بثقة ومرونة واستمرار ، الا القائد المفكر بصورة جدلية* . ينبغي عليه ان ينفذ القرارات المتخذة باصرار وبشكل هادف ، مذللا كافة العقبات على الطريق لتحقيق الهدف . ويجب على القائد ، في نفس الوقت ، ان يدقق خطة الاعمال القتالية بصورة مستمرة ، وان يغيرها احيانا ، بشكل جذري ، اذا تبدل الموقف تماما . يتطلب كل هذا المرونة في التفكير ، والقدرة على اكتشاف النواحي المتناقضة في الظواهر .

لا يستطيع القائد ان يعمل بنجاح ، في الحرب الصاروخية ــ النووية ، الا اذا اكتشف تناقضات الموقف القتالي في حينها ، وعالجها بصورة صحيحة ، واستطاع ان يناور بالقوى والوسائط . لهذا ، ينبغي عليه ان يكون قادرا على النشاط العقلي ، والمبادرة ، والاستعداد للاعمال الحاسمة . تكتسب مرونة التفكير ايضا ، اثناء سير التدريب التكتيكي ــ العملياتي ايام السلم . لذلك ، يجب ان يوضع الضابط في شروط اقرب ما تكون الى الظروف القتالية ، اثناء

---

(١) المؤلفات المختارة : م.ف. فرونزي ، دار النشر والطباعة العسكرية ، عام ١٩٥٧ ، المجلد ٢ ، ص ٤٧ .

(*) ديالكتيكية : من كلمة (ديالكتيك) ، المأخوذة من الكلمة اليونانية « دياليغو » ، ومعناها المحادثة والمجادلة . ان الديالكتيك هو علم التغيرات في الفكر والطبيعة والتاريخ ، هذه التغيرات الخاضعة لقوانين التناقض ، والفعل المتبادل ، والرقي بقفزات .

الدروس في القاعات وعلى الارض ، واثناء حل المهام على الخرائط خلال مشاريع القيادة والاركان ، والالعاب الحربية ، لا سيما في المشاريع التكتيكية والمناورات .

على هذه الصورة ، فان الاستخدام المبدع للمبادىء المنهجية العلمية يساعد على تقدير الموقف بشكل صحيح ، وتحقيق الارتباطات الموضوعية بين عناصره ، واتخاذ القرار القتالي ، وتنظيم تنفيذه .

٢ ــ دور المعرفة الحسية والمنطقية في اتخاذ القرار :

قال ((فوش)) : ((لكي نقدر يجب ان نعرف ، والمعرفة وحدها تولد اليقين والثقــة))(١) .

ان المعرفة في اي مجال من المجالات ، بما فيها دراسة الموقف القتــالي تبتدىء بانعكاس الواقع مباشرة في الحواس .

ان القائد ــ وهو يقوم بالاستطلاع الشخصي على الارض قبل المعركة او العملية ، ويرصد منطقة الاعمال القتالية شخصيا ، او يستمع الى مذكرات الرؤساء في الاركان ، او يعمل على الخريطة مدققا الموقف او يدرس نشرة عن وضع واعمال ونوايا العدو ، وكذلك وهو ينظم التعاون القتالي لقواته مع الجوار على الجوانب ــ لا بد وان يتلقى العديد من الاحساسات البصرية ، والسمعية ، وغيرها . تتكون من هذه الاحساسات الاشكال الحسية ، وصورة موقف الاعمال القتالية . وتنشأ هذه الاشكال ، في بعض الاحوال ، في الوعي بنتيجة الاثارة المباشرة لاعضاء الحواس ، وتنشأ ، في الاحوال الاخرى ، على اساس تذكر الظواهر والاوضاع القتالية ، التي حدثت في الماضي . كتب « الدكتور جميل صليبا » : **((ان المعرفة الحسية ابسط صور المعرفة واولها ، وهي معرفة يبدو العالم الخارجي فيها خليطا من الاحساسات المشتبكة والكيفيات المختلفــة (واعني بالكيفيات الاشكال والالوان والاصوات الخ) . وهي مجردة من كل رابط منطقي ، تابعة للمصادفة والاتفاق))(٢) .**

---

(١) تاريخ الفنون العسكرية : تاليف الكولونيل فرناند شنيدر ، ترجمة فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ــ لبنان ، ص ٧٨ .

(٢) المنطق : الدكتور جميل صليبا ، منشورات عويدات ، بيروت ــ لبنان ، عام ١٩٦٧ ، ص ٩٨

يمتلك القادة تحت امرتهم الادوات الحديثة ، واجهزة الرصد والاستطلاع والاشارة والانذار ، التي تتيح ، لدرجة كبيرة ، توسيع مجال الادراك الحسي للمعركة والعملية . يستطيع قادة الوحدات والقطعات وكذلك قادة الفرق ، الذين تعمل قطعاتهم في النسق الاول ، ان يدركوا الموقف القتالي مباشرة ، وان يؤثروا على سير المعركة شخصيا . ومن هنا يمكننا ان نفهم سعي القادة ، دوما الى الوجود قريبا من خط الجبهة .

تتزايد ، في المعركة الحديثة ، اهمية الاشكال الحسية ، المؤسسة ليس على التأمل الحي المباشر لارض المعركة فحسب ، بل وعلى الادراك الحسي لدلالات الاجهزة ، والاستماع الى مذكرات ضباط الاركان ، وقراءة التقارير ، وغيرها . الى جانب المعطيات ، المستلمة بنتيجة الرصد الشخصي يستفيد القادة بشكل واسع من معلومات المصادر المختلفة : معطيات الاستطلاع ، والبلاغات عن اعمال الجوار ، وتقارير مراكز الرصد والانذار ، وافادات الاسرى ، وشهادات السكان المحليين ، وغيرهم . كثيرا ما تتشوه هذه المعلومات وهي تجتاز مستويات الاستعلامات المختلفة ، لذلك ، ينبغي على القائد ان يسعى الى التأكد من صحة المعلومات ، وثقة مصدرها . طبقـا ، لا يستطيع القائد دوما في المعركة الحديثة ان يتحقق من صحة المصدر ، وطبيعة المعلومات المستلمة ، الامر الذي يضطره الى المجازفة . ولكن عندما تتوفر الامكانية ، ينبغي عليه ان يحقق اثبـات القرار القتالي .

تلعب معرفة القائد الحسية دورا كبيرا اثناء دراسة وتقدير الموقف القتالي. ولكن لا تنعكس في الاشكال الحسية الا النواحي الظاهرية للموضوعات . لذلك ، ان مثل هذه الاشكال محدودة ، وسطحية ، وناقصة حتما . والسبب في هذا هو ان جوهر الموضوعات المدروسة لا يتفق مع المظاهر الخارجية ، التي تنعكس في الاحساسات . لذلك ، من المستحيل ان نعرف جوهر الموضوعات والعمليات والسير الطبيعي للاحداث بواسطة المعرفة الحسية فقط . ولكن لا يجوز ان نفهم ضيق المعرفة الحسية كعلة مبدئية في اعضاء الحواس ، لانها تعطينا صورة حقيقية ، ولو عن نواحي الواقع الظاهرية .

ان المعرفة الحسية غير قادرة على تحديد الارتباط السببي لظواهر الموقف ، وتقديمه كعملية . وبدون هذا ، يستحيل تقدير الموقف بشكل صحيح ، واتخاذ قرار معلل ، لا تستطيع المعرفة الحسية ان تدل القائد على مجموعة الشروط ، ذات الاهمية الحاسمة بالنسبة لخصائص الموقف القتالي ، كوحدة كاملة ، مثلا ، طبيعة ميول السكان المحليين في منطقة اجراء عملية الانزال ، او الحالة السياسية المعنوية لقوات العدو . ان مثل هذه الظواهر وغيرها ، المخفية عن المعرفة الحسية المباشرة ، لا يمكن ان تدرك الا على اساس **التفكير المنطقي** .

ان التفكير المنطقي هو الدرجة العليا من درجات المعرفة . وانه يمكن من تحليل وتعميم المعطيات والمعلومات الحقيقية ، وادراك وتفهم « لغة الوقائع » ، وادراك مضمونها ، وكشف المنطق الداخلي لتطورها ، والصلات والعلاقات الجوهرية . كتب « لينين » في تعريفه للمنطق : « **المنطق ليس علم النفس ، وليس هو علم ظاهرات الذهن . المنطق يساوي مسالة الحقيقة** »[1] .
وعرف « الدكتور جميل صليبا » المنطق بقوله : « انه الآلة العاصمة للذهن عن الخطأ فيما يتصوره ويصدق به ، والموصلة الى الاعتقاد الحق باعطاء اسبابه ونتائجه ، او انه العلم الذي يبحث في صحيح الفكر او فاسده ، او انه حسب قول فلاسفة (البور ريال) ، فن التفكير »[2] .

لا يقتصر تقدير الموقف القتالي على وصفه ، بل يستلزم معرفة الارتباط العميق بين الظواهر الملحوظة ، وكشف اتجاهات تحركها ، والتطور الطبيعي لمجموعة الظواهر كلها ، والبحث عن امكانيات تغيرها في الاتجاه المطلوب . وقصارى القول ، يعني تقدير الموقف القتالي ان نحدد العلاقة السببية لكافة عناصره ، وتأثيرها على تنفيذ المهمة القتالية .

---

(١) المنطق الشكلي والمنطق الديالكتي : تاليف كيدروف ، ترجمة محمد عيتاني وسهيل يموت ، دار المعجم العربي ــ بيروت ، ص ٣ .

(٢) المنطق : الدكتور جميل صليبا ، منشورات عويدات ، بيروت ــ لبنان ، عام ١٩٦٧ ص ١٠٠ .

لا يستطيع القائد ، الا على اساس التفكير المنطقي ، ان يفهم ، مثلا ، الارتباط المتبادل والمتعارض بين حشد القوى والوسائط من اجل توجيه الضربة في الاتجاه المطلوب ، وضرورة نشرها لصالح الوقاية من اسلحة التدمير الشامل . نستطيع بالتفكير المنطقي ان نظهر تناقضات الاعمال التتالية الحديثة ، التي يواجهها القائد عند اتخاذ القرار القتالي . تتجلى هذه التناقضات بين ضرورة حشد القوى في اتجاه الضربة الرئيسية ، وخطر اضعاف مجالات الاعمال القتالية الاخرى ، وبين القوى والوسائط الضرورية لخوض المعركة او العملية ، والقوى والوسائط المتوفرة ، وبين المعلومات المتيسرة عن العدو ، وقوامه الحقيقي وغيره .

تفيد الخبرات العسكرية ان الموقف ، في الشروط القتالية ، كثيرا ما يكون غامضا ، ومعطياته متناثرة ومشكوكا فيها . وكثيرا ما يضطر القائد ، استنادا الى معطيات متناثرة وضئيلة ، أن يحدد العلاقات السببية للظواهر ، وان يكون صورة كاملة للموقف الناشيء ، وان يتخذ القرار القتالي بسرعة . في مثل هذه الاحوال تتضح القيمة الكبيرة للمعارف المستنتجة على اساس التفكير المنطقي . كتب « كلاوزفيتز » : « تتصف المعلومات التي تأتينا خلال الحرب ، بأنها غالبا ما تكون متناقضة وخاطئة ، تكتنف معظمها الشكوك . وكل ما نطلبه من الضابط ، في هذا الصدد ، شيئا من التمييز ، الذي لا يتم الحصول عليه الا بفضل المهارة البسيكولوجية والمهنية والقدرة على الحكم »(١) .

ان تفكير القائد ، اثناء عملية تقدير الموقف واتخاذ القرار ، لا يمكن ان يعتمد طريقة فكرية واحدة ، او اية طريقة كانت . **هنالك طرق عقلية عامة متعددة ، يتبعها العقل في سبيل الوصول الى الحقيقة : التحليل والتركيب ، والتجريد والتعميم ، والقياس ، والاستدلال بنوعيه وهما الاستقراء والاستنتاج ، والفرضية وغيرها .**

---

(١) في الحرب : تاليف كارل فون كلاوزفيتز ، ترجمة اكرم ديري والمقدم الهيثم الايوبي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، الجزء الاول ، ص ١٤٠ .

يبدأ تفكير القائد المنطقي بالتحليل اثناء تقدير الموقف واثناء وضع القرار . لا يستطيع القائد الا بالتفكير المنطقي ان يميز الظواهر الجوهرية ، وان يحدد العلاقات والصلات الضرورية للواقع المتعدد الاطراف . ان **التحليل** شرط أولي لمعرفة هذه العلاقات ، ودراسة موقف الاعمال القتالية في تغيرها وتطورها . كتب « الدكتور جميل صليبا » : « **التحليل هو الطريقة التي يفرق بها العقل موضوعا من موضوعات العلوم الى اجزائه** »[1] . ان مادة التحليل هي المعطيات المستلمة من مصادر المعلومات المختلفة . وتتلخص مهمة القائد في اختيار المعطيات الجوهرية . ان هذه المعطيات ، في الاعمال القتالية الحديثة ، هي الاسلحة الصاروخية ـ النووية ، وكذلك القوى والوسائط لتأمينها .

لا يشترط التحليل الموضوعي الملموس ، بتاتا ، دراسة كافة النواحي في كل ظاهرة ، لا سيما وان شروط المعركة او العملية لن توفر الوقت لهذا . يتناول القائد ، وهو يحلل ، ما هو جوهري وحاسم بالنسبة لتحقيق الهدف . وفي هذا الصدد ، يخدم التجريد القائد تماما . ان معرفة القائد التحليلية هي بالتحديد : نتيجة تجريد الفكر عما هو قليل الاهمية ، وادراك ما هو جوهري واساسي .

تتلخص اهمية التجريد في انه لا يعود ، بعد انتقاء الفكرة الرئيسية ، الى موضوع المعرفة في شكله السابق ، بل في شكله المغتني لدرجة كبيرة . وبنتيجة التحليل يغدو الموضوع اكثر عمقا وكمالا . ان القائد مثلا ، وهو يستخلص المعلومات عن قوى العدو الرئيسية في الدفاع عند تحليل معطيات الموقف الواقعية ، يلخص هذه المعطيات ويؤمن **تعميم** المعارف عن العدو . ويتم التلخيص بواسطة الطريقة العقلية العامة : **التركيب** ، الذي يكمل التحليل ، ويغني تفكير القائد بمعرفة الموقف كوحدة متكاملة . تتضح بواسطة التركيب ، خصائص تفاعل اهم عناصر الموقف : تجمعات الطرفين المتحاربين ، وتسليحهما وعتادهما القتالي ، والحالة المعنوية للقوات ، وشروط الارض وغيرها .

---

(1) المنطق : الدكتور جميل صليبا ، منشورات عويدات ، بيروت ـ لبنان ، عام ١٩٦٧ ، ص ٨١ .

وفي الشروط الحديثة ، فان الدقائق وحتى الثواني ، تستطيع ان تقرر مصير المعركة او العملية .

وبطبيعة الحال ، ان العمل بسرعة لا يعني العمل الذي لا يعتمد على شيء . ينبغي ان يكون القرار في الوقت الحاضر ، كما كان دوما ، مفكرا فيه بعمق ، وموزونا من جميع النواحي ، الا انه من المهم ان نشير بصورة خاصة الى هذه المرحلة . ان الموقف بالذات يتطلب من القائد ، شاء أم ابى ، أن يتخذ بسرعة القرارات المستقلة الذاتية ، وان يعطي الاوامر والتعليمات الدقيقة في فترات قصيرة للغاية . ولكي لا يداهم على حين غرة ، ولا يعاني من « ازمة الوقت » ، ينبغي على القائد ، مهما كانت رتبته ، ان يقوم شخصيا على الدوام بالتحليل والتركيب في عملية تقدير الموقف واتخاذ القرار ، بدون ان يعتمد على الآخرين . حينذاك ، سوف يكون بالنسبة اليه كل قرار جديد خطوة منطقية ، وانجازا لعملية فكرية مستمرة . ان النشاط الفردي الناجح للقائد ، بطبيعة الحال ، امر مستحيل بدون العمل الدقيق المنسق للاركان ، التي ارتفع دورها في الشروط الحديثة اكثر من أي وقت مضى . توجد تحت تصرف هيئات الاركان ، في الوقت الحاضر ، انواع الوسائط الفنية المختلفة ، التي تسهل وتعجل جمع المعلومات الضرورية وتحليلها من اجل اتخاذ القرار المعلل .

ان الجزء الاهم في تفكير القائد المنطقي هو تحديد **العلاقات السببية** بين عناصر الموقف ومجرى الاعمال القتالية .

ان السببية هي احدى الاشكال الاساسية العامة للارتباط الموضوعي بين مواضيع وظواهر وتطورات الواقع الحقيقي ، وهي المفتاح لمعرفة تطور الموقف الطبيعي وسير الاعمال القتالية . ان كشف العلاقة السببية الداخلية لعناصر مهمة عظيمة وصعبة . تتلخص الصعوبة ، اثناء ذلك ، في ان نفس الشيء يمكن ان يثار بأسباب مختلفة ، تؤثر بشكل اجمالي او بصورة منفردة . زد على ذلك ان نفس الاسباب تعمل في الشروط المختلفة بأشكال متعددة ، وتحدث نتائج متنوعة . واخيرا ، يمكن ان تؤثر تأثيرا عكسيا على السبب الذي أوجدها بنفسه .

أثناء تقدير الموقف ، سوف يكون على القائد ان يستدل اما من النتيجة (الواقع المعروف ؟ الى السبب الذي أوجدها ، أو ، على العكس ، من السبب المعروف الى النتيجة المحددة من قبله . كتب « الدكتور جميل صليبا » : « ان المعرفة الاستدلالية هي معرفة انتقالية ، تنقل الفكر من طرق الى آخر ، وتوصله في النتيجة الى حد نهائي ، أي الى مطلب ذهني كان مجهولا عنده ... هي المعرفة التي يحتاج فيها الفكر الى حركة ، وانتقال من حكم الى آخر ، فاذا كانت هذه الحركة الذهنية مؤدية الى نتيجة يقينية سميت برهانا »(١) . للاستدلال نوعان هما : الاستقراء والاستنتاج . في الحالة الاولى ، عندما يجب تحديد سبب الظاهرة المعروفة ، تستخدم طريقة الاستقراء ، أي حركة الفكر من الوقائع الجزئية الى أعم الاستدلالات عن السبب ، القادر على ايجادها في شروط محددة : كتب « الدكتور جميل صليبا » : « الاستقراء هو انتقال الفكر من الحكم على افراد كلي او على بعض أفراده ، الى الحكم على الكلي المشتمل على هذه الافراد ... وقصارى القول ، ان الاستقراء هو الانتقال من بعض الحوادث المشاهدة الى القضايا العامة البسيطة اي الى القوانين . وسواء كانت هذه المشاهدة علمية أم تجريبية ، منتظمة أم غير منتظمة ، فان الاستقراء ينقلنا من الحكم على معلوم الى الحكم على مجهول »(٢) . على سبيل المثال ، من الامور التي تشير الى تنشيط التبادل اللاسلكي من قبل العدو ، والتي تحصل عليها أنواع الاستطلاع المختلفة ، يستدل القائد ان السبب ، كما تدل الخبرة ، هو انتقال العدو الى الاعمال القتالية النشطة . توضع هذه الاستدلالات ، دوما ، على أساس المعلومات التجريبية في الموقف القتالي المحدود ، ولذلك فهي تحمل طابعا احتماليا ، وتحتاج الى تحقيق دقيق في المستقبل .

في مثل هذه الاستدلالات ، تستخدم **بشكل واسع طريقة القياس** . يقارن القائد بعض الظواهر بتلك الاوضاع ، التي سبق ان اضطر فيها الى حل مهام قتالية مشابهة . ان اكتشاف دليل التشابه في الظواهر او في اعمال العدو ،

---

(١) نفس المصدر السابق : ص ٧٠ .
(٢) نفس المصدر السابق : ص ٧٦ — ٧٩ .

التي سبق ان وجد بعضها تعليله السببي ، كثيرا ما ينوه بفكرة عن تشابه مصادر اصلها ، وتشابه الاسباب . على سبيل المثال : وفقا لتشابه منـاورة السفينة ـ حاملة الصواريخ أثناء صد هجوم الطيران والفواصات في مشروعين مختلفين ، يستدل القائد على تشابه نظام تكوين الدفاع الجوي والدفاع المضاد للغواصات . من الناحية المنطقية ، ان مثل هذا التشابه للاسباب ، وفقا لنتائجها، يمثل استدلالات حسب القياس . ان نتائج هذه الاستدلالات احتمالية .

أثناء عملية وضع القرار وتنظيم الاعمال القتالية ، كثيرا ما يضطر القائد الى وضع فرضيات متنوعة حول الشرط السببي لاية ظاهرة . وهكذا بعد ان يتلقى القائد المعلومات عن ان العدو باشر مناورة الانسحاب ، يمكن ان يفترض افتراضين على أبعد تقدير : اما أن العدو يسعى الى تحسين مواضعه على حساب خسارة بعض الارض مؤقتا ، واما انه يعيد تجميع قواه من اجل العمل على اتجاه آخر . وبصرف النظر عن الوقت المحدد ، يتحقق القائد من افتراضيه بالرصد وبواسطة كافة انواع الاستطلاع ، حتى بالاستطلاع القتالي . وبعد ان يؤكد افتراضيه ، يدرك تماما سبب هذه الظاهرة ، ويستدل على النتيجـة الملائمـة .

من اجـل تحقيق القياس ، لا يستخدم القائـد الاستدلال الاستقرائي فحسب ، **بل والاستدلال الاستنتاجي** ، وذلك عندما يتحرك الفكر من السبب الافتراضي الى ذلك الواقع ، الذي يجب تعليله . يستخدم الاستنتاج ايضا ، اذا كان يجب ، تحديد طبيعة النتائج الناجمة عنه وفقا للسبب المعروف . « ان **الاستنتاج** هو الاستدلال على صدق قضية او كذبها من صدق قضيـة واحدة او عدة قضايا اخرى او كذبها ، ويقول آخر انه انتقال الفكر من المبادىء الى النتائج »(١) .

يستنتج القائد ، بعد ان يدرك الارتباط الموضوعي لعناصر الموقف المختلفة ، نوايا العدو ، واتجاه وطرق اعماله . تتعلق طرق اعمال قواتنا ، لدرجة كبيرة ،

---

(١) نفس المصدر السابق : ص ٨١ .

بمدى اكتشاف فكرة العدو ، وتحديد تجميعه وامكانياته القتالية . كما أنه يستنتج ايضا النتائج حول طبيعة الاعمال القتالية لقطعاتنا او تشكيلاتنا . وفي هذه الحالة ، تعتبر قوانين ومبادىء وقواعد علم الحرب بمثابة مقدمة عامة ، وكذلك الخبرات المعممة في قيادة القوات . وبعد ان يعرض القائد المبادىء النظامية أو المعارف التجريبية كمقدمة عامة ، ويقارن بها وقائع الموقف الملموس، يستنتج ، آخذا خصائصه بعين الاعتبار ، طبيعة الاعمال القتالية المقبلة . تتجلى هذه النتيجة ، المعللة بشكل موضوعي ملموس ، في فكرة القرار .

عند مراعاة قواعد التفكير المنطقي المحددة ، يمكن بواسطة الاستدلال الاستنتاجي الحصول على النتائج ، التي تتضمن المعرفة الحقيقية . « اذا كانت المقدمات الضرورية صحيحة ، واذا طبقنا قوانين التفكير بشكل صحيح بالنسبة لها ، فلابد وان تتجاوب النتيجة مع الواقع . . . »(١) . تتجلى افضلية الاستدلال الاستنتاجي في صحة نتائجه .

ان مبادىء المنهج الجدلي ، والطرق العقلية العامة للتفكير الصحيح ، تساعد على تأمين اتخاذ القرار المعلل . يصاغ هذا القرار على شكل أمر قتال .

توجد في قرار القائد ، دوما ، عناصر **الافتراح** ، مثلا ، حول قوام تجميع العدو الاساسي ونواياه ، وحول تغيرات شروط الطقس ، وغيرها . ان هـذه الاقتراحات ، كقاعدة ، لا تبقى ثابتة : انها تتعلق بتغيرات الموقف المتناقضة ، التي تتم أثناء سير الاعمال القتالية . تمثل تقديرات واستنتاجات القائد المعرفة الحقيقية نسبيا ، اي المعرفة حول مجموعة ظاهرات وتطورات الاعمال القتالية في الشروط الملموسة الجارية ، في الوقت المحدد للمعركة او العملية . ان قرار وأمر قتال القائد ، اللذين يعبران عن مجموعة الوقائع المحددة في ارتباطاتها واتجاهات تطورها ، ويمثلان نتيجة التحليل الموضوعي للحالة الملموسة ، همـا الدليل بالنسبة لعمل القوات .

بعد دراسة وتقدير الموقف ، يجب على القائد ان يستشف سنن تطورها ،

---

(١) المؤلفات : كارل ماركس وفريدريك انجلس ، المجلد ٢٠ ، ص ٦٢٩ .

وان يعبر عنها بالدقة الممكنة في القرار القتالي . ان معرفة كافة عناصر الموقف ، في علاقاتها السببية ، شرط ضروري لوضع القرار ، الذي يمثل عملية ابداعية ، يلعب فيها **الخيال والحدس** دورا كبيرا .

يعني الخيال انشاء صور جديدة في وعي الانسان . وهو يتم بواسطة اعادة تنظيم التصورات الحسية ومعارف الخبرات المختلفة . ان الخيال مرتبط بشكل وثيق بالتفكير المنطقي ، وهو يتطور واياه آنيا خلال عملية المعرفة . ان اكثر صور الخيال وضوحا تتجاوب مع التطور المنطقي للتفكير . يبرهن على هذا تجريبيا ، علم النفس ، وتؤكده الحياة بما فيها وضع القادة معارفهم في التطبيق .

ان الخيال المبدع المتطور ضروري تماما للقائد ، طالما ان عملية التفكير لتفهم المهمة وتقدير الموقف مرتبطة بالخيال . يسعى القائد الى تخيل صورة المعركة او العملية المخططة في كافة صورها الممكنة : يتنبأ عن الاوضاع القتالية المختلفة ، وهجمات العدو المعاكسة المحتملة واتجاهاتها ، ومواقع النيران الناشطة بشكل مفاجيء ، والتخريبات والخسائر الناجمة عن استخدام اسلحة التدمير الشامل وغيرها . يساعد الخيال على التعبير ، بشكل اوضح ، عن نواحي الموقف القتالي الجوهرية ، والتنبؤ عن اتجاه وطبيعة تطوره . **كتب « لينين » : « من التأمل الخلاق الحي الى الفكر المجرد ، ومن هذا الى النشاط العلمي : هذا هو الاسلوب الديالكتيكي لمعرفة الحقيقة ، لمعرفة الواقع الموضوعي »**(١) .

يلعب الحدس دورا كبيرا في عملية وضع القرار . عرف « الدكتور جميل صليبا » الحدس بقوله : « ان **الحدس** هو طريق المعرفة المباشرة ، او طريق الاطلاع المباشر على موضوع من موضوعات المعرفة الحاضرة في الذهن »(٢) . وقال « ابن سينا » : « ان الحدس سرعة الانتقال من معلوم الى مجهول ، كمن يرى تشكل استنارة القمر عند أحوال قربه وبعده عن الشمس فيحدس انه يستنير من الشمس »(٣).

---

(١) الدفاتر الفلسفية : لينين ، ص ١٤٦ ــ ١٤٧ .

(٢) المنطق : الدكتور جميل صليبا ، منشورات عويدات ، بيروت ــ لبنان ، عام ١٩٦٧ ، ص ٧٠ .

(٣) نفس المصدر السابق : ص ٦٩ .

في الحرب العالمية الثانية ، خاض الالمان حربهم الخاطفة ضد جيوش بلجيكية وهولندية مجندة بسرعة ، وجيش فرنسي لا تنقصه التجهيزات الآلية والمدرعة فحسب ، بل هو مجبر بالاضافة الى ذلك ، لاسباب سياسية ، على ان يقوم في بلجيكا بمناورة تعرضت لكثير من النقد ، فضلا عن انه فوجىء من الناحية الاستراتيجية باتجاه هجوم العدو . ولم يكن هذا الاتجاه الرئيسي ضد منطقة (سيدان) سوى مبادهة هتلر نفسه(١) .

ولقد كتب ((م.ف. فرونزي))* : ((لكي تكون استراتيجيا جيدا ، لابد من صفات خاصة سواء في مجال السياسة المحضة او في مجال العمل العسكري . ان أهم هذه الصفات هي الحدس والقدرة على الامعان في تعقدات الظواهر المحيطة وادراكها ، والتركيز على ما هو اساسي للغاية ووضع الخطة المقررة للصراع والعمل))(٢) .

لا يمكن الا بالاستناد الى التفكير المنطقي ان نعبر عن جوهر الحدس ، وان نحدد بصورة صحيحة مكانه ودوره في معرفة الموقف القتالي ، وفي نشاط القائد المبدع . ان الحدس هو نتاج الخبرة الواسعة والنشاط الفكري الجيد ، وهو ليس طريقة خاصة للنشاط العقلي ، مضادة التفكير المنطقي .

في شروط الاعمال القتالية ، ذات المناورة العالية ، ينمو لدرجة كبيرة دور الحدس المبدع . وان الآلات الحاسبة ـ الالكترونية لا تنوب عن تفكير القائد ، ولا تقلل من قدرته على اتخاذ القرارات البديهية ـ يتعلق تطور هذه القدرة بخبرة القائد القتالية ، وثقافته في التفكير بشكل منطقي .

على هذه الصورة ، ان وضع القرار القتالي ، وتنظيم الاعمال القتالية

---

(١) تاريخ الفنون العسكرية : تأليف الكولونيل شنيد ، ترجمة فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ـ لبنان ، ص ١٠٦ .

(*) م.ف. فرونزي : كان قبل ثورة ١٩١٧ عضو الحزب الاشتراكي الديمقراطي لعمال روسيا . ساهم بنشاط في عمل الحزب ، وفي الاعداد للثورة . وقاد في سنوات الحرب الاهلية الاعمال القتالية بصفته قائدا لقوات الجيش والجبهة . وشغل بعد الحرب الاهلية منصب المفوض السياسي للشؤون الحربية والبحرية وكان قائدا سوفياتيا بارزا .

(٢) المؤلفات المختارة : م.ف. فرونزي ، المجلد ٢ ، ص ١٩٨ .

للقوات ، يقومان على اساس المعرفة العميقة والشاملة للعلاقات الموضوعية ، وظواهر وتطورات الواقع القتالي . تتحقق هذه المعرفة بتفكير القائد المنطقي على اساس المعطيات الحسية والتجريبية مع استخدام كافة الطرق الحديثة ، بما فيها لطرق الرياضية ، لمعالجتها واستخلاص النتائج . ان القائد ، مسترشدا بمبادىء المعرفة المنهجية العلمية ، ومستخدما الطرق العقلية العامة ، يستخلص المعطيات والمعلومات الحقيقية ، ويستشف جوهر علاقات الموقف الموضوعية .

لكي نقدر الموقف القتالي بصورة صحيحة ، لا بد من التفكير بصورة منهجية علمية . ليس التفكير المنهجي العلمي هبة طبيعية ، بل هو نتيجة التفكير المنطقي ، والبحث الطويل والتأمل العميق ، والاجتهاد والثبات في العزم ، والصبر والمعاناة والمكابدة .

* * *

الحقيقة في العلم العسكري والتطبيق

ترتبط نظرية فن الحرب وتطبيقاتها ارتباطا وثيقا بالمعرفة التي تتم سواء في اعمال البحث العلمي ، والعسكري ـ النظري ، او في النشاط اليومي لعناصر الجيش والاسطول ، لا سيما نشاط رؤساء هيئات الاركان وضباطها .

ان هدف المعرفة ـ هو تثبيت الحقيقة ، أي التعبير تعبيرا واعيا وصحيحا عن مسائل الواقع الموضوعي وعن ظواهره .

ان اكتشاف الحقيقة ـ هو عملية ديالكتيكية ، تتميز بالتعقيد والتناقض . وان الحقيقة نفسها متعددة الجوانب . ان كل حقيقة هي حقيقة موضوعية ، ملموسة ، تمثل الوحدة الديالكتيكية للحالات النسبية والمطلقة في المعرفة .

ان مبادىء الفلسفة الماركسية ـ اللينينية حول الحقيقة الموضوعية والمطلقة، والنسبية ، والملموسة ، وحول التطبيق (الممارسة) مثل مقاييس الحقيقة ، لها اهمية منهجية علمية كبرى .

١ ـ الحقيقة الموضوعية في العلم العسكري وتطبيقاته :

ان نظرية معرفة المادية الديالكتيكية تبرهن على **أن العلم ـ هو مجموعة القوانين ، والمفاهيم والنظريات التي تعكس بصورة متساوية الواقع الحقيقي ، والتي تمتلك بفضل هذا اهمية عملية (تطبيقية) .**

يفهم من ((الحقيقة الموضوعية)) مضمون المعارف الذي يتفق والواقع الموضوعي ولا يتعلق برغبات الناس وارادتهم .

ولئن كانت الحقيقة موضوعية من حيث المضمون ، فانها من حيث الشكل

ذاتية ، طالما انها نتيجة لنشاط ادراك الناس . **ان الحقيقة ، كصورة للادراك ، توجد في الوعي الانساني وتتجلى في المفاهيم والآراء والاستنتاجات ، والنظريات واشكال المعرفة الاخرى ، التي تعكس الواقع الموضوعي ذاته ، الكائن خارجنا بصرف النظر عن وعينا .**

ان الاهمية المنهجية العلمية **« مبدأ التقدير الموضوعي »** عظيمة بالنسبة لاي علم ، وللعلم العسكري ضمنا ، وكذلك بالنسبة للنشاط العملي للملاكات العسكرية . ان النشاط الناجح للرؤساء العسكريين على اختلاف رتبهم لا يتحقق الا عند تنفيذ هذا المطلب المنهجي العلمي غير المقيد بالشروط . وان خطط الاعمال القتالية للقوات وقرارات القادة قد لا تكون فعالة الا في تلك الحالة ، عندما تقوم على اساس التقدير الصحيح للموقف ، وتتجاوب بصورة كاملة مع القوى والوسائط المتوفرة .

ان خرق مبدأ التقدير الموضوعي ، وتقدير الموقف تقديرا سليما وصحيحا ، يؤدي حتما الى اخفاقات واخطاء جديدة في التقدير . وكلما كان مستوى القيادة العسكرية اعلى ، كلما ازداد خطر النتيجة ، التي يؤدي اليها انتهاك هذا المبدأ ومخالفته . ومن المعلوم ، ان كل عاقبة خطيرة بالنسبة لقواتنا المسلحة ولكل البلاد كانت ناجمة عن الاخطاء في التقدير وعن النظرة الذاتية في تقدير الموقف السياسي والاستراتيجي قبيل عدوان المانيا الهتلرية على الاتحاد السوفياتي ، وقد وقعت اخطاء كبيرة ذات طابع ذاتي اثناء تقدير الموقف وتخطيط الاعمال القتالية في صيف عام « ١٩٤٢ » في القطاع الجنوبي من الجبهة السوفياتية ــ الالمانيـة .

في شروط الحرب الصاروخية ــ النووية ، يمكن ان تصبح عواقب الاخطاء في التقدير اكثر خطرا وتدميرا بما لا يقاس ومما لا سبيل الى مقارنته بتدمير الحروب الماضية لذلك لا بد من الاقدام على كل شيء من اجل تلافيها .

ان الصراع للتغلب على نتائج عبادة الشخصية ، وضد مظاهر الذاتية ومذهب الارادة في كافة مستويات القيادة الحزبية والحكومية يساعد ايضا على

حل هذه المهمة ، ولا بد من تربية ملاكاتنا بروح الاحترام للحقيقة الموضوعية ، وبروح السعي الحثيث اليها ، وعدم التسامح مع الذاتية .

في المجتمع الطبقي ــ المتناقض تمتلك الذاتية جذورا اجتماعية عميقة ، وقبل اي شيء جذورا طبقية . ان البورجوازية كطبقة محكوم عليها بالفناء تاريخيا لها مصلحة في تقدير الظواهر الاجتماعية تقديرا موضوعيا ، لذلك نرى الذاتية منتشرة في البلدان الراسمالية ، لا سيما في عصر الامبريالية . انها تحصل على تعليلها الفلسفي من المثالية بصيغتها المتطرفة : **مذهب الارادة** . تستخدم المثالية الذاتية وهذه الارادة من اجل التعليل الايديولوجي للعدوان الامبريالي وهما مصدران من مصادر المغامرات السياسية والعسكرية .

ان سياسة الامبريالية الامريكية العدوانية واستراتيجيتها مشبعتان بروح المغامرة . وهذا يبدو بكل وضوح في الحرب الاجرامية على الشعب الفيتنامي .

لا يعني مذهب الارادة ، والذاتية والمغامرة في سياسة الامبريالية وفي استراتيجيتها ، انها ضعيفة من الناحية العسكرية ، وان العلم العسكري البورجوازي محروم خال من الموضوعية . ان قادة القوات المسلحة في الدول الامبريالية ملزمون بمطابقة النظريات والمذاهب العسكرية(١) مع متطلبات التطبيق القتالي التي لا تقبل جدلا . ان خطط الامبرياليين السياسية والعسكرية تأخذ بعين الاعتبار التغيرات الحاصلة في العالم ، مع انهم مشبعون بالعقيدة التي تنكر القوانين الموضوعية .

لا توجد في المجتمع الاشتراكي جذور طبقية للذاتية . الا ان النشاط النظري والعملي للملاكات في المجتمع الاشتراكي بما فيها الملاكات العسكرية ، لا يأمن على كل حال من ظهور الذاتية وان هذا يتوضح قبل كل شيء بجذور نظرية المعرفة في الذاتية .

وكما هو معلوم : **ان تطور المعرفة معقد ومتناقض ، وهو يتميز بالتعاون**

---

(١) المذهب العسكري : يستخدم ايضا تعبير « العقيدة العسكرية » بدلا من المذهب العسكري .

الجدلي للذات « الانسان العارف او المدرك » والموضوع « مادة او ظاهرة البحث » . وفي هذا التعاون تكون الاسبقية ملكا للموضوعي واذا تم خرق الترابط « التناسب » الواقعي للموضوعي والذاتي في عملية المعرفة والمبالغة فيه ، فان هذا لا بد من ان يؤدي الى الذاتية والى الانعكاس المشوه للواقع « الحقيقة » وبالتالي ، فان اطلاق الناحية الذاتية في عملية المعرفة ونتائجها سوف يشكل اساس نظرية المعرفة الذاتية ونظرا لتعقد وتناقض النسب بين الذاتي والموضوعي ليس الانعكاس الصحيح ممكنا فحسب ، بل والانعكاس الخاطىء والمشوه للواقع « الحقيقة » . وان الناس ليسوا مضمونين من هذا حتى في المجتمع الاشتراكي .

وبعد ، لا توجد للذاتية جذور علاقات طبقية في المجتمع الاشتراكي . الا انه على الرغم من ان الاشتراكية ما زالت تظهر رواسب للراسمالية في وعي وسلوك الناس ، فان رواسب الماضي هذه ، يمكن ان تظهرا ايضا في صورة الذاتيـــة .

في المجتمع الاشتراكي لا توجد تناقضات فيما بين المصالح الشخصية والمصالح الاجتماعية . ان المصلحة الاجتماعية والشخصية المفهومة بشكل صحيح تذكي الطموح ، لدى العمال في كافة مجالات العمل بما فيه المجـال العسكري ، الى الحقيقة الموضوعية . الا انه توجد ، مع الاسف ، حالات ايضا ، تفهم فيها المصلحة الشخصية او الجماعية بشكل غير صحيح لذلك تختفي تماما في بعض الاحيان او تظهر بشكل محدود هذه او تلك الظواهر ويرتكب الكذب المقصود . وتوجد حالات يبالغ فيها بعض القادة ، انطلاقا من مصالحهم الانانية ، في تقاريرهم الى القادة الاقدمين بنجاحاتهم ، ويخفون الاخطاء ، ويقللون من الاخفاقات .

كذلك ، ان التفسير الخاطىء للوقائع في المؤلفات العسكرية ــ التاريخية ، أمر معروف . وان ظروف عبادة الشخصية انشات في حينها الشروط الملائمة لاي نوع من انواع المداهنين ، وحتى المهتمين بالعلم منهم ، ففي خلال سعيهم الى ارضاء شخصية واحدة بشتى الوسائل ، راحوا يمجدون دورها في مجرى

الحرب ومصيرها وعند دراسة العمليات لم تنكشف الصعوبات الواقعية وأهملت الاسباب الحقيقية لاخفاقات قواتنا . وكان لا بد لذلك من ان يؤثر تأثيرا سلبيا على تطور العلم العسكري السوفياتي .

ان تربية عناصر الملاكات العسكرية وتوعيتها بروح الايديولوجية الماركسية ــ اللينينية وترسيخ النزاهة ، والاستقامة ، والشعور بمسؤولية العمل المكلفة به ، والتغلب على كافة رواسب الماضي في الوعي والسلوك ــ كل هذا هو اهم وسيلة لتلافي الذاتيــة .

كذلك ان الوسيلة الفعالة للصراع ضد ظهور الذاتية هي الانتقاد والانتقاد الذاتي . والانتقاد والانتقاد الذاتي يعنيان السعي الى التقدير الحقيقي . انهما يصونان من تزين الواقع ، والمغالاة في المنجزات ، واخفاء العيوب ، ومن السكوت عن الاخطاء المرتكبة .

اكتسبت الموضوعية غير المقيدة بالشروط في تقدير الموقف ، والانتقــاد والانتقاد الذاتي ، اهمية خاصة في الظروف الحديثة . ولا يجوز ان ننسى ان الامبرياليين يستطيعون ان يشعلوا حرب ابادة صاروخية ــ نووية ضد الاتحاد السوفياتي وبلدان المعسكر الاشتراكي الاخرى . لذلك من الضروري بصورة حيوية ان تكون قواتنا المسلحة مستعدة في اية لحظة للانتقال بسرعة الى الاعمال القتالية ضد المعتدين ان اخفاء العيوب والاخطاء ، وخصوصا التمويه في مجال البناء العسكري والتدريب القتالي ، يستطيعان ان يسببا ضررا لا يمكن اصلاحه .

يمكن الكشف عن النواقص وازالتها بنجاح ، في الوضع الذي تشجع فيه الحقيقة بكل الوسائل مهما كانت مزعجة ولا يبرر الخداع مهما كانت الاسباب حسنة المقصد ، وتشجب اعمال المذنبين شجبا حازما ويعاقبون عليها . **ان واجب كل قائد هو ان يتيح الظروف التي لا يخشى فيها المرؤوسون من قول الصدق ، والدفاع عن الحقيقــة ، ويشعرون بتاييــد رغباتهم لتصحيح العيــوب** . وهكذا يتصرف القادة الذين يتمتعون بصفات عالية .

ان النزاهة والاستقامة هما السببان الراهنان لحياة الناس السوفياتيين .

ان تربية المقاتلين بروح هذه المبادىء السامية هي مسألة ذات اهمية عظمى . ينبغي ان تنمى النزاهة ، والاستقامة ، بكل نظام الحياة العسكرية . وهنا يقوم القائد الاقدم من حيث القدرة بدور حاسم .

٢ — ديالكتيك الحقيقة المطلقة ، والنسبية الملموسة في العمل العسكري :

ان مسألة الطابع الموضوعي للمعارف متصلة اتصالا وثيقا بمشكلة **تناسب الحقيقة المطلقة والنسبية** . وجوهر هذه المشكلة يتلخص من دراسة الواقع في ان « الناس يواجهون تناقضات : فمن جهة ، امامهم مسألة معرفة نظام الكون بصورة مستفيضة في علاقاته الكلية ، ومن جهة اخرى ، لا تسمح لهم طبيعتهم الخاصة ، مثلما لا تسمح ايضا طبيعة نظام الكون بحل هذه المسألة حلا كاملا في وقت ما ... ان هذا التناقض هو الذراع الرئيسية لكل التقدم العقلي ، وهو يحل يوميا بالتقدم المتواصل لتطور الانسانية ... » ان هذا التناقض خاص بنشاط ادراك الناس في اي مجال ، حتى في مجال العمل العسكري . وعلاوة على ذلك ، فان هذا التناقض يبدو حادا للغاية في النظرية العسكرية وتطبيقها .

وفي سعينا الى المعرفة العميقة والكاملة لكافة نواحي العمل العسكري ، لا نستطيع ابدا بلوغ الغاية المطلوبة ، بصورة نهائية . ان النسبة الحتمية لمعارفنا متوقفة على ان الحرب بصورة عامة والصراع المسلح بصورة خاصة يتميزان بتعقد خارق وتعدد نواحي العلاقات والتناقضات .

ان جوهرهما وقوانينهما غامضة ، وهي تدرك من مجرى تطور المعرفة الطويل والمعقد والمتناقض . **ان معارفنا لكل ظرف معلوم محدودة بشروط تاريخية — ملموسة ، وهي تتعلق بمستوى التطبيق الاجتماعي والعلم .**

ان مهمة العلم العسكري هي الكشف عن طابع الحرب المقبلة وسننها . ولا يجوز حلها فقط على اساس تعميم السابق والحالي للعمل العسكري ، بل لا بد من معرفة اتجاهات تطوره والتنبؤ عن العمل العسكري المقبل باقصى ما يمكن من الدقة والكمال . ان القصور (الضيق) الحتمي في تطبيق العمل العسكري في السلم ، يضيف كذلك عقبات جدية الى تطور العلم العسكري .

بالنظر الى هذه الاسباب والظروف **جميعا ، يمثل العلم العسكري في كل مرحلة من مراحله التاريخية معرفة محدودة ونسبية لقوانين الصراع المسلح . الا ان هذا لا يعني انه لا يتضمن معارف يقينية اي عناصر الحقيقة التامة . ان العلم العسكري يمثل في أية مرحلة مجموعة من الحقائق النسبية والمطلقة .** وينعكس في ديالكتيك الحقيقة النسبية المطلقة ، ما يتسم به من تناقض وتعقيد تقريب معلوماتنا من المعرفة الموضوعية ، تقريبا عميقا متعدد الجوانب .

ان فهم ديالكتيك الحقيقة النسبية المطلقة هو شرط هام لحل المشكلات المنهجية العلمية للنظرية العسكرية السوفياتية وتطبيقها .

ولا تجوز مقابلة الحقيقة المطلقة بالحقيقة النسبية في العلم العسكري السوفياتي ، اذ ان الحقيقة الموضوعية تتجلى في هذه الحقيقة او تلك ، بدقـة وكمال متفاوتين . **ان الحقيقة المطلقة هي الحقيقة الموضوعية بكل كمالها وثباتها ، انها لا تتغير في مجرى المعرفة المقبلة وهي تمثل الحقيقة النهائية أو الختامية . ان الحقيقة النسبية هي المعرفة الموضوعية ، التي لا تعطي على كل حال تعبيرا كاملا ووافيا عن الموضوع ،** والتي تتضمن عناصر خاضعة للتغير ، والتدقيق والتعميق او استبدالها بعناصر جديدة في عملية تطور المعرفة المقبل .

ان ديالكتيك الحقيقة المطلقة والنسبية قد صاغها لينين بدقة محكمة ، كما يلي : ((... من مجموع الحقائق النسبية تتكون أثناء تطورها الحقيقـة المطلقة ... وفي كل حقيقة علمية ، بصرف النظر عن نسبيتها ، ثمـة عنصر حقيقة مطلقة ...))(١) . ان هذا يعني ان اي علم ، بما فيه العلم العسكري ، يتطور بتجمع الحقائق النسبية . الا ان كل حقيقة نسبية تحتوي على عناصر حقيقية مطلقة ، ان عناصر الحقيقة المطلقة تصبح اكثر فأكثر في مجرى تطور العلم السوفياتي العسكري ، ويتغير التناسب بين حقائقه النسبية والمطلقة ، وان الاتجاه العام هو ازدياد المعارف المطلقة . لا يوجد على كل حال حدود للمعرفة . ان الحركة من المعرفة النسبية الى المعرفة المطلقة للحرب بصـورة عامة ، والصراع المسلح بصورة خاصة ، ونواحيهما وعلاقاتهما وقوانينهما المختلفة:

---

(١) ف.ا. لينين : المؤلفات الكاملة ــ المجلد ١٨ ــ الصفحة ٣٢١ .

هي العملية المستمرة لتوسيع ، وتعميق ، وتدقيق معارفنا ، التي قدر عليها ان تستمر ما دام العمل العسكري موجودا .

يتطور العلم العسكري السوفياتي باستمرار . ولقد اثر التقدم العلمي — التكنولوجي العاصف والثورة العميقة في العمل العسكري وما زالا يؤثران عليه تأثيرا عظيما .

ان الاتجاه العام لتطور العلم العسكري هو تدقيق ، واغناء مفاهيمه التقليدية وتعيين سنن « شرعات » الصراع المسلح التي اصبحت معلومة بمقتضى الشروط الجديدة . ان هذا الاتجاه لتقدم العلم العسكري تناول بشكل من الاشكال كافة نواحي العمل العسكري ، ووسع لدرجة كبيرة معارفنا وعمقها .

في فترة التطور الثوري للعلم ، والتحطيم الجذري للمفاهيم المالوفة ، وظهور المفاهيم الجديدة ، يمكن ان يظهر هذه او تلك الناحية من النواحي الحقيقية ، او هذه او تلك المرحلة من مراحل المعرفة الامر الذي يؤدي الى اخطاء ذات طابع عقائدي جامد او متجدد كاذب .

ان جذرا واحدا من جذور الروح المذهبية الجامدة « التعصب للمبدأ » هو المبالغة المفرطة للحالة المطلقة في حقائق العلم . ان العقائديين الجامدين الحديثين لا يفهمون « او لا يريدون ان يفهموا » اعماق الثورة الحاصلة في العمل العسكري في الوقت الحاضر ، ويعلنون عن المبادىء التي هي في حقيقة الامر نسبية ، انها حقائق مطلقة .

لا يجوز ونحن نقود الصراع ضد الروح العقائدية الجامدة في النظرية العسكرية وتطبيقها ان ننسى تطرفا آخر وهو التجديد الكاذب او تخطيط الخطط الفارغة ، الذي يبدو احيانا في تقديم مبادىء ينقصها التفكير العميق والتعليل الشامل وفي استنتاج استنتاجات عاجلة للغاية ، وفي الانتقال بسهولة من بعض الآراء الى نقيضها . وما هذا الا كظهور مذهب نسبية المعرفة في العمل العسكري .

ان جذور نظرية المعرفة بالنسبة لمذهب نسبية المعرفة هي « فيتشيزم »[1] نسبية الحقائق قبل انكار عناصر المعرف المطلقة فيها ، وان هذا يؤدي منطقيا الى انكار الحقيقة الموضوعية . ان مذهب نسبية المعرفة هو السمة المميزة للعديد من نزعات الفلسفية البورجوازية الحديثة ، التي تؤثر على العلم العسكري البورجوازي .

ان الفهم العميق لديالكتيك الحقيقة المطلقة والنسبية شرط ضروري للصراع الناجح ضد ظهور الروح العقائدية الجامدة ، ومذهب نسبية المعرفة والتجديد الكاذب في كافة المجالات ، بما فيها مجال النظرية العسكرية وتطبيقها .

يتطور العلم العسكري على الدوام بصورة ديالكتيكية عن طريق تحديد الحقائق النسبية ، وعن طريق تراكم عناصر المعارف المطلقة فيها ، ويتم التقرب في نفس الوقت اكثر فاكثر من المعرفة المطلقة لمختلف نواحي وسنن « شرعات » العمل العسكري .

ان ديالكتيكية الحقيقة المطلقة والنسبية تساعد على تفهم طبيعة التتابع والتجديد في العلم العسكري وتطبيقاته « لا يمكن بدون التتابع (التعاقب ، الترابط) الاصيل ان يتطور اي علم ، بما فيه العلم العسكري . تشكل عناصر المعرفة المطلقة الدائمة اساس نظرية معرفة التتابع . وهي تحقق ، اثناء الانتقال من النظريات القديمة الى الجديدة ، الترابط بين هذه النظريات كمراحل متتابعة ضرورية في تطور العلم » . ومن المعلوم ان العلم العسكري السوفياتي نشأ على اساس المراجعة الفاحصة الناقدة ذات الاسلوب الايجابي ولما قدمته النظرية العسكرية البورجوازية وما قبلها . وتستند كل مرحلة جديدة بدورها ، في تطور العلم العسكري السوفياتي ، الى المرحلة السابقة . ان الطابع المبدع للعلم العسكري السوفياتي يتعلق باساسه المنهجي العلمي الذي هو الفلسفة الثورية المبدعة . وان هذه القرينة تحدد تفوق العلم العسكري السوفياتي على العلم العسكري البورجوازي .

---

(١) فيتيشزم : فتيشية ، عبادة الرقي .

ان لمبدأ نظرية معرفة الديالكتيكية المادية حول **الحقيقة الملموسة** اهمية منهجية علمية بالنسبة الى العلم العسكري وتطبيقاته . ويقول « ف.ا. لينين » : « ان مبدأ الديالكتيك الاساسي هو انه لا توجد حقيقة مجردة . ان الحقيقة دوما ملموسة ... »(١) .

ان اية حقيقة هي حقيقة ملموسة ، لان الواقع الذي تنعكس فيه ، هو دائما واقع ملموس ، وهو يمثل الوحدة الديالكتيكية للعام والخاص والفردي . ينعكس في حقائق العلم قبل اي شيء كل ما هو عام في الوقائع والظواهر . الا ان هذا العام في الواقع الفعلي لا يوجد ابدا الى جانب الخاص والفردي اللذين يظهر فيهما بصورة شاذة . ان شذوذ ظهور العام في الخاص والفردي يتوقف على وقائع وظواهر الكون المتعددة الجوانب وغير المحدودة ، وعلى ارتباطها المتبادل الشامل المستمر وتطورها . لذلك ، في الآراء والنظريات اليقينية ، ينبغي ان تنعكس لاقصى درجة هذه الحركية والتغيرات ، والظواهر المتعددة الجوانب ، وشذوذ ظهور العام في الشروط الملموسة المعلومة .

وفي الواقع ، لاي سبب نستعمل الحقائق النسبية كحقائق اصلية يقينية ، ونعتمد عليها بعزم في النشاط النظري والتطبيقي ؟ يجري هذا لان كل حقيقة نسبية هي نتيجة انعكاس الظواهر الملموسة ، وهي تستخدم مع الاخذ بعين الاعتبار شروط استعمالها ومكانها ومجالها .

ان المبادىء الموضوعة في فترة ما قبل الحرب من قبل العلم العسكري السوفياتي حول دور انواع القوات المسلحة وصنوف القوات كانت صحيحة بالكامل بالنسبة لذلك الزمن . ان الدور الرئيسي في الصراع المسلح وقع على عاتق القوات البرية ، ولقد حددت استنتاجات العلم العسكري السوفياتي من حيث الاساس الاتجاه الصحيح للبناء العسكري في تلك الفترة ، رغم عدم التمكن حينذاك من تدارك بعض الاخطاء في التقدير وبخاصة في تنظيم القوات المدرعة ، غير ان بعض المبادىء ، التي كانت صحيحة في الماضي ، لم يعد في الامكان استخدامها في الشروط الحديثة ، لانها لا تتجاوب وطبيعة الحرب المقبلة .

---

(١) ف.ا. لينين : المؤلفات الكاملة ــ المجلد ٨ ــ الصفحة ٤٠٠ .

تجد منجزات العلم العسكري السوفياتي وكل العمل العسكري انعكاسها في التغيرات الدورية للانظمة والكتب التدريبية العسكرية . ان تبديل بعض مبادىء الانظمة بغيرها يعني ، كقاعدة ، ان المبادىء التي كانت صحيحة في حينها توقفت عن التجاوب مع مستوى التطور المتحقق في العمل العسكري وتمثل المبادىء الجديدة للانظمة والكتب التدريبية العسكرية حقائق ملموسة ، تعكس وضع العمل العسكري في مرحلة التطور المعلومة .

ليست الحقائق النسبية ملموسة فحسب ، بل وان الحقائق المطلقة ملموسة ايضا ، طالما انها مفعمة كذلك بالمضمون التاريخي الملموس وتبدو متنوعة في مجالات الواقع المختلفة وفي الظروف المتغيرة .

ان المبدأ اللينيني ، على سبيل المثال ، « الحرب هي استمرار للسياسة بالوسائط الاخرى ، أي بوسائل العنف » يمثل حقيقة دامغة . ان لهذه الحقيقة مضمونا تاريخيا — ملموسا ومحددا .

ان الموضوعية الملموسة لاية حقيقة تبرز متطلبات محددة للمعرفة وهي اهم مبدأ منهجي علمي من مبادىء العلم العسكري وتطبيقاته . ويتغير العمل العسكري بسرعة خارقة للعادة ، وفيه يتعلق كل شيء ، بالشروط ، والمكان والزمن اكثر مما يتعلق بغيرها . يتميز موقف كل معركة أو عملية بشذوذ كبير ، وهو لا يتكرر بحذافيره ابدا . ومن اجل تنظيم الاعمال القتالية للقوات بصورة صحيحة ، **ينبغي على كل قائد ان ياخذ بعين الاعتبار درجة قصوى شذوذ الموقف الملموس ، وان يستخدم فيه بمهارة مبادىء فن الحرب العامة ومبادىء العلم العسكري ، ومتطلبات الانظمة والكتب التدريبية** . ان فن الحرب لا يقبل التقليد المتبع . **ان النجاح في الصراع المسلح لا يرافق الا القادة العسكريين ، الذين يعملون بشكل صحيح ، مدركين الموقف القتالي الملموس ، أي انهم يستخدمون بمهارة المبادىء المنهجية العلمية لتعيين الحقيقة بصورة ملموسة** . ولذلك فان فن الحرب هو فن وليس حرفة ، الامر الذي يتطلب استخداما مبدعا للمعارف العسكرية — النظرية في التطبيق ، وفي مجرى قيادة الصراع المسلح .

في الحرب الصاروخية ــ النووية المحتملة ، سوف تتميز الاعمال القتالية بلا ريب بسرعة تغير « تطور » لا مثيل لها . في مثل هذه الظروف يتطلب من جميع القادة العسكريين تقديرا مستمرا ودقيقا للموقف المتغير بسرعة ، ومبادرة خلاقة ، واستقلالا جريئا وسديدا في اتخاذ القرارات ، التي ينبغي ان تتجاوب تجاوبا كاملا مع الشروط الملموسة للمعركة ، والموقعة والعملية . لذلك من المهم جدا ، حتى في اوقات السلم ، استخدام جميع الامكانات من اجل تربية ملاك القادة على المبادرة والجرأة بصورة خلاقة في الموقف القتالي الملموس .

يتطلب مبدأ الموضوعيــة الملموسة للحقيقة طريقــة تاريخية ــ ملموسة للاقبال على دراسة الحرب والصراع المسلح ، والعمل العسكري . ويفترض ذلك اولا ، دراسة شاملة وعميقة للحررب والعمل العسكري في ارتباطهما بالظواهر الاخرى وفي تطورهما .

عند اتباع طريقة الاقبال التاريخية الملموسة ، لا بد ، ثانيا ، من دراسة ظاهرتي الحرب والعمل العسكري في الشروط التاريخية المحددة ، مع الاخــذ بعين الاعتبار وقت نشوئها ووجودهما ، وكذلك :تجاهات وسنن « شرعات » التطور المقبل .

من الضروري ، « ثالثا » ، أن نستند الى أن العمل العسكري يتطور ويتغير باستمرار . لذلك ينبغي ان تتطور وتتغير ايضا مفاهيم العلم العسكري ، وان تمتلىء بمضون جديد . لا يجوز ان نعكس الواقع المتغير بصورة متشابهة ، وان نحدد الحقيقة الموضوعيــة بكل موضوعيتها الملموسة ، بدون مرونة المفاهيم وقابليتها للحركة والتغير . ان مرونة مفاهيم العلم العسكري ضرورية للغاية من اجل الفهم العميق لظواهر الثورة الحديثة المعقدة في العمل العسكري .

ان تجاهل او خرق مبدأ الموضوعية الملموسة للحقيقة يؤدي الى المذهبية الجامدة . وهكذا في زمن عبادة الشخصية اعتبر مبدأ العوامل النافذة باستمرار ، والمحددة مجرى الحرب ، ومصيرها كصيغة كاملة للقانون الشامل ، الذي زعموا انه يقرر النصر في الحروب بصرف النظر عن الشروط التاريخية ــ الملموسة . ان كل ما لم تشمله هذه الصيغة ، اعتبر ثانويا ، غير جدير بالدراسة الجدية من

قبل العلم العسكري ، لا سيما وان دور المفاجأة في الحرب لم يستخف به تماما ، وان الدور الجديد للعلم والتقدم العلمي ـ التكنلوجي في تعزيز قدرة الدولة القتالية ، في مجرى الحروب الحديثة ومصيرها ، لم يؤخذ بعين الاعتبار ولم يدرس نوعيا . وان مبدأ الموضوعية الملموسة للحقيقة يتطلب ان نأخذ بعين الاعتبار التغيرات في العمل العسكري وان لا نفرض المبادىء ، المعبرة بشكل صحيح عن مرحلة معينة وتطبيقها الا اذا توقفت عن التجاوب مع الشروط الجديدة .

لا يمكن تقدير استنتاجات العلم العسكري بشكل صحيح ، واستبعاد المذهبية الجامدة والتقليد المتبع ، ومذهب نسبية المعرفة والذاتية ، الا بالاستناد الى ديالكتيك الحقيقة المطلقة ، والنسبية الملموسة .

٣ ـ التطبيق كمقياس للحقيقة في العمل العسكري :

ان بحث دور التطبيق كمقياس الحقيقة هو الانجاز المنطقي لتحليل مسائل الحقيقة في العمل العسكري . **يفهم من مقياس الحقيقة انه وسيلة لاختبار صحة المعارف ، وفصل الحقيقة عن الاخطاء .**

قبل الماركسية اقترحت مقاييس مختلفة لتحديد حقيقة المعارف . برز ، مثلا ، **مقياس الوضوح ((البداهة))** : اعتبر حقيقيا في المعارف كل ما كان يبدو بينا وجليا وواضحا جدا ، لا يجوز انكاره . الا أن هذا المقياس غير موثوق به بل انه مضلل : اذ ان ما يبدو بينا وواضحا لبعض الناس ، يبدو غير واضح وقابلا للجدل في نظر الاخرين .

ولقد ظهر ايضا بطلان **مقياس الدلالة العامة** ، الذي كان يفرض ان نعتبر حقيقيا كل ما اتفق عليه الجميع او غالبية البشر . وكثيرا ما كان يصدف ان افكار (تصورات) غالبية الناس المتخذة كأفكار (تصورات) حقيقية ، كانت في الواقع خاطئة . في تطور كل علم ، بما فيه العلم العسكري ، ان المبادىء الجديدة ، محطمة وجهات النظر المستقرة التي لم تعد تتجاوب مع الواقع ، لا يعترف بها في بداية الامر الا دائرة صغيرة من العلماء ، ولا يتم الاعتراف الكامل الا مع مضي الزمن .

أشارت الماركسية الى أن **مقياس الحقيقة ينبغي أن يكون مستقلا عن نتيجة المعرفة ، وعن الحقيقة** ، لذلك لا يجوز البحث عنه في المعارف نفسها . وما دام تجاوب المعارف مع الواقع الموضوعي هو ايضا حقيقة ، فان مقياسها لا يمكن ان يخدم الا التطبيق . وفي عملية النشاط التطبيقي للبشر تعطي المعارف الحقيقية تلك النتيجة ، التي تنتظر منها ، اما بطلان المعارف الخاطئة ، والكاذبة فانه يكتشف عاجلا أم آجلا لسبب بسيط ، هو انها لا تتجاوب مع الواقع . وقصارى القول ، **اذا كانت النظرية تستخدم بنجاح في التطبيق فان هذا يعني أنهـا حقيقية .**

ان دور التطبيق ، بما فيه التطبيق العسكري ، كمقياس للحقيقة ، يتوقف على الاهمية المقررة التي يختص بها تماما في المعرفة وفي تطور العلم . يضع التطبيق العسكري ــ اهداف المعرفة ومهامها العسكرية ـ النظرية . ان المتطلبات التطبيقية لتدريب القوات المسلحة واستخدامها استدعت بالذات احياء العلم العسكري . وفضلا عن هذا ، فان التطبيق العسكري المتغير تاريخيا يبدو أساسا وحافزا لتطور المعرفة العسكرية ــ النظرية : انه لا يعطي الا المادة الضرورية للتحليل العلمي ، والتعميمات والاستنتاجات ، وهو يرافق كل تطور المعرفة في مرحلتها الشعورية « الحسية » والمنطقية . على اساس تحليل وتطبيق البناء العسكري والصراع المسلح ودراستها ، تنشأ مفاهيم جديدة وتتطـور النظرية العسكرية كلهـا .

يتألف التطبيق العسكري من نوعين من نشاط البشر ، غير متساويي القيمة من حيث طبيعته ودوره وهما : الصراع المسلح والتطبيق وقت السلم . يشمل التطبيق وقت السلم كل نشاط البشر في القوات المسلحة . وهنا يدخل البناء العسكري ومشاريع القوات ومشاريع القيادة والاركان ، وانواع التدريب القتالي والعملياتي الاخرى للقوات وهيئات الاركان ، والتدريب السياسي للافراد ، وتسليح وتجهيز القوات المادي الفني ، وانشاء وتحسين وسائط الصراع المسلح ، واختبارها ، ومشاريع البحوث الخاصة والتجريبية ، والتجارب والبحـوث الرياضية للظواهر العسكرية .

ان للتطبيق باعتباره مقياسا للحقيقة في العمل العسكري وظيفته الظاهرة بوضوح . وهو يتلخص في ان الموضوعية الملموسة لمبادىء العلم العسكري لا تختبر الا في الحرب ، وقبل اي شيء في الصراع المسلح ، وان الحكم النهائي يصدر على تلك الاتجاهات في بناء وتدريب القوات المسلحة ، التي اعتمدت وقت السلم على اساس استنتاجات النظرية العسكرية . غير ان التسليح والعتاد الحربي يتطوران بعد انتهاء الحرب في الفترة السلمية لحياة الدولة ، ويستدعي هذا ضرورة التغيرات الملائمة في تنظيم القوات وطرق الاعمال القتالية . ولكن لا يبدو ممكنا في الفترة السلمية التحقق من المبادىء الجديدة للنظرية العسكرية في الموقف القتالي الحقيقي . لذلك فان بحاثة العمل العسكري مرغمون على التقيد بالتطبيق وقت السلم وبالتجربة المعممة للحروب الماضية .

ولتطبيق « ممارسة الصراع المسلح لا بد من الاقبال بصورة شاملة وبروح النقد على مجموعة العوامل ، التي توجب النصر او الهزيمة في المعركة ، والعملية ، والحملة او الحرب بصورة عامة ، على ان يقدر هذا التطبيق تقديرا موضوعيا ملموسا . وينبغي الا ندرس بصورة مفصلة وبغير محاباة اعمال قواتنا القتالية فحسب بل واعمال العدو ايضا ومن المهم ان ندرس ونعمم كل تجربة الاعمال القتالية وليس المعارك والعمليات المستقلة « الكلاسيكية »(١) فحسب ، وفي هذا الشرط فقط ، يبدو ممكنا اعطاء التقدير الموضوعي لاعمال الطرفين ، والتحقق من صحة او خطأ المبادىء العسكرية ـ النظرية .

في الشروط الحديثة يكتسب الحل الصحيح للمسالة اهمية عظمى حول المدى الذي يمكن فيه لتجربة الحروب الماضية وكذلك لممارسة بناء وتدريب القوات في الشروط السلمية ، ان يصلحا اساسا لوضع نظرية عسكرية ذات دقة كافية ، تكشف طابع الحرب العالمية الجديدة المحتملة ، وتصلح اساسا لوضع اكثر الطرق فعالية لخوض الصراع المسلح . **ينطلق العلم العسكري السوفياتي من انه لا يجوز ان نتجاهل تجربة الحروب الماضية ، وخاصة الحرب**

---

(١) كلاسيكي : نموذجي .

الوطنية العظمى والحرب العالمية الثانية . كما انه لا يجوز ان نغالي في تقدير هذه التجربة .

وفي التطور الناجح للعلم العسكري السوفياتي واختيار مبادئه ، يكتسب اهمية عظيمة في هذه الايام استخدام التطبيق في وقت السلم بصورة فعالة وكبيرة للغاية . ففي الحرب الصاروخية ــ النووية ، ستكون للفترة الاولية اهمية حاسمة ، وسوف ينمو بصورة عظيمة دور عامل الوقت .

ان اخطاء الحساب والتقدير الجدية في وضع النظرية العسكرية . وبناء القوات المسلحة وتدريبها القتالي يمكن ان تؤدي الى عواقب وخيمة لا يمكن اصلاحها .

في الشروط الحديثة نمت بصورة كبيرة امكانات وضع نظرية عسكرية بنجاح وقت السلم والتحقق منها . ولقد ازدادت بصورة خاصة اهمية مشاريع القوات والقيادة والاركان ، والعاب القيادة والاركان ، وكذلك مشاريع البحوث الخاصة والاختبارية ، والتجارب ، والاختبارات . وفضلا عن هذا ، ظهرت اساليب جديدة من حيث المبدأ للتحقق العملي من المبادىء النظرية والتوصيات : الاساليب الرياضية ، واسلوب التصميم « الصياغة » وغيره .

بالتحقق من بعض العلم العسكري ، يتضح لنا ان الحروب المحلية التي تطورها وتخوضها الدول الامبريالية ، تلعب دورا محددا . وعند هذا يجب ان نأخذ بعين الاعتبار خواص حروب كهذه ، وتجربتها المحدودة ومن الضروري ان نتفهمها بروح انتقادية وان لا نسمح بنقل التصميمات والاستنتاجات نقلا ميكانيكيا الى الحرب الصاروخية ــ النووية .

يتكون **التطبيق العسكري** من اعمال التشكيلات المقاتلة من الجماعة « الطاقم » ، والفصيلة ، والسرية والطائرة القتالية او السفينة حتى الجيش ، والاسطول ، والجبهة والقوات المسلحة بصورة عامة ، وفي نهاية الامر تشكل اساسه اعمال العسكريين العاملين ــ الجنود ، والقادة ، والموجهين السياسيين والمهندسين العسكريين وهلم جرا . الا ان مقياس الحقيقة هو قبل اي شيء اعمال التشكيلات المقاتلة .

ان حقيقة المبادىء الجديدة للنظرية العسكرية يمكن ان تختبر ليس فقط بالتطبيق العسكري المباشر ، بل وبالتطبيق العسكري غير المباشر ، الذي يجد انعكاسه المعمم وتعبيره في الانظمة ، وفي مواضيع العلم العسكري ومبادئه وقوانينه ، التي تأكدت حقيقتها بكل التطبيق السابق والراهن ــ وتصلح ايضا مقياسا لنشاط القادة وكافة عناصر القوات المسلحة : اوامر وتوجيهات القيادة العسكرية العليا ، وقبل كل شيء اوامر وزير الدفاع وتوجيهاته ، التي تتركز فيها تجربة وتطبيق جيشنا واسطولنا ، ان قرارات القائد المتجاوبة مع مبادىء العلم العسكري المثبتة ، ومتطلبات الانظمة واوامر وزير الدفاع ــ هي شرط هام لتحقيقها وفاعليتها العملية .

بالاضافة الى هذا ، لا بد من الاخذ بعين الاعتبار ان التجربة المعممة للقوات المسلحة لا يمكن ابدا ان تكون ضمانا لحقيقة نشاط ادراك القائد ، وصحة قراراته ، اذا هو لم يأخذ بعين الاعتبار الشروط الملموسة ، ولم يحلل بروح انتقادية الاعمال التطبيقية لوحدته ، وقطعته ، وتشكيله . وطالما ان الحقيقة ملموسة « موضوعية معينة » ، ينبغي ان تختبر بالتطبيق الملموس « الموضوعي المعين » .

تعلم النظرية الماركسية ــ اللينينية للمعرفة انه لا ينبغي ان نقبل على **التطبيق كمقياس للحقيقة** باعتباره شيئا ابديا لايتغير ، ولاينبغي ان نقبل عليه بصورة عقائدية جامدة ، وانما بصورة ديالكتيكية « جدلية » ان العلم العسكري ، مثل كل النشاط الاجتماعي ، لا يتوقف في المكان : فهو يتطور ويتحسن باستمرار . فقط في التطبيق المتطور والمتغير تكتشف النواحي والخصائص ، والعلاقات ، والارتباطات الجديدة للواقع الموضوعي .

واذ نعترف بالدور الحاسم للتطبيق كمقياس للحقيقة ، لا يجوز ان نبالغ في تقديره . **ان مقياس التطبيق مطلق ونسبي : مطلق بمعنى ان التطبيق هو مقياس الحقيقة المضمون الوحيد ، ونسبي طالما ان التطبيق نفسه يتطور باستمرار ، اما الحقائق التي تأكدت ، التطبيق السابق ، فانها تدقق ، وتكمل وتتحدد او ترفض بالتطبيق الراهن .**

أن الاهمية المنهجية العلمية لمبادىء النظرية الماركسية ـ اللينينية للمعرفة حول الحقيقة بالنسبة للعلم العسكري السوفياتي وتطبيق العمل العسكري تنمو بوجه خاص في الوقت الحاضر ، كلما تبرز المتطلبات الزائدة الى القيـادة العلمية للقوات . **ولا يمكن تحقيق القيادة العلمية اصلا بنجاح الا بالاستناد الى الحقيقة ، وضبطها ((مقارنتها)) باستمرار مع تطبيق العمل العسكري .**

* * *

التنبؤ العلمي وخصائصه في فن الحرب

١ ـ اسس التنبؤ العلميـة :

يلعب التنبؤ العلمي دورا كبيرا في كافة مجالات النشاط البشري . وهو ضروري ، بشكل خاص ، لنظرية الحرب وتطبيقاتها . وبدون ادراك آفـاق تطور فن الحرب ، لا يمكن ان نعالج بصورة صحيحة مسائل بناء القوات المسلحة .

فما هو جوهر التنبؤ ، وما هي أسسه العلمية ؟

يصادف الناس في نشاطهم اليومي **نوعين من التنبؤ : التنبؤ التجريبي أو الاختباري والتنبؤ العلمي .**

ان التنبؤ التجريبي هو النتيجة الناجمة عن النشاط العملي الذي يمارسه الكائن البشري ، ويقوم على مجرد خبرة الانسان اليومية في الحياة ، وبالدرجـة الاولى على خبرته العملية . ان الانسان يضع هدفا أو أهدافا ما ، في مجرى عمله . لكنه قبل ان يبدأ ممارسة اعماله من اجل تحقيقها ، يتخيل في ذهنه نتائج عمله النهائية . « ... وان اسوأ مهندس معماري يتميز منذ البداية عن أحسن نحلة ــ على حد قول ك. ماركس ــ في انه قبل بناء خلية من الشمع ، يكون قد صممها مسبقا في راسه . وفي ختام سير العمل ، تحصل النتيجة التي سبق ان تمثلت في خيال الانسان منذ بدء سير العمل ، اي بصورة تخيلية »(١) .

وتبرز هذه الحالة بصورة كاملة في العمل العسكري . ان الجندي ، قبل ان يحفر حفرة فردية ، يتصور في خياله مكانها في جهاز الدفاع ، وشكلها ، وحجمها ومدة العمل ، اي انه يتصور النموذج الاولي . ان القائد ايضا يتصور

---

(١) ك. ماركس و ف. انجلس ــ المؤلفات ، المجلد ٢٣ ، الصفحة ١٨٩ .

قبل المعركة نموذجه . ولقد كتب قائد الجيش ب.ي. باتوف : « كما ان اي عمل فني يتطلب ايدي البشر وارادتهم ، كذلك فان المعركة تتحقق مرتين ، اولا في الافكار ، ومن ثم في الواقع . واذا كان رئيس الاركان هو العالم الرياضي في العملية ، فان هذا غير كاف بالنسبة للقائد ، اذ ينبغي عليه بقوة خياله ، واحساسه المرهف بالتنبؤ ، أن يعيش هذه المعركة في خياله وتصوره اولا ، وتفاصيلها تنطبع في الذاكرة احيانا ، كما تنطبع المشاهد على فيلم التصوير »(١) .

ومع اتساع مجالات النشاط البشري ، العملي والحربي ، تعقد التنبؤ التجريبي وتطور . وليس صعبا ان نلاحظ الاختلاف الجوهري بين تنبؤ الانسان الفطري عن نتائج الرمي بالقوس ، وبين ادراك نتائج الضغط على هذا الزر او ذاك في جهاز قيادة الاسلحة الصاروخية النووية المعقد . ان العلاقة بين العمل ونتائجه في الحالة الثانية اكثر تعقيدا ، وهي في حد معين تصبح متوسطة التعقيد . ان المقاتل لا يستطيع وهو يقوم بتشغيل الصاروخ ان يلاحظ الجهاز المخفي منه ، وفي احيان كثيرة لا يلاحظ حتى تحليق الصاروخ نفسه .

وفي مجرى تطور الخبرة الانسانية ، وبمقدار ما يسعى البشر للنفوذ اكثر فأكثر الى جوهر ظواهر الواقع المحيط بهم وتطوراته ، اصبح التنبؤ التجريبي غير كاف . وظهرت الحاجة الى التنبؤ العلمي .

ما هو التنبؤ العلمي ؟

يعرفه بعض العلماء بقولهم ، هو « التنبؤ القائم على معرفة القوانين الموضوعية لحقيقة الظواهر والحوادث والتطورات ، التي يمكن او ينبغي ان تنشأ في المستقبل »(٢) .

ان هذا التعريف لا يعبر بدقة عن طبيعة التنبؤ العلمي وعن ميزته ، لان الكلام فيه لا يدور الا عن تلك الظواهر والحوادث والتطورات التي يمكن او ينبغي أن تنشأ في المستقبل . ففي الحقيقة ان التنبؤ العلمي يمكن ان يمت الى ما هو

---

(١) ب.ي. باتوف ــ في المناورات والمعارك ، دار النشر العسكرية ، ١٩٦٢ ، الصفحة ٦٢ .
(٢) الموسوعة السوفياتية الكبرى ، المجلد ٣٤ ، الصفحة ٣٩٩ .

موجود ، غير انه بحكم اسباب معينة ، لم يتحقق . وهكذا فان كل العناصر الاولية المستقلة المنتظمة داخل العالم ، والمعروفة في الوقت الحاضر ، قد وجدت حتى قبل اكتشافها ، غير انها لم تلاحظ بسبب تطور القاعدة التجريبية ووسائل الاستقصاء ، تطورا غير واف .

ان التنبؤ العلمي هو التكهن عن ظهور الحادث او مصيره ، وعن ظهور العملية او العملية الظاهرة ومصيرهما ويقوم هذا التكهن على اساس معرفة القوانين الموضوعية وتحليل الواقع تحليلا جدليا ماديا وفي مجرى التنبؤ العلمي تبحث اسباب ظهور الظواهر والحوادث وشروط رصدها ، وتبحث كذلك طرق تحقيق الهدف المتوخى واساليب هذا التحقيق .

ان التنبؤ العلمي جانب من جوانب المعرفة النظرية ، ويخضع لقوانينها . وتنحصر خواصه في ان له اتجاها زمنيا محددا . فهو مقتصر على البحث عن المستقبل .

الترابط بين التنبؤ التجريبي والعلمي :

انهما طوران مختلفان نوعيا ، من اطوار التطور العام للمعرفة . ففي التنبؤ التجريبي يمثل مركز الصدارة ، المظهر الخارجي للاشياء والادوات المعروفة لدينا . اما في التنبؤ العلمي فيعرف قبل كل شيء جوهر الظواهر او الحوادث المقبلة . ان الظاهرة او الحادثة تعرف في التنبؤ التجريبي بسماتها الخاصة الملموسة . وان موضوع البحث يدرس في التنبؤ العلمي باعتباره بناء كاملا .

واذا كان التنبؤ التجريبي بطبيعته فعالا دوما ، فان **التنبؤ العلمي يمكن ان يكون فعالا وسلبيا . ويمت الى التنبؤ السلبي ذلك التنبؤ العلمي الذي لا يتنبأ عن تدخل الانسان في العملية موضوع البحث .** انه يتناول تلك المواضيع التي يستطيع الناس او لما يستطيعوا التأثير عليها ، او ان التأثير نفسه ليست له اهمية واقعية جوهرية . ان خسوف الشمس ، مثلا ، يمكن التنبؤ عنه (التكهن) بوقت طويل قبل حدوثه ولكن لا يستطيع الناس التدخل بصورة فعالة في هذه الظاهرة من اجل تغييرها لان حركة الكواكب غير خاضعة لهم .

ان التنبؤ العلمي في الحياة الاجتماعية فعال على الدوام . وسبب هـذا ، كما لاحظ « ف. انجلس » ان معرفة واحدة غير كافية من اجل اخضاع القوى الاجتماعية ، لاجل هذا ، لا بد قبل كل شيء من العمل الاجتماعي[1] .

ان العلاقات القانونية هي تلك العلاقات الضرورية ، الثابتة ، المتينة ، المتكررة . غير انه ينبغي ان نفهم تكرارها بصورة جدلية . اذ لا وجود للتكرار المطلق . **ففي وقت من الاوقات وكذلك في وقت معين ، وفي هذا المجال ، او ذاك من النشاط الانساني** ، وفي الشروط المتشابهة نسبيا تجري الحوادث بصور مختلفة . لا سيما وان حوادث الماضي لا يمكن ان تتكرر في المستقبل بشكل كامل . قال « ف.ا. لينين » « لا تتكرر الحالات القديمة بشكلها السابق »[2] .

ان التكرار في المستقبل غير ممكن الا في الخطوط الاساسية الجوهرية ، العامة . غير ان هذا التكرار يحدث على اساس جديد اكثر تطورا واكتمالا .

ان قوانين تطور الطبيعة والمجتمع ، حسب دراسة الفلسفة ـ الماركسية ـ اللينينية لها ، ليست موضوعية فحسب ، بل شاملة ايضا . الا ان شمولها لايعني انها تبدو في كل مكان بصورة مماثلة .

في الطبيعة تظهر القوانين بصورة عفوية ، على الرغم من ارادة الانسان ورغباته ، اما في المجتمع ، فانها لا تظهر الا من خلال نشاط الناس . ولا تؤثر في تطورات الحياة الاجتماعية تاثيرا كبيرا العوامل الموضوعية وحدها ، بل العوامل الذاتية ايضا . وتترك آراء الطبقات المختلفة ، والاحزاب وحتى آراء بعض الشخصيات ، اثرها في مجرى الحوادث التاريخية ومصيرها .

ان لقوانين الحياة الاجتماعية طابعا احصائيا . انها تتجلى في مجموعة من الظواهر ، على امتداد زمن معين ، وبمقتضى هذا لا تشير الا الى الاتجاه الاساسي اي اتجاه تطور المجتمع . ان القوانين المتطورة بسرعة ، والمؤثرة في الطبيعة ، تظهر نفسها بانعطافات خفيفة في كل حالة .

---

(١) انظر ك. ماركس و ف. انجلس ـ المؤلفات ، المجلد ٢٠ ، الصفحة ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .
(٢) ف.ا. لينين : المؤلفات المختارة الكاملة ، المجلد ٣٨ ، الصفحة ١٣٤ .

ان معرفة القوانين الموضوعية تجعل التنبؤ ممكنا في الطبيعة والمجتمع ، بما في ذلك فن الحرب ايضا . وهكذا ، فان القانون ، الذي يؤدي الى تغير الاسلحة والعتاد القتالي يؤدي بالاستناد اليه الى تغير طرق واشكال الاعمال القتالية ، هو اساس كاف للتنبؤ عن التغيرات في طابع المعركة ، والعملية والحرب بأسرها . ويمكن ، استنادا الى هذا القانون ، ان نتنبأ بأن السلاح النووي يغير بصورة جوهرية ، مثلا ، طابع العمليات في التطويق . ومن المحتمل في الحرب النووية ان تبدو جهود القوات الرامية في بعض الاحيان الى تدمير العدو باستمرار عديمة الجدوى ولذلك فان عددا من الضربات النووية سيكون كافيا .

ان خواص تأثير القوانين الموضوعية في الطبيعة والمجتمع توجب التباين في طبيعة التنبؤ العلمي ، ويتحقق التنبؤ في الطبيعة كقاعدة ، بشكل اكثر دقة وموضوعية ، مما يتحقق في الحياة الاجتماعية ومن المعلوم ان العالم الروسي « د.ي. مندلييف » تنبأ بشكل دقيق ، على اساس القانون الدوري للعناصر الكيميائية وهو مكتشفه ، عن وجود مجموعة خواص لبعض العناصر المكتشفة فيما بعد (الهليوم ، الجرمانيوم ، السكانديوم ، وغيره) . وفي الحياة الاجتماعية لا يمكن ان يبلغ التنبؤ هذه الدقة . انه لا يتيح الا تحديد الاتجاهات الاساسية لهذه التطورات او غيرها .

والى جانب القوانين ، فان الاساس العام للتنبؤ العلمي هو في مقولات الجدلية المادية وهكذا فان العلة والمعلول (السبب والمسبب) تشير الى العلاقة العضوية والتعاقب الزمني للحوادث والظواهر ان العلة (السبب) تسبق المعلول (المسبب) دوما ، اما المعلول فانه يحل دوما بعد العلة . ان علاقة العلة بالمعلول تعبر كذلك عن لزوم حلول الحوادث . فاذا وجد السبب ، لا بد في شروط معينة من حلول المسبب بصورة اكيدة . وبالتالي ، فانه **ينبغي من اجل التنبؤ عن اية ظاهرة ان نعرف اسبابها المولدة .**

ويمكن ان يكون لكل مسبب اسباب عدة . ولا بد عند تحليلها من تحديد السبب الداخلي الرئيسي الخاص بالعملية الحالية . وعلى سبيل المثال ، فان السبب الرئيسي ، الذي يحدد مصير المعركة او العملية في الحرب الصاروخية ــ

النووية ، سوف يكون استخدام سلاح جديد . لذلك ينبغي على القائد ، عند اعداد خطة المعركة ، ان يحدد قبل كل شيء ، انواع وسائط التدمير الشامل ومكان وجودها لدى العدو وما هي طرق تدميرها .

على انه **ليس للاسباب الداخلية وحدها دورا في ذلك ، فالاسباب الخارجية** ايضا لها دورا **هام** وهكذا ، فان الخصائص الجغرافية لمسرح الاعمال الحربية والاحوال الاخرى ، المعتبرة اسبابا خارجية ، يمكن ان تترك اثرا هاما في مجرى الاعمال القتالية . وعلى القائد ان يحسب لهذه الاسباب حسابها عند تخطيط الاعمال القتالية .

وفي عملية التنبؤ يعالج عدد كبير من المسائل المتنوعة بمستواها وتعقدها . وان لدقة تنظيم المسائل اهمية خاصة اثناء عملية التنبؤ ، وقد لاحظ العالم الانكليزي (او. رويس اشبي) وهو من مؤسسي « السيبرنيتيك »[1] باننا « عندما نستطيع ان نصوغ مسالة ما بوضوح كامل نصبح قريبين من حلها » .

توضع المسالة في باديء الامر في صورة عامة الى حد ما ، ومن ثم تدقق وتخصص وهكذا ، في التنبؤ عن المعركة المقبلة ، لا يحدد القائد بصورة اولية الا فكرته العامة . وفيما بعد تحدد هذه الفكرة العامة بصورة ملموسة ، وتتخذ خطوطا واضحة في القرار وامر القتال .

ان التنبؤ العلمي يختلف بصورة جوهرية عن الطوباوية ووضع الخطط الفارغة بانه يضع مهام واقعية ، وتستند الى الشروط والامكانات الحقيقية . ولقد لاحظ « ك. ماركس » ان « الانسانية لا تضع لنفسها دوما الا تلك المهام التي تستطيع ان تعالجها ، اذ يتضح عند المعالجة المباشرة ان المهمة نفسها لا تنشا الا عندما تكون الشروط المادية لحلها قد وجدت ، او انها على ابعد تقدير في طريقها الى التكون »[2] .

ان التنبؤ مرتبط دوما بافتراضات محددة ــ فرضيات . وتظهر الفرضية

---

(1) السيبرنيتيك : علم التحكم الاوتوماتيكي او علم الحساب الالكتروني .

(2) ك. ماركس و ف. انجلس : المؤلفات ، المجلد ١٣ ، الصفحة ٧ .

(او مجموعة الفرضيات) في عملية التنبؤ كقاعدة ، بعد تنظيم المسألة . **في بادىء الامر تصاغ المسألة ومن ثم تبرز الفرضيات واذا تأكدت الفرضية فانها تتحول الى نظريـــة .**

ان التطبيق هو لحظة انطلاق التنبؤ العلمي ، وقوته الدافعة ، وهدفه النهائي وان اعلى مستوى للتطبيق يتجاوب مع اعلى درجات التنبؤ ويبدو التطبيق كذلك مقياسا لحقيقة التنبؤ العلمي . وهكذا فان بناء الاشتراكية في بلادنا اكد بصورة علمية صحة التنبؤ العلمي لمؤسسي الماركسية ــ اللينينية .

ان التطبيق الشامل في فن الحرب هو الحرب . وان مختلف انواع المشاريع والمناورات التي تجري وقت السلم لا يمكن ان تتخذ مقياسا لحقيقة الآراء حول هذه او تلك المسالة الا لدرجة ما ، ولحد تقريبي .

ان الاقرار بنسبية التطبيق في وقت الســلم لا يعني التقليــل من دوره . على العكس ، ولان التطبيق نسبي فالاقرار به ضروري من اجل التقليل قدر الامكان من القواعد المتعارف عليها في مجرى التدريب القتالي . وفي هــذه الحالة فقط ، يستطيع النشاط التطبيقي اثناء السلم ان يصبح عاملا هامـا لاختبار حقيقة التنبؤات عن طبيعة وخصائص الحرب المقبلة .

في التنبؤ العلمي يعود الدور الصريح الى الخيال ولقد اشار لينين الى ان « من الحمق ان ننكر دور الخيال حتى في العلم البحت ... »(١) .

ان الخيال ، كقاعدة ، موجهة للمستقبل وهو يستند على الاكتشافات العلمية التي اصبحت معروفة ، وعلى مستوى معين من تطور العتاد ، ويساعد على التفكير الخلاق ، ويوقظ الاهتمام لدى جماهير واسعة ، وخاصة لــدى الشباب ، من اجل معرفة المستقبل .

من المعلوم انه لا تنقصنا الامثلة على ان الخياليين قد صوروا بدقة مدهشة بعض الحوادث قبل حلولها بزمن طويل . وهكذا ، فان « جول فيرن » اعطى وصفا

---

(١) ف.ا. لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٩ ، الصفحة ٣٣٠ .

لغواصة المستقبل والسفن الطائرة . ولقد سبق ان « ف. نيكولسكي » في كتابه « خلال الف عام » الصادر عام ١٩٢٧ ، تنبأ بان اول انفجار ذري سوف يقع في عام ١٩٤٥ . وان الكاتب — الخيالي الامريكي « روبرت هايلاين » في روايته « القرار المشؤوم » المنشورة عام ١٩٤١ ، قال بشكل واضح ان الامريكيين يصنعون من الاورانيوم — ٢٣٥ قنبلة ، وانهم سوف يلقونها على مدينة ضخمة من مدن العدو لانهاء الحرب العالمية الثانية ، مما جعله عرضة للمسؤولية بسبب افشائه سرا حربيا .

وبطبيعة الحال ، ليست كل فكرة من افكار التخيل قابلة للتحقيق وكما عبر عنها اصحابها ، والا لما كان هناك اي فرق بين التنبؤ العلمي والخيال .

ان التنبؤ العلمي عن الظواهر والتطورات في الحياة الاجتماعية يتوقف الى حد كبير على العوامل الاجتماعية ، التي تحدد امكانات صحة التكهنات عن التطور المقبل للمجتمع ودرجتها من الصحة وفي البنى المتنازعة لا توجد طبقة ثورية بصورة ثابتة وحتى النهاية الا الطبقية العاملة وفيها يتحقق التنبؤ العلمي عن تطور المجتمع .

ان المحاولات الاولية لالقاء نظرة على المستقبل ، وتحديد آفاق تطور المجتمع في الاتجاه الى الاشتراكية كانت خيالية (طوباوية) . ان الاشتراكيين الخياليين لم يستطيعوا ان يبرهنوا بصورة علمية على طرق بناء المجتمع الجديد . ولم يبرهن بصورة علمية على طرق الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية الا مؤسسا الماركسية — اللينينية .

ان العلم الماركسي — اللينيني ، فيما يتعلق بالمجتمع ، هو الاساس النظري للتنبؤ العلمي عن آفاق التطور التاريخي ، وهو غني بالمواقف والاستنتاجات الجديدة .

وخلافا للطبقة العاملة ، ان البورجوازية كطبقة ، يحكم عليها التاريخ بالفناء الحتمي وهي لا تهتم بالتنبؤ العلمي عن تطور المجتمع . ولذلك يسعى الفلاسفة والعلماء الاجتماعيون البورجوازيون الى البرهنة على استحالة التنبؤ العلمي في الحياة الاجتماعية ، ويشوهون آفاق التطور التاريخي .

أن كافة مدارس الفلسفة المثالية الحديثة واتجاهاتها تنكر الطابع القانوني في تطور المجتمع وبالتالي لا تعترف بامكانية التنبؤ العلمي نفسه .

يسلم بعض العلماء البوجوازيين بامكان التنبؤ العلمي في مجال العلوم الطبيعية فحسب وهكذا فان الفيزيائي الانكليزي الشهير ، الحائز على جائزة نوبل « جورج طومسون » كتب يقول : « توجد في اساس التكنيك (التقنية) مبادىء مقررة للعلم . بعض هذه المبادىء مفهوم وتبدو بالتالي اساسا للتنبؤات » .

ان علم الحرب البورجوازي ، يعتبر ان الشروط والعوامل والقوانين الموضوعية ليست هي التي ينبغي ان تستخدم اساسا للتنبؤ عن مجرى الكفاح المسلح بل صفات القائد الشخصية وبداهته . وثمة عدد كبير من الشخصيات العسكرية البرجوازية ، تنكر كل امكان للتنبؤ العلمي في فن الحرب . وهكذا ، فان الرئيس الاسبق لهيئة الاركان الهتلرية العامة « غودريان » كتب يقول محاولا توضيح اسباب هزيمة الجيش الالماني ـ النازي ، في الحرب العالمية الثانية : « ان مصير اية أعمال قتالية ، كقاعدة ، وبشكل خاص في روسيا ، لا يمكن تحديده مسبقا » .

ان هدف ادعاءات العلماء الاجتماعيين والاشخاص العسكريين البرجوازيين باستحالة التنبؤ في الحياة الاجتماعية بشكل عام ، وفي فن الحرب بشكل خاص ، ينحصر في اخفاء التعليل الحقيقي لمسيرة التاريخ ، وتأجيل الفنـاء الحتمي للراسمالية .

ان الفلسفة الماركسية ـ اللينينية تبرهن على امكان التنبؤ العلمي عن آفاق التطور التاريخي وضرورته . ولقد اثبتت أيضا أن القدرة على التنبؤ ليست هبة فريدة وامتيازا خاصا لبعض الشخصيات العلمية او الرجال السياسيين والعسكريين وان القدرة على التنبؤ تختص ايضا بالجماهير الشعبية في كافـة مجالات النشاط الانساني .

ان الجماهير الشعبية هي القوة الحاسمة في تطور التاريخ . وان التنبؤ عن الظواهر الاجتماعية امر مستحيل بدون اخذ مبادرتها الخلاقة بعين الاعتبار ، وطبيعتها ، واتجاهها ، والبواعث الفعالة في نشاطها .

ان دور الجماهير الشعبية الحاسم في كافه مجالات الحياة الاجتماعية ، يمتد كذلك الى مجال فن الحرب لدرجة كبيرة فهي تسهم اسهاما مباشرا في العتاد القتالي المعقد وانشائه ، وتستخدمه في ميدان المعركة ، وتنشيء الطرق والاشكال الجديدة لخوض الاعمال القتالية ، للاسراع بتدمير العدو واحراز النصـر .

٢ ــ خصائص التنبؤ في فن الحرب :

ان تعقيد الكفاح المسلح والحرب وخصائصها هما السبب الرئيسي ، الدافع الى محاولة التنبؤ العلمي في المجال العسكري . وفضلا عن هذا ، تجري في فن الحرب ، خلافا ، لاي مجال آخر من مجالات الحياة الاجتماعية ، تغييرات سريعة وجوهرية ، مما يترك أثره على طابع التنبؤ العلمي .

كل الحروب الحديثة **معقدة** ، الا ان الحرب الصاروخية ــ النووية سوف تتميز بتعقيد خاص . والتنبؤ عنها صعب للغاية . ومع ذلك فان لهذا التنبؤ ، اهمية كبرى .

فكيف تتلخص خصائص التنبؤ في فن الحرب ؟

من الضروري قبل كل شيء ان نلاحظ بأن للتنبؤ فيانظرية الحرب وتطبيقاتها **طابعا احتماليا** ... وهو مشروط بمجموعة من الاسباب . اولا ، ظهور مصادفات مختلفة أثناء سير الحرب ، تؤثر تأثيرا جوهريا في مجرى الكفاح المسلح وفي مصيره . ثانيا ، سعى كل طرف من الاطراف المتنازعة الى اخفاء قواه ووسائطه الحقيقية ، ونواياه واهدافه ، والى تضليل العدو . ثالثا ، نقص المعلومات عن الموقف اذ ليس من الممكن ابدا في الحرب الحصول على كافة المعلومات عن الموقف .

ان درجة الغموض في التنبؤ يمكن ان تكون من (محتمل كل الاحتمال) الى « محتمل » وحتى « قليل الاحتمال » و « غير محتمل » وان القائد ، في سعيه الى ازالته قدر الامكان ، مضطرا الى ان يعمل كل ما يتعلق به كي يحصل في الدرجة الاولى على تلك المعلومات الاولية ، التي ينبغي ان تكون وافية من اجل تحديد الوقت ، والمكان وطرق انزال الضربة الحاسمة في العدو .

ان خاصية التنبؤ العلمي في فن الحرب هي **كثرة وسائله** .

يقال عن التنبؤ انه **ذو وسيلة واحدة** (او وحيد القياس) عندما لا يتنبأ الا عن زمن الحوادث او مكانها . وعلى سبيل المثال ، فان الفلكي الفرنسي العظيم « ليفيريه » تنبأ بواسطة الرياضيات عن كيفية البحث عن الكوكب « نبتون » .
في هذه الحالة كان التنبؤ ذا وسيلة واحدة (وحيد القياس) : انه يتوخى معرفة مكان موقع الكوكب ، وان التنبؤ عن حلول كسوف الشمس او خسوف القمر يتعلق بالزمن ، عندما يكون حدوث حادث ما ضروريا . كذلك فان هذا التنبؤ وحيد الوسيلة .

ويقال عن التنبؤ انه **متعدد الوسائل** عندما لا يتنبأ عن وقوع الحادث ، او الظاهرة والعملية فحسب ، بل عن المكان ايضا . **ان التنبؤ في فن الحرب ، كقاعدة ،** هو تنبؤ متعدد الوسائل طالما ان التنبؤ هنا عن مجرى الكفاح المسلح ومصيره ، لا يمكن ان يقتصر على التقديرات المكانية او التقديرات الزمنية فحسب . اضف الى ذلك انه خلافا لعدد كبير من العلوم (الجيولوجيا ، الاوقيانوغرافية ، وغيرها) فان علم الحرب يتناول في استقصائه كل مجالات الفضاء التي نعرفها ونفهمها : سطح الارض والبحار والمحيطات ، والمحيط الجوي والكون .

والى جانب كثرة الوسائل ، فان التنبؤ العلمي في فن الحرب متنوع الاغراض . أي انه يشمل بالاضافة الى الكفاح المسلح ، مجالات اخرى من مجالات الحياة الاجتماعية : الاقتصاد ، والسياسة ، والدبلوماسية ، وغيرها . **وان اتجاهات التنبؤ في مجرى الحرب خاضعة كلها لهدف واحد هو تدمير العدو واحراز النصر .**

الا انه من الضروري ان نشير الى أن التنبؤ في الحرب لا يمكن ان يكون موجها الى غرض معين بصورة صحيحة الا في البلاد الاشتراكية ، حيث تقوم وحدة المجتمع ، المعنوية ـ السياسية وحيث الاقتصاد المخطط وحيث يعمل الشعب ويعيش في ظروف الحرب تحت شعار « كل شيء للجبهة ، كل شيء من اجل النصر » . اما في البلدان الراسمالية ، الممزقة بالتناقضات المتضاربة ، فلا يمكن ان تكون هنالك وحدة حقيقية للمجتمع بأسره لاسيما في ظروف الحرب .

من خصائص التنبؤ العلمي المميزة في فن الحرب ، الاضطرار الى تنفيذه ، كقاعدة في فترات محددة . وعلى سبيل المثال ، ان التنبؤ في علم الفلك وبعض العلوم الاخرى عن تلك الظواهر او غيرها يمكن أن يتحقق قبل اللحظة المحددة ، وهذا لا يؤثر اي تأثير في حياة المجتمع . اما في مجال الحرب فان الامر يجري خلافا لذلك اذ ان اوقت الانذار اهمية كبيرة . وقد اصطلح على تسمية وقت الانذار **بالفترة الزمنية ابتداء** من لحظة التنبؤ عن الحادث حتى لحظة حلوله . ومن المهم جدا ان نحدد آفاق تطور الاسلحة والعتاد القتالي ، واشكال الكفاح المسلح واساليبه ، وبناء القوات المسلحة التنظيمي ، وان نضع ونحقق عددا كبيرا من التدابير العملية .

في التطورات الحتمية الدقيقة ، القائمة على اساس قوانين سريعة التغير ، لن يؤدي تمديد وقت الانذار الى تخفيض دقة التنبؤ . اما في تطورات الكفاح المسلح الاحتمالية (غير المحددة) كلما قل وقت الانذار كلما كانت التنبؤات اكثر دقة . وفي هذه الحالة يبدو التناقض الجدلي : اذ كلما كثر وقت الانذار كلما انخفضت دقة التنبؤ ، وعلى العكس ، كلما قل وقت الانذار كلما كان التنبؤ اكثر دقـة .

وهنا يمكن ان نشير الى ان احدى مهام علم الحرب هي اطالة وقت الانذار عندما تبلغ دقة التنبؤ حدا كافيا .

ان اهمية عامل الزمن في التنبؤ العلمي كبيرة وواضحة في فن الحرب ، لا سيما في الوقت الحاضر . ففي حرب عالمية مقبلة ، اذا تيسر للامبرياليين اشعال نارها ، ينبغي التنبؤ عن امكان استخدام اسلحة التدمير الشامل على مختلف المستويات . ان التنبؤ الآني عن خصائص مجرى مثل هذه الحرب وآفاقها واتخاذ التدابير العملية المناسبة هو العامل الذي يلعب دورا رئيسيا في تأمين النصر . وتعطى اهمية خاصة للكشف الآني عن نوايا العدو في توجيه الضربة النووية الاولى واهدافها وزمنها .

ان للتنبؤ في فن الحرب ايضا **خصائص تقتضيها مقاييس الكفاح المسلح .**

اذا كان مجال التنبؤ الاستراتيجي هو الكفاح المسلح ككل ، فان التنبؤ العملياتي التكتيكي يهتم بالعمليات والمعارك المستقلة . ولما كان فن العمليات والتكتيك خاضعين للاستراتيجية ، فينبغي على التنبؤ العملياتي ـ التكتيكي ان يأخذ بعين الاعتبار معطيات فن العمليات والتكتيك .

في النطاق العملياتي ـ التكتيكي (لا سيما في التكتيك) يتمتع التنبؤ بوضوح أكثر مما في النطاق الاستراتيجي ، ويتطلب معطيات أولية أكثر تفصيلا . وفي الواقع ، ان الخطأ بكتيبة وحتى بسرية واحدة في النطاق التكتيكي يمكن ان يؤدي الى عواقب خطيرة . اما في النطاق الاستراتيجي فان الخطأ بالمعطيات عن كتيبة أو كتيبتين أو حتى عن فوج واحد له أهمية جوهرية عند تحديد مصير الحملة ، وخصوصا عند تحديد مصير الحرب برمتها .

يمتاز التنبؤ الاستراتيجي عن التنبؤ العملياتي بكونه أكثر استقرارا ، ان تبدلات الموقف الطفيفة في النطاق العملياتي ـ التكتيكي تتطلب من القائد تصحيحا جديا لخطة المعركة . اما في النطاق الاستراتيجي فان تصحيح الخطط لا يكون الا بعد التبدلات الجوهرية في نسب القوى الاقتصادية والمعنوية ـ السياسية للطرفين المتحاربين ، وفي نسب القوى العسكرية بالذات .

ان المثال على التنبؤ في النطاق العملياتي ـ التكتيكي هو متطلبات الانظمة وكتب التدريب التي تتضمن التعليمات والتوصيات عن استخدام الاشكال والطرق المحددة للاعمال القتالية في الحرب المقبلة وبطبيعة الحال ، ينبغي ان لا تفهم هذه التوصيات كتقليد متبع . ان الانظمة تستطيع ان تعطي تعليمات وافية عن كل المسائل ، التي تنشأ في مجرى عمل القوات القتالي . وينبغي على القائد في كل حالة ملموسة ، مع اخذ الموقف الناشيء بعين الاعتبار ، والاستناد الى متطلبات الانظمة ، ان يبحث عن افضل الطرق لتنفيذ امر القتال .

ويمكن ان تستخدم مثالا للتنبؤ في النطاق الاستراتيجي مبادىء المذهب العسكري السوفياتي(١) عن طبيعة وخصائص الحرب النووية ، وطرق واشكال

---

(١) يستخدم ايضا تعبير « العقيدة العسكرية » للدلالة على « المذهب العسكري » .

الكفاح المسلح المحتملة ، والمتطلبات الناجمة عنها لتنظيم واعداد القوات المسلحة والبلاد كلها من اجل تدمير المعتدي .

ان التنبؤ العلمي في مجال الحرب ذو فعالية كبرى . ويحدد هذا قبل كل شيء بخصائص الكفاح المسلح . وكثيرا ما يتم في الاعمال القتالية حتى استلام المعلومات الاولية الضرورية للتنبؤ بواسطة الاستطلاع القتالي ، واسر (الاسرى) وهلم جرا ..

من أجل التنبؤ في فن الحرب ، يتمتع بأهمية عظيمة **التصور الصحيح** لمدى ترابط مرحلتي المعرفة : المرحلة الشعورية والمرحلة المنطقية . ان سوء تقدير احدى هاتين المرحلتين ، وجهل العلاقة الجدلية للشعور والتجريد في عملية التنبؤ يحدان من امكاناته ، ويخفضانها الى الحد الادنى . ان من يكتفي في المعرفة بالاحساسات والملاحظات المباشرة ، ويستهين بدور التفكير النظري والاستنتاجات العامة والتجريدات ، ينكر في الحقيقة امكان التنبؤ العلمي . ومن ناحية اخرى ، ان اطلاق دور المرحلة المنطقية للمعرفة ، وتجاهل دور المرحلة الشعورية والملاحظة والاختبار ، يؤدي الى وضع الخطط الفارغة .

في النطاق العملياتي ــ التكتيكي (لا سيما في التكتيك) تلعب المرحلة الشعورية للمعرفة دورا كبيرا في التنبؤ . اما في النطاق الاستراتيجي ، فالامر نقيض ذلك اذ ان المرحلة المنطقية للمعرفة هي التي تلعب دورا كبيرا في التنبؤ .

في التنبؤ العلمي عن مجرى الحرب ومصيرها يعود الدور الهام الى القائد واركانه . الا ان القدرة على التنبؤ بصورة علمية ينبغي الا يتمتع بها القادة الكبار فحسب ، بل والقادة والرؤساء على اختلاف مستوياتهم . اذ ليس من الممكن ، بدون التنبؤ العلمي ، ان يقودوا القوات ، وان ينظموا تدريب وتربية الافراد بصورة صحيحة .

ان واحدا من اهم شروط التنبؤ العلمي هو تمتع الجهاز القيادي بعلم منهاج الابحاث الجدلية ــ المادية العلمية ، الذي يتيح امكانية تحليل ظواهر فن الحرب ومسائله بصورة صحيحة ، وتحديد آفاق تطوره . ولقد اشار «م. ف. فرونزي»

الى انه « ينبغي على كل قائد من قادة الجيش الاحمر ان يتعلم اجادة طريقة التفكير ، وفن تحليل الظواهر ، الذي تقدمه النظرية الماركسية »(١) .

ان الشروط اللازم للتنبؤ العلمي هو الاعداد العالي العام والخاص للملاكات العسكرية .

ففي هذه الايام ، يستحيل تحقيق التنبؤ العلمي بنجاح بدون معرفة اسس الفيزياء والرياضيات والعلوم الاخرى ، وبدون معرفة نظرية الحرب وتطبيقاتها ايضا ، وبدون ادراك جوهر الثورة في فن الحرب . وبطبيعة الحال ، ان حجم معارف الضابط ينبغي ان يتفق ووضعه في الخدمة العسكرية . ان المعارف التي يحتاجها قادة الوحدات الصغرى هي التي تتعلق قبل كل شيء بالمعلومات التكتيكية ـ الفنية لاسلحة العدو وقطعاته ووحداته . وفيما يتعلق بالحالة الاقتصادية وخصائص مسرح الاعمال القتالية تكفيهم فكرة عامة عنها اما بالنسبة للقائد الكبير ، الذي يقرر المهام في النطاقات الاستراتيجية ولا سيما الذي يحدد آفاق مجرى الحرب كلها وآفاقها ، فمن الضروري ان يعرف كل المعرفة وان يأخذ بعين الاعتبار المقدرة العسكرية ـ الاقتصادية والخصائص الاجتماعية ـ السياسية والجغرافية لمسرح الاعمال الحربية .

في فن الحرب ، كما في مجال آخر ، لا يمكن ان يكون هناك تنبؤ علمي بدون تحليل انتقادي ونقد ذاتي ، وموضوعي للموقف . واذا اتخذ القائد موقف المحاباة او التحامل في تقدير النواحي القوية والضعيفة سواء بالنسبة لقواتنا او قوات العدو ، وقدرها تقديرا ذاتيا (غير موضوعي) ، فانه لا يستطيع ان يتنبأ بصورة صحيحة . ففي الكفاح المسلح ، حيث تلعب ارادة القائد دورا هاما للغاية ، لا يجوز التسليم ، ولا بحال من الاحوال ، باتخاذ القرارات ووضع المخططات دون استناد الى القوانين الموضوعية ، ودون اخذ الشروط الملموسة للمعركة والموقعة والعملية بعين الاعتبار .

ان الشروط الضروري للتنبؤ العلمي في فن الحرب هو الاعتبار الصحيح

---

(١) م . ف . فرونزي : المؤلفات ، اصدار دار النشر العسكرية ، عام ١٩٥٧ ، المجلد ٢ ، ص ٤٧ .

لتجربة الحروب الماضية وبدونه لا يمكن تحديد اتجاه تطور فن الحرب والتنبؤ عن مجرى ومصير الحرب المقبلة .

وليست دراسة تجربة الحروب الماضية ضرورية في حد ذاتها ، وانما ، كما اشار « م. ف. فرونزي » هي ضرورية من اجل « ان نستنتج منها ما يلزمنا لنهار الغد »(1) .

في المعارك الماضية والمقبلة يمكن ان يوجد موقف متشابه على وجه العموم . لكن هذا لا يعني ان مهام العملية او المعركة المقبلة ينبغي ان تعالج بالطرق نفسها التي عولجت بها العملية او المعركة الماضية ، وان الدراسة السطحية وغير الموضوعية للمعطيات الاولية تقود الى قرار تقليدي ، وهذا ما يتيح للعدو ان يتخذ التدابير الوقائية او الجوابية المناسبة .

واخيرا ينبغي ان نؤكد مرة اخرى انه من الضروري ان نعرف طبيعة التنبؤ العلمي ، واسسه وخصائصه . **ان التنبؤ العلمي شرط ضروري لقيادة القوات بشكل فعال .**

(1) م. ف. فرونزي : المؤلفات ، اصدار دار النشر العسكرية ، عام ١٩٥٧ ، المجلد ٢ ، ص ٣٤ .

المبادرة والابداع في العمل العسكري

١ ـ عمليـة الابـداع :

كان للمبادرة والابداع دائما دور هام في العمل العسكري . وفي الظـروف الحديثة قد تطور هذا الدور وازدادت اهميته . ولقد ادت الاسلحة الصاروخية النووية ، وانواع العتاد القتالي الجديدة الى تغييرات جذرية في طرق الصراع المسلح ، وزادت زيادة كبرى من اهمية اعمال القادة السريعة والحاسمة على كل المستويات ، واعمال المقاتلين العاديين ايضا ، ومبادرتهم وابداعهم .

ما هـو اذن الابـداع ؟..

يبدو لاول وهلة ، ان تعريف الابداع لا تعترضه مصاعب خاصة . ويمكن القول : الابداع ـ هو ايجاد الشيء الجديد . وهنا يطرح على الفور سؤال : وما هو الجديد ؟ . . ينتج المصنع الآلات . وكل واحدة من هذه الآلات هي جديدة . ولكن من المشكوك فيه ان تصبح تسمية الانتـاج المتسلسل لآلات من طراز واحد ابداعـا .

وثمة امر آخر وهو ان انشاء طراز من الآلات ، جديد في جوهره ، لم يوجد له نموذج بعد وتظهر في هذا الامر ، قبل التصميم ، مجموعة كاملة من المسائل المعقدة ، لا بد ايضا من ايجاد حل لها . وهنا يبدأ الابداع بمعناه الحقيقي . انه يبدأ في ذلك الوقت ، الذي يضع الانسان فيه امامه المسألة وهو لا يملك قواعد جاهزة لحلها .

ان وضع القواعد لحل هذه المسألة او غيرها يحولها الى طائفة من القواعد غير المبدعة . ويدل تاريخ تطور المجتمع على مرور مرحلة كانت تعتبر فيها المسائل

الحسابية البسيطة ، وانشاء ادوات الشغل ووسائط الصراع المسلح الاولية ، مسائل ابداعية بالنسبة للانسان . وفي هذه الايام ، تقوم الآلات الحاسبة ـ الالكترونية بالاحصاءات الرياضية المعقدة . الا ان هذا لم يصبح ممكنا الا بعد ان اظهر الانسان الابداع واستنبط منهاج عمل الآلة .

ان ايجاد شيء جديد مبتكر هو دليل قاطع على الابداع . غير ان الانسان يستطيع ان ينشيء شيئا مبتكرا وجديدا من حيث الفكرة ، ليس فيه نفع لاحد ، وكذلك لن يكون هذا ابداعا . ان الابداع هو تاسيس القيم الروحية والمادية ، التي يحتاجها المجتمع . لان تكوين الجديد غير ممكن الا على اساس معرفة قوانين الطبيعة والمجتمع ، ذلك ان هذه المعرفة تدخل في عملية الابداع .

وعلى هذه الصورة ، يمكن تعريف الابداع بأنه العملية المعقدة لمعرفة قوانين العالم الموضوعي وايجاد القيم المادية والروحية الجديدة جوهريا ، والضرورية للمجتمع ، على هذا الاساس .

ان الابداع الناجح لا يتحقق الا عند **مراعاة مبدأين عامين الاساسيين :** **آ ـ الاعتراف بدور القوانين الموضوعية المحدد في نشاط الناس ، ب ـ الاعتراف** بالدور التحويلي او الاصلاحي لوعي الانسان . **فما هو جوهر هذين المبدأين ؟**

تقول المادية ـ الديالكتيكية(١) ان الانسان لا يستطيع ان يبرز مواهبه الا وهو يعمل بالتجاوب مع الشروط والقوانين الموضوعية لتطور العالم الخارجي . وقد كتب « ف.أ. لينين » يقول : ((**... تاتي ضرورة الطبيعة في الدرجة الاولى ، اما ارادة الانسان ووعيه فيأتيان في الدرجة الثانية . وهما ضروريان ، ولا بد من تكيفهما مع الطبيعة ...**))(٢) .

لا يستطيع الانسان في عملية الابداع ان يعمل خلافا للضرورة الموضوعية . على سبيل المثال لا يستطيع اي فكر مبدع ان يحل مشكلة ((**المحرك الدائم**)) ، ما دامت فكرة مثل هذا المحرك بالذات تتناقض مع قانون بقاء المادة والطاقة . اذا ، ينبغي على البحث المبدع ان يعتمد حتى في المجال العسكري على معرفة القوانين الموضوعية ، وقبل كل شيء على قوانين الحرب والصراع المسلح .

---

(١) الديالكتيك : الجدل ، الفلسفة الجدلية .

(٢) ف.أ. لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٨ ، الصفحة ١٩٦ .

ان الابداع مرتبط بتلك الشروط التاريخية الموضوعية الملموسة ، التي يعيش الناس فيها ويعملون . وهو يعتمد دوما على ما وصلت اليه الاجيال السابقة . وقد كتب « ف. انجلس » يقول : « **يتحرك العلم الى الامام متجاوبا مع وفرة المعارف التي ورثها من الجيل السابق ...** »(١) . يبدع الانسان وهو يعتمد على ما وصل اليه مستوى السيطرة على قوى الطبيعة ومستوى التطور الاجتماعي . ومع ذلك فان كل عمل مبدع يقوده الى خط جديد ، والى مستوى جديد في هذه السيطرة .

يقدم الابداع الجواب قبل كل شيء على تلك المسائل التي يطرحها التطبيق. على سبيل المثال نشأت في مجرى الحرب العالمية الاولى الضرورة الملحة للخروج من « **مازق الخنادق** » الذي اوجده تفوق وسائط الدفاع على وسائط الهجوم . ووجهت هذه الضرورة الموضوعية الفكر العسكري للبحث عن وسائط واساليب جديدة لخرق دفاع العدو المنسق بالعمق . وفي النتيجة ظهرت الدبابات والطائرات .

تستطيع الافكار المبدعة ان تنشأ حتى على اساس منطق تطور العلم بالذات، بدون ارتباط مباشر مع التطبيق اليومي . لذلك لا تتوضح قيمتها العملية وضوحا تاما دفعة واحدة . فلا يجوز ، مثلا ، ان نربط نشوء نظرية النسبية لاينشتين والاكتشافات العديدة في مجال الفيزياء النووية بمتطلبات التطبيق المباشرة .

وقد عرف التاريخ مثل هذه الافكار المبدعة ، التي ظلت زمنا طويلا في نطاق الفرضيات بحكم تطور العلم والتقنية تطورا غير واف . حتى في عصر القرون الوسطى مثلا ، عبر « ليونارد دي فنشي » (١٤٥٢ — ١٥١٩) عن افكار هامة حول انشاء الاسلحة الآلية ، والدبابة ، وبعض المنشآت الهندسية — الحربية والطائرة الشراعية ، والحوامة ، والمظلة . وظهرت الاسلحة ، كما هو معروف ، بعد اربعة قرون من وفاة هذا العالم النابغة .

تتحدد امكانات الابداع الى حد عظيم بنظام الدولة الاجتماعي وتتيح

---

(١) ك. ماركس و ف. انجلس : المؤلفات ، المجلد ١ ، الصفحة ٥٦٨ .

الاشتراكية لاغلبية الكادحين ان يظهروا مواهبهم ، ويبدوا قدراتهم ، ويظهروا العبقريات ، التي هي في الشعب نبع غزير ، والتي تحاول الراسمالية ان تطحنها ، وتسحقها ، وتخنقها بالالوف والملايين .

فتح النظام الاشتراكي امكانات عظيمة لاظهار الابداع حتى في المجـال العسكري .

ان مبادرة المقاتلين والقادة وابداعهم هما من عوامل النصر المحقق بجميع الوسائل في الحرب وفي تاريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية امثلة عديدة عن ابداع الجنود والبحارة ، وصف الضباط والضباط والضباط القادة والامراء .

تعير المادية ــ الديالكتيكية ، وهي تؤكـد الاهميـة الحاسمة للشروط الموضوعية ، اهمية كبيرة الى دور التفكير النشيط ، الاصلاحي والمبدع . والفعالية الداخلية لوعي الانسان لا تظهر في قدرته على التعبير عن العالم الخارجي ببساطة فحسب ، بل وفي معالجة المعلومات التي يتلقاها واستعمال المعارف من اجـل الحصول على معارف جديدة ، وتجميع الافكار المتنوعة واستنتاج اشكال المواد وتراكيبها والظواهر الجديدة جوهريا ، والمجهولة في الطبيعة . وبهذا المعنى ، لا يعبر الانسان عن العالم الموضوعي فحسب ، بل ويبدعه . ان الآلات ، والمصانع ، والمدن ، والطرقات ــ كل هذا من قوة تفكير الانسان المبدع .

ان الابداع هو ملك الانسان فقط ، اذ انه عملية تحويل للواقع تحويلا ملائما وموجها الى غرض معين . ولا تستطيع **الآلـة « السيبرنيتيكية »**(١) ان تحقق عملية مبدعة ، لانهـا لا تبدو آلـة الا في يدي الانسان ويعتبر وضـع **« الغاريتم »**(٢) لمثل هذه الآلة حلا لمسألة كبيرة مبدعة . الا ان نشاط الآلة ، التي تعمل وفقا لـ « الغاريتم » لم يعد يحمل طابعا ابداعيا ، بل طابعا منطقيا ــ شكليا ، او طابعا ميكانيكيا بالمعنى المشهور والتطور المقبل لعلم « السيبرنيتيك » لن يستبعد امكانات انشاء اجهزة قادرة على وضع الافكار الجديدة وحل المسائل

---

(١) السيبرنيتيك : علم التحكم الاوتوماتيكي او علم الحساب الالكتروني .

(٢) الغاريتم : هو المعطيات الاولية التي تعطى للالة السيبرنيتيكية من اجل حل مسائل معقدة محـددة .

المعقدة . الا انه حتى بالنسبة لهذه الآلات فالانسان هو الذي سيحدد المعطيات الاولية والاتجاه العام للعمل .

يتحقق الابداع في العمل العسكري ، كما في اي مجال آخر من مجالات النشاط الانساني ، بالتجاوب مع المبادىء العلمية الموضوعية وهو يمتلك ، الى جانب هذا ، خواصه التي توجبها خصائص الصراع ويخضع هذا **النوع الخاص من الابداع** لمهام تدمير العدو ، وتامين النصر في الحرب ، وهو يتطور في شروط التنظيم الدقيق لكل حياة الجيش ونشاطه بالانظمة وكتب التدريب والاوامر .

من الملائم ان نبدا بحث الابداع في العمل العسكري بالمبادرة . وتعني المبادرة (الاستراتيجية العملياتية ، التكتيكية) ، في معناها الواسع ككلمة ، قدرة القوات على تطوير الاعمال الهجومية النشيطة ، وفرض ارادتها على العدو . ويفهم من المبادرة ، بالمعنى الضيق للكلمة ، المبادرة الذاتية في نشاط العسكريين المنصب على حل المهام القتالية حلا ناجحا .

ومن سنن « شرعات » تطور فن الحرب ، ازدياد مبادرة القادة والجنود وابداعهم في الصراع المسلح ازديادا مستمرا . ومنذ مدة طويلة ، مضى ذلك الزمن ، الذي كان لا يتمتع فيه بوظائف الابداع وبحق المبادرة الا القائد العـام للقوات . وقد كتب « ف.ا. لينين » منذ ستين عاما تقريبا : **((لا يمكن النجاح في الحرب الحديثة بدون مبادرة ووعي الجندي والبحار))**(١) .

ان المبادرة هي رد فعل القائد على كشف امكانات جديدة او ظهورها في الموقف القتالي لتدمير العدو ، وعلى التغير المفاجىء للموقف ، وعلى المصادفات .

وفي الحرب الوطنية العظمى امثلة عديدة على اعمال مبادرة القادة . ومن هذه الامثلة ان ست طائرات مقاتلة بقيادة بطل الاتحاد السوفييتي « ايفـان باباك » تلقت مهمة تغطية قوات برية . قدر القائد الموقف وهو في المنطقة المشار اليها ، فلم تظهر طائرات معادية . فقرر الضباط توجيه طائرتين مقاتلتين لتقوما

---

(١) ف.ا. لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٩ ، الصفحة ١٥٥ .

بالاستطلاع على مسافة خمسة وعشرين كيلو مترا ، من خطوط طائرات النقل المعادية . فاكتشف الطيارون طائرات نقل العدو في الجو واسقطوا سبعا منها .

لا ينبغي ان تخالف مبادرة القائد الذاتية فكرة رئيسه لان هذا يضع القوات في موقف خطير . وهذا ما تحقق بحذافيره ، في احد المشاريع . كلف القائد بمهمة التقدم بسرعة الى النهر ، والاستيلاء على معبر ، واحتلال راس جسر على ضفة النهر الاخرى . وقبل التوجه الى النهر ، لاحظ القائد مجموعات « معادية » صغيرة منسحبة . فقرر عندئذ من تلقاء نفسه تدميرها . فاضاع الوقت في اشتباكه بالقتال . كانت النتيجة ان دمر « العدو » المعبر ، واحتل الدفاع على الضفة المقابلة من النهر . يدل هذا المثال على ان القائد لم يستوعب المهمة الموضوعة استيعابا عميقا ودقيقا . وخالفت « مبادرته » نوايا القائد الاقدم ، وخلقت صعوبات اضافية على طريق النصر .

المبادرة ترتبط دائما بالمخاطرة والتقدير السليم :

يبدو لاول وهلة ان المخاطرة والتقدير السليم يستبعدان ، كل منهما الآخر ، استبعادا متبادلا . غير انه لا توجد في التطبيق القتالي مخاطرة بدون تقدير ، ولا يوجد اي تقدير سليم بدون ارتباط بالمخاطرة ارتباطا ما .

في شتاء عام ١٩٤٣ ، خرجت الدبابات السوفياتية ، وهي تطارد العدو ، الى جليد النهر العريض والمتجمد ، الذي كانت تقع وراءه مدينة وملتقى هام لخطوط السكك الحديدية . وبصرف النظر عن ان الجليد كان يصمد بصعوبة امام الدبابات ، فقد قرر قائد اللواء المقدم « ف. سافتشنكو » عبور النهر . دلت الحسابات « التقديرات » على ان الدبابات تمر فيها اذا وضعت على الجليد خطوط من السلالم والتروس وهكذا كان عبور النهر في الليل ، عبورا مفاجئا وسريعا قد قرر مصير المعركة التي انتهت بتدمير العدو .

ان المبادرة هي اهم شروط الابداع الاولية . ويمكن تحقيق المبادرة حتى بدون ابداع ، الا انه لا ابداع بدون المبادرة . لا يحدد القائد ، وهو يضع خطة المعركة او العملية ، الا الاتجاه الاساسي لتطور الاعمال القتالية ، غير انه لايستطيع

ابدا ان يتنبأ مسبقا بكل التفاصيل وجميع المصادفات . وهكذا كان في الحروب الماضية . وهكذا ايضا سيكون شأن الحرب الصاروخية ـ النووية ـ الى حد كبير . فالاسلحة الصاروخية ـ النووية قادرة على تغيير الموقف تغييرا حادا ، واثارة عدد كبير من المصادفات ذات الطابع الملائم وغير الملائم . وسوف تتجلى مبادرة القائد في قدرته على استخدام اقل ما يمكن من اجل تنفيذ المهمة القتالية .

يتجلى ابداع القائد قبل كل شيء في انه يطبق متطلبات الانظمة والكتب التدريبية وقواعدها مراعيا الموقف بدقة ، ولا تقدم الانظمة والكتب التدريبية وامر القائد الاقدم الا المبادىء الاساسية والمعطيات الاولية من اجل تنظيم المعركة ، اذن ينبغي ان تحدد هذه المبادىء والمعطيات وفقا للموقف الطارىء وثمة عوامل مختلفة ، مثل توفير الذخيرة والمحروقات والزيوت ، تحد اثناء ذلك من امكانات القائد ، وكثيرا ما تحتم مسبقا طرق تنفيذ المهمة القتالية . ويمكن ان يكون في الصراع المسلح مواقف مشابهة لتلك المواقف التي سبق ان حدثت في الحروب الماضية . ويسهل هذا بالطبع تطبيق المبادىء النظامية واتخاذ القرار . غير انه **ينبغي ان ناخذ بعين الاعتبار ان موقف اية معركة لا يمكن ان يتكرر ابدا بكل تفاصيله . لذلك ينبغي ان يكون كل قرار يتخذه القائد مبدعا .**

يتطور العمل العسكري تطورا مستمرا ولا يتطلب هذا من القائد طريقة مبدعة للاقبال على المبادىء النظامية فحسب ، بل والقدرة على **ادراك التناقض الناشيء بين متطلبات الانظمة والواقع في الوقت المناسب ، وايجاد طريقة حله .**

ان مجال الابداع في العمل العسكري متعدد الجوانب . وهو يشمل جميع جوانب حياة القوات .

يمكن ان نتبين في عملية الابداع **اربع مراحل اساسية** : نشوء المشكلة (المسالة) ، والبحث عن فكرة لحلها ، واعداد الفكرة (الحسابات ، التخطيط ، التصحيح) ، وتحقيق الفكرة المبدعة عمليا . لنتبين مضمون كل مرحلة .

وتنشا مشكلة (مسالة) الابداع ، كما لاحظنا ، من مقتضيات التطبيق ،

ومن التناقضات الواقعية في العمل العسكري . ومن المعلوم ، ان الطرق الاساسية لاستطلاع القوات كانت ، في المرحلة الاولية للحرب الوطنية العظمى ، المراقبة وغارة الاستكشاف ، اللتين لم يكن تاثيرهما على الدوام عاليا . وفي النتيجة ، تفاقم التناقض بين ضرورة معرفة تجميع العدو معرفة اكمل ، ونظام نيرانه قبل الهجوم ، والمعطيات المحدودة التي كان يقدمها الاستطلاع .

وقد وجه هذا التناقض فكر القادة المبدع للبحث عن طرق اكثر فعالية لاستطلاع القوات . وكانت احدى هذه الطرق : الاستطلاع القتالي .

والطريقة ذاتها ادت الى ضرورة تعزيز الدفاع المضاد للدبابات والى ظهور مفارز مدمري الدبابات ، ونقاط استناد م/د السرايا ، والمدافع م/د الجبارة ، والبنادق المضادة للدبابات ، والطائرات الخاصة المضادة للدبابات .

واثناء الحرب ، كشف فكر القادة المبدع عن امكانات جديدة لاستخدام العتاد القتالي . قبل الحرب كان يعتبر ان المدفعية المضادة للطائرات ليست مخصصة الا لاصابة الاهداف الجوية ، وكان يعتبر اي استخدام آخر لها بمثابة جهل تكتيكي . الا ان المدفعية المضادة للطائرات استخدمت ضد دبابات العدو اثناء الدفاع عن مدينة « طولا » في عام ١٩٤١ . ولقد دمر جنود المدفعية المضادة للطائرات (٣٠) آلية قتالية اثناء صد الهجوم الاول .

اتاحت الثورة الحديثة في العمل العسكري ظهور مجموعة كاملة من المسائل . وحلها هام للغاية من اجل تعزيز القدرة الدفاعية للبلاد . ومن هذه المجموعة مسالة تنظيم الوقاية من الصواريخ البالستية(١) عابرة القارات ، ومسالة تامين ثبات قيادة القوات واستمرارها وهلم جرا .

ولا يعني طرح المسالة والمعضلة الا القيام بالخطوة الاولى في الابداع . اما الخطوة الثانية فهي البحث عن الفكرة المبدعة ، التي تتيح حل المشكلة . وتتولد هذه الفكرة بالمساهمة الفعالة لجميع اشكال المعرفة الشعورية (الحسية) والمنطقية . وهنا يقوم الخيال بدور رئيسي .

---

(١) البالستية : من البالستيات ي علم القذائف او علم حركة المقذوفات .

يتغذى الخيال المبدع بالمعارف العميقة على مختلف مجالات العلم والتطبيق. وكلما كان حجم هذه المعارف اكبر ، كلما ازدادت امكانات تقديم الفرضيات المختلفة وكثيرا ما تساعد المقارنات ، على ايجاد الوسيلة الفعالة لحل مسالة الابداع . ان المقارنات هي العلاقات الناشئة في وعي الانسان ، من جراء التأثيرات السابقة المحفوظة فيه من العالم المحيط . ويمكن ان تستخدم الواقعة التالية مثالا على الاستخدام الناجح للمقارنة .

اعترضت الجيش الخامس والستين اثناء اعداد المعارك الحاسمة على طريق « كورسك » صعوبات كبيرة في نقل الحمولات الى خط الجبهة ، لان طرق العربات والسيارات تعطلت بسبب الموسم الربيعي وتوحل الطرق . كان الطريق الوحيد للخط الحديدي هو خط حديد « اوروبا » ، اما جميع القاطرات فقد كانت منسوفة . تم ايجاد المخرج على اساس تجميع عربات القطارات مع القاطرات القديمة التي كانت تستخدم في « بطرسبرج » الاحصنة لجرها . وجرت السيارات عربات القطار على الخط الحديدي ، وبواسطة هذه القاطرات القديمة الخاصة تم نقل اكثر من (٢٠٠٠) طن من الحمولات .

بيد انه من الضروري ان ناخذ بعين الاعتبار ان استخدام المقارنات استخداما خاطئا يمكن ان يؤدي الى نتيجة معاكسة ويمكن ان تتحول هذه المقارنات من وسيلة للابداع الى وسيلة للتقليد المتبع . وهكذا ، ظل بعض قادتنا يعتبرون هجوم الخيالة المندفع « قمة فن الحرب » حتى في سنوات الحرب الوطنية العظمى ، حيث كان الدفاع المنسق بالعمق ، والمزود بالوسائط النارية بكثافة ، غير معترف به بالنسبة لسلاح الفرسان .

وخلال البحث عن وسيلة صحيحة لحل مشكلة الابداع ، كان للمبادرة دور كبير . وان **الحدس** (البداهة ، السليقة) هو العملية الخاصة في التفكير المبدع ، الذي يتصف بالوعي الباطني لبعض مراحلها الجارية بسرعة كبيرة . ينشأ الحل الحدسي (البدهي) على الفور بدون استدلالات عقلية سابقة .

ان للحدس آليته الفزيولوجية ، التي لم يستكمل كشفها حتى الآن . الا

ان بحوث « ا.ب. بافلوف » والعلماء النفسيين والفزيولوجيين السوفييت الآخرين تتيح الافتراض بأن الحدس هو عملية تفكير ، قائمة على اساس استخدام مجموعة العلاقات الانعكاسية ــ الشرطية المتكونة ، التي تعتبر امهات الحالات (الاوضاع ، المواقف) الحيوية . تشكل المعارف المتوفرة وخبرات الانسان ذخيرة كبيرة من المعلومات (المفهومة وغير المفهومة) ، التي تتيح ، في موقف معين ومحدد ، اتخاذ القرار سريعا وبكمال تام .

ومن الملاحظ ان الحدث مرتبط ارتباطا وثيقا بحالة الانسان النفسية المحددة ، ومع الالهام (الايحاء) . وليس من قبيل الصدفة ان « ا.ب. بافلوف » وصف الحدس بأنه « تفكير انفعالي مجازي » . وان الالهام هو التجميع الاقصى لقوى الانسان الروحية والبدنية ، وارادته ، ومواهبه ومعارفه ، من اجل حل المهمة الموضوعة . يساعد الالهام ، مع رهافة الادراك الحسي ، على تنشيط العمليات الحدسية (البدهية) ان هذه الحالة النفسية ذاتها يتصف بهــا المقاتل في المعركة .

وبعد ان يتم العثور على الفكرة الاساسية لحل المسالة ، **تبدا المرحلة الثالثة لعملية الابداع : وهي اعداد الفكرة وتخصيص نوعيتها** . وفي هذه المرحلة ذاتها ، يتم القيام بحجم عمل كبير بما في ذلك الحسابات والتخطيط واختبار صحــة القرارات الخاصة وهلم جرا .

تنقسم المهمة العامة خلال اعداد الفكرة الى عدد كبير من المهام الخاصة . مثلا ، كانت تتلخص الفكرة الاساسية لعملية « ستالينفراد » كما هو معروف : بتوجيه الضربة بصورة مفاجئة وآنية في اتجاهين متجاورين . وتطلب الاعداد التفصيلي لهذه الفكرة قرارا مبدعا لمجموعة كاملة من المهام الخاصة مثل حشـد كثافات كبيرة من القوات على اتجاهات الضربة الرئيسية بصورة خفية عن العدو ، ومثل تضليل العدو ومثل تقليد حشد القوات على الاتجاهات الكاذبة ، فهل ينبغي عمل هــذا ؟

يدل تاريخ تطور العلم والتقنية ، على الخطط المبدعة الكثيرة لم تنشأ ، ولم توضع على اساس تقليد الطبيعة تقليدا آليا . فقد نشأت ، مثلا ، فكرة

طيران الانسان قياسا على طيران الطيور . وقد قام الانسان بعدة محاولات للطيران ، مقلدا الطبيعة . وصنع الناس الاجنحة الاصطناعية ، وقفزوا من الابراج والجروف شديدة الانحدار . غير ان الامكانية الحقيقية لطيران الانسان لم تظهر الا بنتيجة حل المسائل ((**الايروديناميه**))(١) لقوة رفع الجناح ، في آن واحد مع اختراع محرك الاحتراق الداخلي في طرازه المخفف .

على كل حال ، تبقى الطبيعة دائما بالنسبة للانسان معينا لا ينضب للافكار والخطط المبدعة . وتؤكد ذلك منجزات العلوم الطبيعية الحديثة . والمستوى الحديث الذي بلغه تطور العلم والتقنية يتيح للانسان ان يدرك بعمق تكوين الكائنات الحية المعقد ، وهذا ما يكشف عن امكانات اضافية بالنسبة للابداع وهكذا **نشا ((بيونيكا)) ــ علم استخدام مبادىء تاثير الاجهزة او المجموعات الحية والعمليات البيولوجية في التقنية (التكنيك)** . قياسا على اسنان القوارض تم ابداع ازاميل الشحذ (السن) الذاتية . وان آلية التنقل على الثلج قائمة على اساس استخدام مبدا عمل زعانف **البطاريق**(٢) . كما ان دراسة تركيب جهاز الصوت ووظيفته والسمع لدى الحيوانات المائية والحشرات ، يمكن ان تعطي مادة لحل مجموعة من المسائل الحربية .

عند وضع الافكار المبدعة في مجال انشاء الاسلحة والعتاد القتالي ، يمكن ان يؤدي الجمع بين المبادىء الجديدة والعناصر القديمة الى تاثير كبير . فالفكر الهندسي ــ الحربي ، مثلا ، يبحث باصرار عن امكانات انشاء اسلحة نووية خفيفة (بسيطة) حتى للمشاة .

ان المرحلة الختامية من مراحل عملية الابداع ــ هي تحقيق الفكرة في التطبيق . ان لهذه المرحلة اهمية خاصة وصعوبات خاصة بحكم خصائص الصراع المسلح . ولقد نوه « اينشتين » مرة بأن الطبيعة معقدة ، الا انها

---

(١) ايروديناميه : من كلمة « ايروديناميكا » وتعني علم الديناميكا الهوائية .

(٢) البطاريق : مفردها بطريق وهو رتبة من الطيور ذات غشاء بين الاصابع ، تعيش في المناطق الشمالية من الكرة الارضية ، ريشها اسود في الظهر وابيض في الصدر .

ليست سيئة النية (القصد) . اما العدو ، فهو سيء النية دائما . لذلك يتوقف، الى حد كبير ، تجسيد القرار المبدع في التطبيق على صفات القائد المعنوية ـ القتالية وصفات جميع المقاتلين وقبل كل شيء على ارادة النصر التي لا تلين .

ان الارادة ـ هي مقدرة الانسان على توجيه سلوكه ، واخضاع كل قواه لتحقيق الهدف المعين ، ويمكن القول ان درجة ارادة القائد ، وجرأته ، ومروءته ، وفنه العسكري ـ كل هذا ينضم الى العناصر الضرورية في فكرة القرار بالذات ، اذ ان التنفيذ السيء يمكن ان يبدد الفكرة الممتازة ادراج الرياح . اليك مثال خاص :

في سنوات الحرب الوطنية العظمى ، اثناء تنفيذ عملية تدمير مركز مطار « لوف » واجهت (٤٥) قاذفة سوفياتيه متوسطة نيرانا قوية لمدفعية العدو ، المضادة للطائرات . اخذ قائد مجموعة القاذفات ينشر ترتيبه في اتجاه العودة . كان يدرك بالطبع ضرورة التغلب على نيران المدفعية المضادة للطائرات ، الا انه لم يكن يتمتع بالصفات الارادية العالية بصورة كافية . انتقلت ارادة القائد الضعيفة الى المرؤوسين . اختل ترتيب القتال ، وفي نهايته اصطدمت طائرتان وتحطمتا . ثم اتضح ان تنفيذ المهمة القتالية يواجه خطر الاحباط . حينذاك اخذ قائد المقاتلات المرافقة « آ. ف. فوروجيكين » قيادة مجموعة القاذفات على عاتقه وامر : « حافظ على النظام ، اتجه نحو الهدف ! » استعيد ترتيب القتال ، ونفذت القاذفات مهمتها(١) .

ان نشاط القادة متعدد الجوانب انهم يعنون بتدريب وتربية المرؤوسين ، وفي ظروف الحرب يديرون الاعمال القتالية للقوات . ويقوم القائد واركانه بتنظيم المعركة (العملية) يوجه قرار القائد وامر القتال جهود المقاتلين نحو هدف موحد هو تدمير العدو . ومن هنا نقدر شأن الاهمية الكبيرة التي يتمتع بها ابداع القائد في قيادة القوات .

---

(١) كتاب « الحياة في الطيران » : تأليف « آ. كراسوفسكي » دار النشر العسكرية عام ١٩٦٢ ، الصفحة ٢١٦ ـ ٢١٧ .

٢ ـ ابداع القائد في قيـادة القوات :

ان الصراع المسلح ـ هو ظاهرة اجتماعية . لذلك ينبغي للقائد ، وهو يقود الاعمال القتالية للقوات ، الا ياخذ بعين الاعتبار سنن (شرعات) العـالم الطبيعي فحسب ، بل وقوانين تطور المجتمع ، وخصائص وعي الانسان وحالته النفسية ، وصفات البشر المعنوية والنفسية . ولا غنى للقائد عن التدريب النظري والفكري العميق ، والمهارة في الا ياخذ بعين الاعتبار العوامل الفنيـة ـ الحربية فحسب ، بل والعوامل السياسية ـ الاجتماعية للصراع المسلح .

ان اساس قيادة القوات هو قرار القائد . **وان وضع القرار واتخاذه هما بكل ما في الكلمة من معنى ، عملية التفكير المبدع ،** الذي يشمل بذاته على منطق الاستدلالات العقلية واللحظات الحدسية ، (البديهية) .

قد يبتدىء الابداع عند تفهم المهمة القتالية وتقدير الموقف ، ما دام القائد يحلل الموقف ، بوجه عام ، ودائما من وجهة نظر المهمة الموضوعة . انه يسعى الى ادراك جوهر الموقف المخفي وراء عدد كبير من الظواهر ، والذي تتشوه صورته من قبل العدو بصورة مقصودة . ياخذ القائد من الوقائع المتعددة اكثرها اهمية وتحديدا ، ويقارنها مع مبادىء الانظمة وتجربته .

يدل التطبيق على ان تقدير الارض ، التي ستجرى عليها الاعمال القتالية ، لا يتطلب عادة جهدا كبيرا من القائد المجرب . يستطيع القائد بعد ان يدرس الخريطة وينسق معطيات الاستطلاع ، ان يحدد طبيعة الارض ، وان يسهل او يصعب قرار المهمة القتالية الموضوعة ، وان يتخذ ما هو ضروري بهذا الصدد . ان العمل الآخر هو تقدير العدو .

لكي نقدر العدو بصورة صحيحة ، لا يكفي ان نعرف قواه ووسائطه فقط ، بل من الضروري ان نأخذ بعين الاعتبار ايضا تكتيكه وحالته السياسية ـ المعنوية، حتى الصفات الشخصية لدى قادة القطعات والوحدات المعادية . سوف يكون على القائد ، وهو يقدر العدو ، ان « يقف » في مكانه ، وان يفكر « بدلا عنه » متنبئا بالاعمال المحتملة . وكما تبين تجربة الحرب الوطنية العظمى ، كثيرا ما ساعد هذا الاسلوب مساعدة كبيرة على اتخاذ القرار الصحيح .

تقدر قواتنا ايضا من وجهة نظر المهمة القتالية الموضوعة . ومن هنا تبدو الامكانات الواسعة بالنسبة للابداع عند حل هذه المسائل ، مثل توزيع القوى والوسائط ، وتشكيل ترتيب القتال ، وتحديد ايقاع الهجوم وهام جرا . يمكن ان نضرب مثالا واضحا على هذه النتيجة قرار قائد جيش الحرس الحادي عشر الجنرال « ا.خ. باغراميان » في موقعة « كورسك » . حتى ذلك الوقت ازدادت ازديادا كبيرا امكانات حشد قوى قواتنا ووسائطها في اتجاه الضربة الرئيسية ، وقرر القائد ان يحشد في قطاع الخرق ٩٠٪ من فرق المشاة ، وكل المدفعية وكل الدبابات . وقد تحقق على اتجاه الضربة الرئيسية تفوق كبير في القوى ، وهـذا ما امن نجاح العملية .

خلال عملية تقدير الموقف وضع القرار ، يفكر القائد بالنماذج المنطقية للاعمال المقبلة . وان الطابع المبدع في تفكير القائد يوضحه توضيحا جيدا الكاتب « آ. بيكوم » في كتابه « احتياط الجنرال بانفيلوف » وقد فكر قائد الكتيبة « موميش ـ اولي » في خطة المعركة المقبلة ، فلاحظ ان الافكار المبدعة « تستغرق فيها بصورة عميقة بقدر ما تستولي عليك ، فتكف عن الانتباه للغرفة ولكل ما يحيط بك . هل وزعت القوى توزيعا صحيحا ؟ ماذا أعمل اذا سارت المعركة على هذا النحو ؟ كيف اتصرف اذا تقدم العدو من هذا المكان ؟ واذا انطلق من هنا ؟ ... انك تحدد على وجه التقريب حالات لا تحصى . اذا لم اخطىء ، فان « ليف تولستوي » قال في مقدمة رواية « الحرب والسلم » عن عدد كبير جدا من الحالات ، التي مرت بسرعة كبيرة أمام الكاتب أو الفنان ومن المحتمل ان ابداع القائد قريب من استغراق الفنان ... في هذه الساعات من التركيز القيادي المبدع ، كانت المهمة التي القيت على عاتق « بانفيلوف » قد اصبحت عملي الخاص ووليدي »(١) .

ان لاختيار اتجاه الضربة الرئيسية في الهجوم اهمية كبيرة عند وضع القرار . وان هذا الاختيار متعلق بمجموعة من العوامل . فعند تعيين اتجاه الضربة الرئيسية ، مثلا ، في « عملية ستالينغراد » لم تؤخذ بعين الاعتبار قدرات القوات

(١) مجلة « العالم الجديد » : اصدار عام ١٩٦٠ ، العدد ١٢ ، الصفحة ٢٣ .

الالمانية ـ الفاشستية فحسب ، بل شكل الجبهة ايضا ، ووجود اقل الفرق الايطالية والرومانية قدرة على القتال على الجوانب (الاجنحة) ان اساس خطة « عملية بيلوروسيا » هي فكرة الخرق الآني لجبهة العدو في ستة قطاعات ، بعيدة بعضها عن بعض ، وثم الهجوم في اتجاهات : « فيتبسك » و « اورشانشك » و « موكيلوف » و « بابرويسك » ان مثل هذه الطريقة في الخرق ، اجبرت العدو على تشتيت قواه ، ولم تتح له ان يستخدم الاحتياطات استخداما مركزا لصد ضرباتنا .

عند وضع القرار ، يبرز الابداع ايضا في اكتشاف تلك العوامل ، التي تتيح اكبر انتصار . يمكن ان تكون هذه العوامل في حالة ما : المناورة الجريئة ، وفي حالة اخرى : الضربة المفاجئة ، وهلم جرا .

يمكن ان نضرب مثالا على القرار المبدع: اعمال قائد الجيش الثالث والاربعين الجنرال « آ . ب . بيلوبورودوفا » في معارك « كينيكسبرغ » في خريف عام ١٩٤٥ خاضت قوات الجيش هجوما ناجحا وقد تسنى القوات الهتلرية ان توقف تقدم الجيش خلال ثلاثة ايام من الموقعة . في مثل هذه الاحوال ، يحتاج الطرف المهاجم ، كقاعدة ، لفترة من اجل اعداد هجوم جديد . وهذا ما توقعه العدو المدافع في « كينيكسبرغ » الا ان قائد الجيش قرر توجيه الضربة بسرعة . ومن المفهوم ، ان تنفيذ مثل هذه الخطة (او الفكرة) لا يخلو من المخاطرة ، وقد اقبل الجنرال عليها بجراة . فعدل عن توزيع القطعات حسب احياء المدينة ، ووجه الى كل شارع رئيسي فوجا مع دبابات ومدافع ذاتية الحركة . كانت المدينة كما لو شقت بالقطعات المهاجمة . وكان جهاز النيران مبنيا بصورة فريدة : الرشاشات في الحفر ، والمدافع في الاماكن العالية ، والدبابات تسحق الابراج المدرعة ، في المنعات الحصينة وجنود زمر الهاون يقومون بالرمي المنحني على الاسطح . وما ان تم اقتحام القلعة حتى عمدت القوات الفاشستية الى الانسحاب، وقد استنزفت قواهسا .

وفي الليل وجهت ضربة مفاجئة قطعات الجيش الثالث والاربعين بالاشتراك مع قوات الجيوش الاخرى ، وخرقت دفاع العدو بصورة سريعة عند تقاطعات

الشوارع ، ومضت على شكل اسافين الى مركز المدينة ، التي تم الاستيلاء عليها قبل الصباح . وخلال ست ساعات من الاقتحام الليلي نفذت المهمة القتاليـة التي خصصت لها ، وفقا للحسابات ، عدة ايام . لم يكن هذا ليستجيب مـع القواعد (الانظمة) . وقد افاد قائد المدينة الجنرال « اوتولاش » الذي اخـذ اسيرا : كان من المستحيل الظن بأن قلعة « كينيكسبرغ » سوف تسقط بمثل هذه السرعة .

ان اظهار ابداع القائد هو الخدعة الحربية ، أي المهارة في تضليل العدو ، واجباره على اتخاذ قرار خاطىء ، وتأمين قواتنا في آن واحد بالشروط الملائمة لخوض المعركة . يستطيع القائد ان يستخدم المناورة الكاذبة او التجريدية[1] وطرق التضليل المختلفة ، والضربة المفاجئة وهلم جرا .

في المعارك التي جرت جنوب ــ شرق مدينة « نيفل » في نهاية عام ١٩٤٣ ، استخدم احد قادة سرايانا الاسلوب التالي : بعد ان عرف قائد السرية ان العدو المهاجم يتفوق في القوى امر بحفر ثلاثة خنادق مواصلات من الحـد الامامي في اتجاه العدو ، يبعد الواحد عن الآخـر مسافة ١٠٠ ــ ١٢٠ مترا وتوحيدها بخنادق تجهز على جوانبها مواقع للرشاشات الثقيلة . تم اجراء كل هذا خلال الليل . وفي الصباح عندما بدأ العدو التمهيد المدفعي ، كانت السرية تتوضع في هذه الخنادق ونفذ تمهيد مدفعية وهاونات العدو على مكان فارغ . وعندما انتقلت مشاة العدو الى الهجوم ، سمح لها مقاتلونا بالاقتراب حتى مسافة ٢٥ ــ ٣٠ مترا ، وفتحوا النيران دفعة واحدة وانتقلوا الى الهجوم المعاكس . ان ظهور الجنود السوفياتيين ظهورا مفاجئا في المنطقة الحيادية صعق الفاشستيين ، الذين اخذوا ينسحبون بدون انتظام واقتحمت السرية العدو في خنادقه على اكتافه .

يعتمد القائد ، وهو يضع خطة (فكرة) المعركة او العملية ، على اشكال فن

---

(١) المناورة التجريدية : هي المناورة التي نلجأ اليها لالهاء او صرف انتباه العدو عن المناورة الحقيقيـة .

الحرب السابق ، الا انه يستخدمها وفقا للشروط الجديدة . ومن المعلوم ، ان فكرة حصار العدو فكرة « كاني »(١) ، قد استخدمت اكثر من مرة في الحروب المختلفة . الا انه في كل مرة كانت تنفذ بصورة فريدة (خاصة) ، مع اخذ شروط الصراع المسلح الجديدة بعين الاعتبار .

يصل قرار القائد مرحلة الاوج ـ (الذروة) من مراحل الابداع في قيادة القوات . ان القرار هو الاختيار المدعم بالحجج والبراهين من عدة اشكال او حالات في الاعمال القتالية ، وهو الاختيار الامثل والاقرب اليها ، وهو يؤمن تحقيق الهدف المحدد في اقصر فترة وباقل الخسائر .

في شروط الثورة الحديثة ، في العمل العسكري ، اتخذ اعداد اشكال الصراع المسلح وطرقه الجديدة ووضعها اهمية خاصة ، وتنشتا هذه الاشكال والطرق من جراء الاستنتاج العلمي العام لتطبيق المشاريع والمناورات وتجارب الاسلحة . ان نقطة الانطلاق هنا هي البحث عن اكثر الاساليب فعالية لاستخدام السلاح والعتاد القتالي ، سواء اكان هذا السلاح او العتاد جديدا ام قديما .

تستدعي الاسلحة الجديدة عادة اساليب جديدة لاستخدامها . ان تاريخ الطيران مثال واضح على ذلك . تطلب انشاء طائرات الهجوم (الانقضاض) اعدادا كاملا وتكتيكا مناسبا ، واصبحت عناصره الاساسية : الطيران المسف ، والهجوم من التسلق الحاد ، والهجوم بترتيب القتال على شكل دائرة وهلم جرا ، اظهر طيارونا كذلك ابداعا عند استخدام قاذفات القنابل الهجومية « بي ـ ٢ » كما

---

(١) « كاني » : قرية صغيرة في الجنوب الشرقي من ايطاليا قرب مصب نهر « اوفانتو » (سابقا اوفيد) على بحر الادرياتيك ، وهي قريبة من مدينة « باري » الايطالية والى الشمال منها .

اثرت الحرب البيونيكية الثانية تاثيرا كبيرا على تطور فن الحرب (٢١٨ ـ ٢٠١) ق.م وكانت اهم موقعة فيها موقعة (كاني) .

لم يقرر القائد القرطاجي « هاني بعل » الهجوم الفوري على روما بسبب تحصيناتها القوية ، بل قرر تجنبها والاعتماد على حصارها وعزلها ، وعلى اقامة حلف معاد لها من مدن جنوب ايطاليا كما كان بحاجة للوصول الى البحر من اجل تامين المواصلات الى قرطاجة . وفي جنوب ايطاليا احتلت قوات « هاني بعل » قلعة صغيرة تسمى « كاني » وفي هذا المكان وعلى نهر « اوفيد » جرت الموقعة المشهورة جدا في التاريخ العسكري (راجع تاريخ فن الحرب للجنرال ستروكوف ، الجزء الاول ، الصفحة ٦٨ ، ترجمة اللواء صباح الدين الاتاسي) .

ان مقاتلي الفوج ، الذي كان يقوده « أ.س. بولبين » ، كانوا من اوائل الذين استوعبوا اسلوب ضربات الرمي المرصود على الاهداف ذات الحجم الصغير . ولاول مرة في هذا الفوج ، اصبحت تستخدم عند اقتحام الاهداف البريسة الرشاشات الامامية ورشاشات الفتحات (الكوى) وكذلك القصف الجوي من الانقضاض بزاوية تبلغ (٧٠) درجة .

وفي الوقت الحاضر ، توجد امكانات كبيرة لتحسين طرق استخدام العتاد الجديدة . وهكذا ، فان ابداع القادة المتطورين اتاح الى حد كبير زيادة فعالية نيران العربات المدرعة . ان هؤلاء القادة بانشاء ترتيب قتال العربات المدرعة « الزاوية الى الامام » او « التدرج الى اليمين (الى اليسار) » لم يحققوا النيران الكثيفة من الرشاشات التي ترمي باتجاه المسير فحسب ، بل ومن الوسائط النارية من الجانبين ، وبنتيجة هذا ازدادت القدرة على اصابة الاهداف ازديادا كبيرا .

ان وضع اساليب جديدة لاستخدام اشكال العتاد القتالي الموجودة في التسليح منذ زمن بعيد قد يكون له تاثير كبير . ومن المعلوم ، ان الطائرة « يو ٢ » عاشت ميلادها الثاني خلال الحرب الوطنية العظمى واصبحت تستخدم كقاذفة خفيفة ليلية ، وقد القت هذه القاذفات على القوات الفاشستية — الالمانية — زهاء ربع حمولة القنابل التي القاها طيران الجبهة .

وليس ثمة مانع ، في الحرب الصاروخية — النووية ، في ان بعض انواع السلاح والعتاد القتالي القديمة يمكن ان تؤثر تاثيرا كبيرا . وهكذا ، فان المدفعية التي تنازلت للصواريخ عن مجموعة من الاعمال الهامة ، ما زالت تتفوق عليها حتى الآن من حيث سرعة الرمي ودقة الاصابة وغيرها .

ان **صفات العسكريين المعنوية — القتالية** توجد امكانات اضافية للابداع ، وكثيرا ما تؤثر بصورة مباشرة على نشوء طرق صراع جديدة . وفي تاريخ الحرب الوطنية العظمى الكثير من الامثلة عن مقاتلين وقادة القوا بانفسهم مع رزم القنابل تحت الدبابات ، وغطوا باجسامهم كوى (فتحات) المنشآت الدفاعية طويلة الامد ، ومضوا الى المصادمة في المعركة الجوية ، ووجهوا الطائرات المصابة نحو ارتال العدو .

في شروط الثورة ، في العمل العسكري ، ثمة اهمية كبيرة للطريقة المبدعة في الاقبال على تحسين بناء القوات ، والبحث عن اشكاله التنظيمية التي تتجاوب الى درجة قصوى مع العتاد القتالي وطرق الصراع المسلح الجديدة . ومن المهم ان نحدد في بحث الابداع هذه النسب الصحيحة ، بين العتاد القتالي والافراد ، وبين الوحدات والقطعات القتالية ووحدات وقطعات الخدمة وهلم جرا .

امام كل قائد امكانات كبيرة في اظهار المبادرة والابداع ، وفي الطريقة التجديدية في الاقبال على العمل ومن الضروري ان نطور بجميع الوسائل هذه الصفات لدى ملاكاتنا القيادية . كما ينبغي ان نتيح لضباط المستوى الادنى امكان العمل بوظيفة القائد الاقدم ، وتدريب القادة على اتخاذ القرارات المستقلة بصورة سريعة . كذلك يمكن ان تؤدي المناقشات والمباحثات المبدعة الى نفع كبير اثناء تحليل المشاريع التي يتمكن القادة خلالها من ابداء آرائهم . ومن المهم ، بوجه خاص ، ان تلقى مبادرة المبتدعين رواجا عظيما في القوات .

وان تطوير مبادرة الضباط والاعوان والقادة والامراء وابداعهم ــ هو شرط ضروري لاضطراد نمو القدرة القتالية للجيش والاسطول .



المراجـــــع

١ ـ « المسائل المنهجية العلمية في نظرية الحرب وتطبيقاتها » تاليف مجموعة من العسكريين السوفييت .

٢ ـ « في الحرب » تاليف كارل فون كلاوزفيتز ، تعريب وتعليق اكرم ديري والمقدم الهيثم الايوبي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .

٣ ـ « الماركسية ـ اللينينية وقضايا الحرب والجيش » باشراف الدكتور في الفلسفة تيوشكيفيتش ، موسكو ، دار التقدم عام ١٩٧٤ .

٤ ـ « الاستراتيجية العسكرية » وضع مجموعة من القادة العسكريين السوفييت باشراف مارشال الاتحاد السوفييتي ف.د. سوكوفوفسكي ، نقله عن الروسية اللواء الركن عبد الرزاق الدردري ، واللواء الركن صباح الدين الاتاسي واللواء الركن عبد العزيز جركس .

٥ ـ « تاريخ فن الحرب » وضع لجنة من الضباط السوفييت برئاسة الجنرال ا.ا. ستروكوف ، نقله عن الروسية اللواء الركن صباح الدين الاتاسي .

٦ ـ « المجلة العسكرية السوفييتية لاعوام ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥ » .

الفهرس